السنة الثالثة عشرة/ حزيران ٢٠٢٢/ العدد: ٢٣

النور

للدراسات الحضارية والفكرية

- البعد الإيماني للسيرة النبوية في رسائل النور
- ثلاثون رسالة إلى الباحثين الشباب في رسائل النور
- الرؤية الإيمانية وأثرها في ضبط المصطلحات والمفاهيم
  -دراسة من خلال رسائل النور-
- سؤال الإيمان والنهضة الحضارية
- مقاربة رسائل النور للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة

للدراسات الحضارية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم
THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدلeditor@nurmajalla.com
المشرف العام: إحسان قاسم الصالحيihsankasim@gmail.com
صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاشkenandemirtas@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيجَك؛
د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شِمشَك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراتي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛
أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛
أ. د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

محمد الهادي وناس، محمد أوزون

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

عدلاد: ٢٣/ ريانير ٢٠٢٢
İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.
Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler–İstanbul
Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com
www.nurmajalla.com
www.iikv.org

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكّمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعَد مجلة ''النور للدراسات'' مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرّس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كلّ المفكرين والباحثين الجادين.

تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول ''مصادر الإسلام'' (القرآن الكريم والسنّة المطهّرة) وثقافة العصر فيما لا تتعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبديل المنبثق عن التصور التوحيدي للعالم والحياة والإنسان، وتَعَهُّد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على

التوقّف المنهجي والمعرفي عند''الكونية'' التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكّم في المعرفة ومن ثمَّ الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيلولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تتناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء.

قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها.

العودة بالأمة إلى أستاذها الأول''القرآن الكريم''، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة.

دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات التدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام.

الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبيّن في رسائله الموسومة بـ ''رسائل النور''، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيّد للمستقبل.[١]

---

[١] ما تنشره المجلة يعبّر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

- كلمة العدد الثالث والعشرون ..... أ.د. عمار جيدل ٣

المقالات والبحوث[١]

البُعد الإيماني للسيرة النبوية في رسائل النور .....أ.د. عبد العزيز قابوش: ٨
- ثلاثون رسالة إلى الباحثين الشباب في رسائل النور..... أ.د. عبد الحكيم الأنيس: ٣٩
- الرؤية الإيمانية وأثرها في ضبط المصطلحات والمفاهيم -دراسة من خلال رسائل النور- .....
.....د. أميد نجم الدين جميل المفتي: ٥٨
- أُسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها -قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النُّورسي-....
..... أ.د. فيروز عثمان صالح: ٨٦
- سؤال الإيمان والنهضة الحضارية.....أ.د. عمار جيدل: ١٢٢
- مقاربة رسائل النور للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة .....
.....أ.د. محمد الرزقي وأ. محمد الهادي وناس: ١٦٥
- تقرير عن النشاطات العلمية للمؤسسة في الداخل والخارج ١٨٢
- معلومات عن النشر في المجلة .....: ١٨٦
- Contents: ١٨٧

[١] ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد الثالث والعشرون

أ.د. عمار جيدل

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وأستعين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه الطيّبين الطاهرين، يصدر العدد (٢٣)[١] من مجلتكم "النور للدراسات الحضارية والفكرية" في جو عالمي تتنافس على الهيمنة عليه دول واتجاهات فكرية ومؤسسات سياسية، وكان حظّ شرقنا العزيز منها الانتظار، كما هي العادة- انتظار ما يسفر عنه التدافع العالمي الراهن، هل سينتهي إلى تطاحن أم تراشق أم هو جعجعة دون طحين، كلّ ذلك محتمل، والذي يهمّنا ونحن أمام هذا الصرح العظيم المعروف برسائل النور، رسائل أظهرها الله على لسان الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي(رحمه الله)، وكان من مهمّات رسالته إسعاف الإنسانية لاستعادة رشدها، والابتعاد عن كلّ ما شأنه أن يعكّر صوف حاضر الإنسانية ومستقبلها، فكانت بذلك الرسائل (النور) أنموذج الدعوة الراشدة المعاصرة، القائمة على العقل والعلم والسلم والتساند بين مكوّنات الأسرة الإنسانية، تساند قائم على بيّنات القرآن والنماذج التطبيقية التي أتى بها رسول الله (صلى الله عليه وسلّم).

تُعَدُّ مجلة "النور للدراسات الحضارية والفكرية" من بين المساعى الجدية التي تروم التأسيس للعيش في أفق المعاني المشار إليها، لعلّنا بهذا الجهد المعرفي التواصلي نسعف الإنسانية للاستعادة توازنها وتساند مكوّناتها، فيمحى من قاموس القوى العظمى الظلم المعرفي وتطبيقاته الميدانية في الاجتماع والسياسة والاقتصاد، وتدفع الرسائل بهذا الصدد نحو حوار حضاري إنساني الأفق، يستمد سيره وصيرورته من الإسلام دين الله العظيم، ويستهدي بما حوته رسائل النور من هدايات قرآنية وتطبيقات نبوية رائدة في أفقها المعرفي والمنهجي والتربوي والحضاري.

ومن تجليات تبني المسلك الآنف الذكر أن كانت دراسات العدد (٢٣) مستلهمة من رسائل النور معانيها ومسالكها المعرفية والمنهجية، فاستهل العدد (٢٣) بدراسة تُعنى بـ"البُعد الإيماني للسيرة النبوية." وهي دراسة تنمُّ عن دقة نظر ولفت انتباه مسلم العصر إلى مركزية البُعد المهمل في دراسة السيرة المشرّفة، فكان الجهد منصبا على استكشاف

الأفق الإيماني في دراسة السيرة في رسائل النور، وهي دراسة دبّجها يراع الدكتور عبد العزيز قابوش كلية الآداب جامعة ابن زهر أكادير المغرب، أما البحث الثاني، وهو دراسة رائدة، حرص فيها كبير باحثين أول، وعضو هيئة كبار العلماء في دائرة الشؤون الإسلامية بدبي. الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الأنيس على الإسهام في التكوين المستمر لشباب الباحثين المهتمين برسائل النور، فكان من البحوث التي ألقيت في دورات التكوين، واختار لها عنوانا صريحا في تلمّس ما ينفع طلبتنا، وشاهد هذه المعاني عنوان البحث:"ثلاثون رسالة إلى الباحثين الشباب في رسائل النور".

أما الأستاذ الدكتور أميد نجم الدين جميل المفتي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة صلاح الدين / أربيل ـ العراق، فكتب في "الرؤية الإيمانية وأثرها في ضبط المصطلحات والمفاهيم – ـ دراسة من خلال رسائل النور ـ"، وهو كسابقه إسهام في التكوين المستمر للباحثين الشباب المختصين برسائل النور، وقد أفاد الأستاذ في التأكيد على أنّ الخلفية الإيمانية عنصر رئيس في ضبط المصطلحات والمفاهيم، ذلك أنّها في أصل الوضع تصدر عنها، بل تعدُّ الرؤية الإيمانية أهمّ ضابط وموجّه الاختيارات الاصطلاحية والمفاهيم ذات الصلة بها، ذلك أنَّ ما يتعارض مع الرؤية الإسلامية للوجود يحمل بذرة الرفض فيه، فلا يمكن أن يكون مصطلحا أو مفهوما مقبولا من الناحية الموضوعية الصرف.

وتناول البحث الموالي مهمّة عرض "أُسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها – قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النُّورسي." من تأليف الأستاذ الدكتور فيروز عثمان صالح، الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب – جامعة الخرطوم. السودان. وبيّن من عنوان البحث الرغبة العلمية الأكيدة الحريصة على نهضة الأمة وفق أسسها الإيمانية وفي ضوئها تحقّق أمنها واستقراها وتنميته، وقد بنت الباحثة دراستها على استلهام المعاني الخادمة من رسائل النور، أما الدراسة الموالية، فقد اختار لها مؤلفها عنوان: "سؤال الإيمان والنهضة الحضارية"، أنجزها الأستاذ الدكتور عمار جيدل، كلية العلوم الإسلامية. جامعة الجزائر١(بن يوسف بن خدة)، وهي دراسة تعمّقت في التأكيد على أهمية سؤال الإيمان ومحوريته في الطمع في إحداث الوثبة الحضارية المنتظرة والمرتقبة، ومادة الدراسة مستلهمة من رسائل النور وأفكار مالك بن بني في ضوء القراءة التحليلية والمنهجية المؤطّرة بالرؤية الإسلامية للوجود ووفق مقاصد الرسالة الإسلامية

في الحياة، وهي من القضايا الجوهرية في الفكر الإسلامي المعاصر، ولعلّها من رؤوس المسائل التي يتعيّن العناية بها خدمة لرسالة الإسلام وتجديد مسالك عرضه للإنسانية.

ومن تتمات بيان عناية رسائل النور بقضايا العصر البحث الموسوم بـ"مقاربة رسائل النور للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة." وهو من البحوث ذات الصلة بتأوين رسائل النور وربطها بأجوبة تحديات العصر، وقد استثمر الباحثان بعض ما أوردته رسائل النور من معاني خادمة لدفع المسلك الاستهلاكي الذي عرفته الإنسان في عصرنا، وهو بحث تضمّن إشارات مهمّة تنفع لاستعادة الأسرة الإنسانية أُنْسَها وإنسانيتها التي أضاعتها بسب هيمنة الاستهلاكية على المجتمعات المعاصرة، والبحث من إنجاز الأستاذ الدكتور محمد الرزقي، المعهد العالي لأصول الدين جامعة الزيتونة بتونس، وطالبه الباحث محمد الهادي وناس. وختمنا العدد بتقرير مجمل من النشاطات العلمية النوعية التي عرفتها المؤسسة في الداخل والخارج.

---

[١] ملاحظة: عدلنا في التعامل مع مقالات العدد (٢٣) عن مسلك تقسيم المقالات إلى الملف والدراسات، لعدم توفّر الحدّ الأدنى من الدراسات التي تسمح بتصنيفها على وفق التقسيم السابق، لهذا اخترنا ننشرها تباعا، بحس الضرورات الفنية والمنهجية.

المقالات والبحوث

البعد الإيماني للسيرة النبوية في رسائل النور

أ.د. عبد العزيز قابوش[1]

الملخص

يهدف هذا المقال "البعد الإيماني للسيرة النبوية في رسائل النور" إلى إبراز الإيمان في "رسائل النور"، وأهميته في الرد إلى ما آلت إليه الدولة العثمانية إثر سقوط الخلافة، وتولي أتاتورك زمام الحكم وتبنيه للعلمانية والإلحاد، واتخاذ النورسي رحمه الله السيرة النبوية مجالا وفضاء يجسد هذا البعد الإيماني.

ومن أجل ذلك فقد تفرد بمنهج تناول مادة السيرة النبوية فيه؛ متوخيا دلالات، وجدور مروياتها الضاربة في عالم الغيب، كثل تلك المتعلقة بالمعجزات، والمعراج، والإخبار بالغيب، وأحاديث الساعة وثواب الأعمال؛ وهي موضوعات غيبية لا تتعامل مع الحدث التاريخي المنظور للسيرة، وإنما تمضي إلى جذوره، ودلالاته الموغلة فيما وراء عالم الشهود، وجوانب أخرى متفرقة في السيرة النبوية.

ولتجلية هذا البعد الإيماني فقد وظف النورسي رحمه الله القواعد العقلية المتفقه مع الشرع، والعلوم الحديثة، ومستجدات العصر؛ مما ساعده في استثماره لعقيدة الإيمان في نصوص السيرة النبوية خدمة لقضايا عصره، ودعوة للناس إلى الإيمان. بالإضافة إلى ما يتصف به من قوة الاستدلال، والاعتماد على الأدلة المتنوعة والمقنعة في الرد على الخصوم ودفع الشبهات.

كل هذا وذاك مكن دعوته في الانتشار في محيطه، وفي النفوذ إلى قلوب الناس.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، السيرة النبوية، الامام النورسي، رسائل النور.

The Spiritual Dimension in the Prophet's Tradition Revisiting Nursi's Risale-i Nur

Prof. Dr. Abdulaziz Qaboush

Abstract:

This article aims at highlighting the Spiritual dimension in Said Nursi'sRasā'il al-nūr "The Book of Light". It also seeks to show that the spirituality which permeatesNursi'scollection has also contributed to a great extent in preserving religiousness and faith in Turkish people's minds and hearts, especially, after the fall of the Ottoman Caliphate and the succession of Ataturk. When the latter took the reignhe rejected all religious aspects of life and adopted secularism and modernity.

It is for this reason that Said Nursi adapted a unique approach in dealing with the prophetic tradition. He goes back to the deep unseen roots of the narrated events in the prophetic tradition; he sorts out its implications in such a way as to transcends the witnessed historical events.

To illustrate this spiritualdimension, al-Nursi (may Allaahhave mercy on him) employed the logical principles that are consistent with Sharia, modern sciences, and the new developments of the times; Relying on diverse and persuasive evidence to respond to adversaries. All this enabled his call to Islam and faith to spread in his surroundings, and to penetrate to the hearts of people.

Keywords: Faith, Biography of the Prophet, Risale-i Nur, Imam Nursi

– تمهيد –

اهتم الباحثون بفكر وآراء الأستاذ بديع الزمان النورسي في رسائل النور، لما لها من صلة بالواقع الذي عاش فيه، فلم تثنه الفتن والخطوب عن التعلم والتعليم، فانكب على القرآن مرشدا، وعلى السنة منهجا له في حياته، وساعده على ذلك تربية والديه، وما حباه الله به من ذكاء ثاقب.

فوالده رحمه الله يضرب به المثل في الورع، فلم يذق حراما، يكفي على ذلك دليلا أنه كان إذا عاد بمواشيه من المرعى شدَّ أفواهها لئلا تأكل من مزارع الآخرين[٢].

أما أمه فكانت تسمى" نورية"، وقد اجتهدت في تربية أبنائها، وعندما سُئلت: ما طريقتك في تربية أولادك حتى حازوا هذا الذكاء النادر؟ أجابت: لم أفارق صلاة التهجد طوال حياتي إلا الأيام المعذورة شرعًا، ولم أُرضع أولادي إلا وأنا على طهر ووضوء[٣].

واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة، إذ درس وحفظ كتاب" جمع الجوامع "في أصول الفقه للشيخ عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١ه) في أسبوع واحد. وانكب على مطالعة الكتب العلمية لاسيما علم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث الشريف والفقه والنحو حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم نحو ثمانين متنا. وجمع بين العلوم الشرعية والإنسانية والعلوم الطبيعية؛ فتعمَّق في دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ حتى ارتقى فيها إلى درجة التأليف في بعضها، فسمّي ب"بديع الزمان "اعترافاً من أهل العلم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع[٤].

وقصد من كتابة رسائل النور التركيز على البعد الإيماني للرد على ما آلت إليه أحوال العالم الإسلامي إثر سقوط الخلافة العثمانية، وإعلان العلمانية والإلحاد معاداة الدين. يؤكد ذلك بقوله:" أبنائي، لا تخافوا أبدًا فقد قصمت رسائل النور ظهر الملحدين والشيوعيين، فرسائل النور غالبة دائماً بإذن الله"[٥].

ويأتي موضوع هذا البحث والموسوم بـ:"البعد الإيماني للسيرة النبوية في رسائل النور"للإجابة عن سؤال عليه مدار البحث، مفاده: ما درجة اعتماد الأستاذ على السيرة النبوية الشريفة، واستثمار وقائعها لتجلية هذا البعد الإيماني؟ وقد تناولته في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: البعد الإيماني في رسائل النور.

المطلب الأول: مفهوم البعد، والإيمان.

المطلب الثاني: رسائل النور وعلاقتها بالإيمان.

المبحث الثاني: السيرة النبوية في رسائل النور.

المطلب الأول: مضامين السيرة النبوية

المطلب الثاني: منهج النورسي في إيراد السيرة النبوية.

المطلب الثالث: تجسيد الإيمان في السيرة النبوية

الخاتمة

المبحث الأول: البعد الإيماني في رسائل النور

يجد مطالع رسائل النور أن النورسي (رحمه الله) قد صبغها صبغة تعليمية وتربوية إيمانية، من أولها إلى آخرها، لذا كان لزاما قبل الحديث عن إبراز هذا الجانب في رسائل النور، الوقوف على المصطلحات التي هي مفاتح البحث.

المطلب الأول: مفهوم البُعْدُ والإيمان.

مفهوم البعد:

١-تعريف البعد:

أولا: معنى البُعْد لغة: البُعدُ:خلاف القرب، تقول بَعُدَ الرجل بالضم، وبَعِدَ بالكسر، بُعدًا، فهو بعيد[٦]. ومنه كذلك قوله تعالى﴿أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٧]. قال ابن عباس :سألوا الرّدّ حين لا ردّ، و قيل من مكان بعيد، من الآخرة إلى الدنيا. و قال مجاهد :أراد من مكان بعيد، من قلوبهم يَبْعُدٌ عنها ما يتلى عليهم، لأنهم إذا لم يعوا فهم بمترلة من مكان في غاية البُعْدِ[٨].وهو كذلك بمعنى: الهلاك والإمعان، يقال أبعد فلان في الأرض إذا أمعن فيها[٩].

ثانيا: البُعْد في الاصطلاح:

امتداد بين شيئين لا أقصر منه؛ أي لا يوجد بينهما أقصر من ذلك الامتداد. فأقصر امتداد بين شيئين يسمى البعد[١٠].

والبعد: جمع أبعاد، ويأتي بمعنى امتداد غير ملموس: كالبعد الثقافي، والبعد الحضاري[١١]؛ أي أن البُعد يمّثل أحد جوانب ظاهرة معينة، مع تكامل لهذا البُعد مع مجموع الأبعاد الأخرى للظاهرة. وهو المقصود به في هذا البحث.

معنى البعد عند بديع الزمان النورسي:

وردت كلمة البعد في رسائل النور بالمعنى اللغوي، مثل:" الدنيا العابرة بعيدة كل البعد عن أن تكون محلا لمثل هذه العدالة و الحكمة"[١٢].

كما دلت على المعنى الاصطلاحي، مثل: "...البعد الزماني والمكاني الذي يفصل بينهما..."[١٣]

مفهوم الإيمان:

شدد الإمام النورسي في رسائله على أهمية تقوية الإيمان، ونقل الأمة من حالة الإيمان التقليدي إلى الإيمان التحقيقي المقرون بالعمل الصالح، وهذا لن يتأتى إلا بإنقاذ الإيمان من الشبهات في عصره حتى يكون حقيقيا،وهذا ما وضحه بقوله" إن مسلك رسائل النور ليس مسلك الطريقة الصوفية بل هو مسلك الحقيقية... إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة الصوفية بل زمان إنقاذ الإيمان"[١٤]. فهو رحمه الله يريد إيمانا مترجما على الحياة الواقعية وليس إيمانا تقليديا لأنه سرعان ما يغلب أمام الشبهات، وهذا الإيمان هو الذي يقر في القلب ويقود الى التصديق والاطمئنان، وليس التصديق فحسب، وإلى ذلك يشير إليه المعنى اللغوي والمفهوم الشرعي.

أولاً: معنى الإيمان لغةً: وأمَّا الإيمانُ، فأكثر أهل العلم يقولون :إنَّ الإيمان في اللغة: التصديق، ولكن في هذا نظر؛ لأن الكلمة إذا كانت بمعنى الكلمة، فإنَّها تتعدَّى بتعديتها، ومعلوم أنَّ التصديق يتعدَّى بنفسه، والإيمان لا يتعدى بنفسه، فنقول مثلاً: صدقته، ولا نقول: آمنته، بل نقول: آمنت به، أو آمنت له، فلا يُمكن أن نفسر فعلاً لازمًا لا يتعدَّى إلا بحرف الجر بفعل مُتعدٍّ ينصب المفعول به بنفسه، ثم لأنَّ كلمة(صدقت) لا تعطي معنى كلمة (آمنت)، فإنَّ آمنت تدُلُّ على طمأنينة بخبره أكثر من (صدقت)، ولهذا لو فسر الإيمان بالإقرار، لكان أجود، فنقول: الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، فنقول: أقرَّ به كما نقول: آمن به، وأقرَّ له كما نقول :آمن له[١٥].

ثانيا: معنى الإيمان شرعا:

يأتي لفظ الإيمان إما مطلقا، مثل: حبَّب إليكم الإيمان، أو مقيدا، مثل قوله تعالى على لسان إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[١٦].فمعناه هنا التصديق وزيادة[١٧]؛ فهو متضمن مع التصديق معنى الائتمان والأمانة. ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ

لِّنَا﴾ أي لا تقر بخبرنا ولا تثق به ولا تطمئن إليه ولوكنا صادقين لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتمن على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم، أما التصديق فقط فلا يتضمن شيئا من ذلك[١٨].

ولفظ الإيمان عند الإطلاق على قسمين:

١- الإيمان مجردًا غير مقرون بقيد، يشمل الدين كله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ فيعم القول والعمل، يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١٩]:"أما الإيمان في اللغة، فيطلق على التصديق المحض، وقد يستعمل في القرآن، والمراد به ذلك كما قال تعالى: ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢٠] ، وكما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾[٢١]، وكذلك إذا استعمل مقرونًا مع الأعمال، كقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٢٢]. فأمَّا إذا استعمل مطلقًا، فالإيمان الشَّرعي المطلوب لا يكون إلا اعتقادًا وقولاً وعملاً، هذا ما ذهب إليه أكثر الأئمة، بل قد حكاه الشَّافعي وأحمد بن حنبل وأبو عبيدة وغير واحد إجماعًا: أنَّ الإيمان قول وعمل يزيد وينقص "[٢٣].

٢-الإيمان مقرونًا بغيره: ويشمل الإيمان مقرونًا بالإسلام، والإيمان مقرونًا بالعمل الصالح.

أ- الإيمان مقرونًا بالإسلام :

كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢٤].

ب- الإيمان مقرونًا بالعمل الصالح: وهي كثيرة في القرآن مثل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢٥].

ومجمل القول أن الإيمان في اللغة: قيل التصديق[٢٦]وهو في دلالته على الإقرار أرجح. وفي الشرع إما أن يرد مطلقا، أو مقيدا. والمقيد يستعمل في القرآن ويراد به التصديق. والمطلق يأتي إما مجردا، أو مقرونا. والمجرد: يراد به الدين كله من الأقوال

والأعمال. والمقرون إما بالإسلام، أو العمل الصالح، ويعني عند السلف: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالأركان[٢٧].

مفهوم الإيمان عند النورسي:

عاش النورسي في ظروف فرض الإلحاد بالقوة على المسلمين، فأعلن بداية مشروعه النهضوي والإصلاحي الذي كان الإيمان والأخلاق من أبرز ركائزه.

وقد عرف النورسي الإيمان كما يلي: "الإيمان هو الانتساب إلى الصانع سبحانه. فتتعين بذلك قيمة الإنسان على مدى بروز تلك الصنعة الربانية "[٢٨]

ويضيف في مقام أخر تعريفا مفصلا، قال فيه: «اعلم أن الإيمان إكسير يقلِبُ فحمَ المادة الفانية ألماساً مصنّعاً مرصّعاً باقياً بمعناه بنسبته إلى الصّانع الباقي.. "[٢٩].

ومن ثم فالإيمان نسبةٌ ينسبُ الإنسان إلى مالكه، وجهةُ النسبة إنما تنظر إلى الصّنعة، فيكون مدار النظر حينئذٍ إلى المصنوعية والصنعة. فبالإيمان تزيد قيمةُ الإنسان إلى أن تصير الجنة ثمنَه، وتكون الخلافة رتبتَه، ويطيق على حمل الأمانة.. وأما الكفر فهو قاطع النسبةِ، وقاطع الوصلة.. فإذا انقطعت النسبة استتر الصنعُ، وانتكست الصنعةُ واختفى التجلي، وظهرت المادةُ، وانقلبت المرآة وسقطت القيمة إلى درك يتمنّى الكافرُ العدمَ، أو ينقلب تراباً.

وخلاصة الأمر أن النورسي في حديثه عن الإيمان يخاطب الوجدان، كما يخاطب العقل. يحرك الأول من خلال الكتاب المقروء، ويقنع الثاني من خلال الكتاب المنظور. ويتجلى هذا في توظيفه لآيات من القران الكريم في مخاطبته للمؤمنين ليزدادوا إيمانا، وحثِّه على تدبُّر هذا الكون سعيا منه لإقناع الماديين والطبيعيين.

المطلب الثاني: رسائل النور وعلاقتها بالإيمان

توفى النورسى مخلفاً تراثاً علمياً مهماً يزيد على ثلاثين ومائة رسالة، هي أساس فكره ودعوته. ألف أغلبها فى المرحلة الثانية من حياته وهى مرحلة سعيد الجديد التى تبدأ من سنة(١٩٢٦م)، تاريخ نفيه إلى(بارلا)، وضم إليها أغلب ما ألفه في المرحلة الأولى، وسماها جميعاً (رسائل النور) [٣٠]. قال النورسى: " إن سبب إطلاق اسم رسائل النور... هو أن كلمة "النور" قد جابهتني فى كل مكان طوال حياتى، منها: قريتى اسمها:

نورس، اسم والدتى المرحومة نورية، اسم أستاذي فى الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد. وأحد أساتذتى فى الطريقة القادرية: نور الدين، وأحد أساتذتى في القرآن: نوري، وأكثر من يلازمنى من طلابى من يسمون باسم: نور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو: اسم "النور" من الأسماء الحسنى. ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه، فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه"[٣١].

- أنواع رسائل النور[٣٢]:

وهذه الرسائل – كما بيَّن النورسي – تتوزع على أربع مجموعات رئيسية عمدتها المجموعة الأولى المسماة: (الكلمات)؛ إذ منها تنبثق المجموعة الثانية: (المكتوبات)، التي بدورها تتشعب عنها المجموعة الثالثة: (اللمعات)، ثم المجموعة الرابعة: (الشعاعات) وهى متفرعة عن سابقتها. وألف النورسى بالإضافة إلى هاته المجموعات الأربعة الرئيسية رسائل أخرى مستقلة منها: "المدخل إلى النور"، و"مفتاح لعالم النور" وهي آخر رسالة كتبت، و"المحاكمات"، و"ترجمة حياة"، و"سنوحات"، و"مناظرات"، و"ديوان حربي عرفي".

والملاحظ أن الرسائل تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الحجم، فهناك رسائل هي بضع صفحات فقط، وهناك كتاب كامل يُعد رسالة واحدة. وقد ألحق بهذه المجموعات ثلاثة ملاحق: ملحق بارلا - ملحق قسطمونى - ملحق أميرداغ، وهى رسائل توجيهية إلى طلبة النور في أساليب خدمة القرآن الكريم، وفقه الدعوة، والقضايا العملية التي تواجههم.

- رسائل النور والإيمان:

تستشف العلاقة بين رسائل النور والإيمان من أقوال النورسي المبثوثة في رسائله، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١-رسائل النور تفسر الحقائق الإيمانية، كما أكد النورسي قائلا: "أما الدرس الأساس الجدير بأن يكون منهجًا وبرنامجًا لجامعة الشرق؛ فهو رسائل النور التي تفسّر الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم، والتي تقيم البراهين العقلية والدلائل المنطقية الإيمانية لإثبات مسائل القرآن العظيم"[٣٣].

٢- تعد رسائل النور معجزة للقرآن تنشر أنوار الإيمان وتبدد ظلمات العصر، قال النورسي:" لم تستق لا من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي معجزة معنوية للقرآن الكريم خاص لهذا الزمان"[٣٤]، لها "فوائد جليلة بنشرها أنوار حقائق الإيمان وتبديدها ظلمات هذا العصر المظلم"[٣٥].

٣ -إن مؤلفات النورسي ذات تأثير بالغ؛ وذلك " بإرشادها إلى الإيمان التحقيقي لمئة ألف من الناس من دون أن تمسّ أحدًا بسوء، فتأثيرها إذًا هو في العمل لسعادتهم الدنيوية وحياتهم الأخروية، وكل موضوع من موضوعاتها تحل ما لا يحصر من المشكلات؛ من إزالة لأمراض القلب وتنوير للروح، وبث الفرح والسرور فيها، كما أنها ضماد جراحات الأمراض القلبية، بحيث تخنس بإكسير أدويتها الوساوس التي قّلما ينجو منها إنسان، فهي طريق خلاص وسبيل نجاة توصل إلى شاطئ السلامة الأبدّية، بما تفتح للقلب والروح من فيوضات أبدية للقرآن الكريم وأنواره الخالدة غير المتناهية... ،كما أنها ترسّخ العقيدة وترصّن الإيمان ببراهينها ولمعاتها ودلائلها التي لا نظير لها"[٣٦].

ولا تقتصر فائدة هذه الموسوعة الإيمانية الضخمة على الأثر الروحي فقط، بل لها من الفوائد الدنيوية والأخوية ما لا يحصى، وقد أشار إليها النورسي في رسائله [٣٧]، وأجملها فيما يلي:

١- إنها جهاد معنوي اتجاه أهل الضلالة.

٢-إنها خدمة للنورسي ومعاونة له على نشر الحقيقة.

٣-إنها خدمة للمسلمين كافة من حيث الإيمان.

٤-إنها تحصيل للعلم.

٥-إنها عبادة فكرية التي قد تكون ساعة منها بمثابة سنة من العبادة[٣٨]..

ووصف أحد طلبة النورسي تأثير هذا الأسلوب في النفوس، فقال:" إن الحقائق الإيمانية التي تطرحها رسائل النور من ضرب الأمثال والأدلة الثابتة، تؤثر على الإنسان بدرجة الكرامات، فأنا شخصيًا كنت أبحث منذ سنوات طويلة عن جواب بعض الأسئلة

التي كانت تدور في ذهني، فما استطعت أن أجدها في أي مكان، وأخيرًا وجدتها في رسائل النور بشكل واضح لا غبار عليه ولا ضباب" [٣٩].

فرسائل النور مؤثرة في النفوس نافذة إلى القلوب؛ لما احتوته من ضرب الأمثال وإيراد القصص، وتعزيزها بتجارب الحياة، والعزيمة القوية. وهذا ما عبَّر عنه الإمام النورسي بقوله:

"لقد كتبت جميع رسائل النور إما لشرح آية، أو لتوضيح معنى حديث شريف وبيانه، كما أن معظم رسائل النور كتبت لتوضيح الحقائق الدينية والإيمانية، وحول عقائد الإيمان بالله وبرسوله واليوم الآخر، ولكي تتوضح هذه الحقائق بشكل أفضل، انتهجت رسائل النور أسلوب ضرب الأمثال وإيراد القصص، وقدمت رأيها العلمي وإرشاداتها ونصائحها الأخلاقية، ضمن مناقب حميدة وتجارب في الحياة وقصص ذات عبر" [٤٠].

فرسائل النور لا تقتصر فوائدها على الأثر الروحي فحسب بل تتعدى منافعها إلى الحياة الدنيوية، والرابطة الأخوية بين أفراد المجتمع المؤمن...

المبحث الثاني: السيرة النبوية في رسائل النور

تناول النورسي سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بمنهج ركز فيه على البعد الإيماني؛ لأن هدفه الأساسي في رسائله جميعًا هو تأكيد الإيمان في مواجهة الكفر والإلحاد، وبمقدور قارئ رسائل النور أن يلحظ هذه المعاني، فقد ضمّنها أربعة من الموضوعات الثمانية التي خصصها للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكبرها مساحة وهي" المعراج النبوي"و" المعجزات الأحمدية " و" الإخبار بالغيب "و" أحاديث الساعة " تنطوي على هذا البعد الإيماني، بل أنه حتى في" الرسالة الأحمدية" يكاد ينصرف الى هذا البعد، لا تهمه الوقائع والأحداث، بقدر ما تهمه المعاني والدلالات[٤١].

وللتدليل على البعد الإيماني، سأقتصر على رسالة "المعراج "وتأثير الجانب الإيماني. قال النورسي" معراج الرسول- صلى الله عليه وسلم– هو سيره وسلوكه، وهو عنوان ولايته، إذ كما يعرج الأولياء إلى درجة حق اليقين من درجات الإيمان رقيًا

معنويًا بالسير والسلوك الروحاني بدءًا من أربعين يومًا الى أربعين سنة، كذلك الرسول -صلى الله عليه وسلم-وهو سلطان جميع الأولياء وسيّدهم عرج بجسمه وحواسه ولطائفه جميعًا لا بقلبه وروحه وحدهما، فاتحًا صراطًا سويًا وجادة كبرى حتى بلغ أعلى مراتب حقائق الإيمان وأسماها؛ بالمعراج الذي هو كرامة ولايته الك برى في أربعين دقيقة بدلاً من أربعين سنة"، وزاده إلى ذلك أنْ "رقي إلى العرش بسّلم المعراج وشاهد ببصره بعين اليقين– في مقام قاب قوسين أو أدنى - أعظم حقائق الإيمان؛ وهو الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، ودخل الجنة وشاهد السعادة الأبدية، وفتح باب الجادة الكبرى وتركه مفتوحًا؛ ليمضي جميع أولياء أمته بالسير والسلوك الروحاني؛ أي بسير روحاني وقلبي في ظل ذلك المعراج كل حسب درجته"[٤٢].

لذلك كانت غاية "الطريقة "وهدفها؛ هو" معرفة الحقائق الإيمانية والقرآنية، ونيلها عبر السير والسلوك الروحاني في ظل المعراج الأحمدي وتحت رايته، بخطوات القلب وصولا الى حالة وجدانية وذوقية بما يشبه الشهود" [٤٣].

"ومن هنا كان المنهج الأسلم لما سلكه السلف الصالح في تعاملهم مع الرسول- صلى الله عليه وسلم -منهجا روحيا،مر تكزا على التواصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداة روحية، هي عينها التي وظفها الصحابة- رضي الله عنهم- ؛حتى تسنى لهم أن يحافظوا على وحدة شعورهم وهم بحضرة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وهي ما تضمنها حديث حنظلة عند تحديد النبي صلى الله عليه وسلم الوسيلة لضمان استمرارية ذلك الشعور بقوله: "والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم..."[٤٤]، وهذا يضمن تحقيق الأسوة الحسنة برسول الله- صلى الله عليه وسلم- ظاهرا وباطنا، لقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٤٥"٤٦].

المطلب الأول: مضامين السيرة النبوية

خصص النورسي مواضع من رسائله بكاملها للحديث عن أحداث معينة في السيرة النبوية، كما أشار إلى لمسات متفرقة لها في بعضها.

فأما الرسائل التي خصصها لموضوعات كاملة للسيرة فهي:

١- الكلمات:

وقد تضمنت الجوانب الآتية:

أ- الرسالة الأحمدية في الكلمة التاسعة عشرة.

ب- أصول في فهم أحاديث الساعة وثواب الأعمال في الكلمة الرابعة والعشرين.

ت- "المعراج النبوي" في الكلمة الحادية والثلاثين.

ولمسات متفرقة في صفحات تهم: الكلمات[٤٧].

٢- اللمعات:

تناول فيها بالخصوص:

"منهاج السنة" في اللمعة الرابعة من "اللمعات"[٤٨].

"الأخبار بالغيب" في اللمعة السابعة من "اللمعات"[٤٩].

"مرقاة السنة وترياق مرض البدعة" في اللمعة الحادية عشرة من "اللمعات"[٥٠]. وقضايا أخرى متفرقة في صفحات[٥١].

٣-المكتوبات:

اقتصر فيها على: "المعجزات الأحمدية" في المكتوب التاسع عشر من "المكتوبات"[٥٢]. ومسائل مبثوثه في صفحات أخرى[٥٣].

٤-الشعاعات:

ذكر فيها: شواهد النبوة في القسم الثالث من الشعاع الخامس عشر من "الشعاعات"[٥٤]. وأشار إلى مقتضيات متفرقة في السيرة[٥٥].

المطلب الثاني: منهج النورسي في إيراد السيرة النبوية:

يتميّز منهج النورسي في كتابته للسيرة عن منهج المحدثين والمؤرخين؛ إذ لا يقصد الإحاطة بمضامينها وأحداثها، وإنما يتناول جوانب معينة من السيرة في رسائله تنسجم مع سياق موضوعاتها، مؤكدة على ابراز هدفه من رسائله وهو تركيز معالجته على البُعْد

الإيماني للسيرة في مواجهة الكفر والإلحاد، وهذا ما قاده إلى عدم الإغراق في سرد أحداث السيرة من الجانب التاريخي، والتركيز على جوهر الحدث ومغزاه.

والنورسي في تعامله مع الحديث النبوي والسيرة الشريفة يسلك مسلكاً فريداً فلا هو مسلك المحدثين الذين يتقيدون بمنهج يركّز على التثبّت من نقل الرواية، وهو مسلك له محامده ومتعلّقاته المنهجية والمعرفية، كما تميّز عن مسلك المؤرخين الذين يعوّلون في دراسة السيرة النبوية على جمع الروايات ونقلها، ومحامد هذا المسلك لا تنكر، ولكن الأستاذ عوّل على النظر إليها من زاوية أخرى، فهو يركز على محورين أساسيين:

المحور الأول والأكبر مساحة: الموضوعات الغيبية

وتشتمل على: المعجزات النبوية - المعراج - الإخبار بالغيب - أحاديث الساعة وثواب الأعمال.

المحور الثاني: ويشمل جوانب متفرقة من السنة النبوية منها:

ضرورة الالتزام بالسنة النبوية والنتائج المترتبة عليه، ومنهاج السنة في محبة آل البيت، والرسول صلى الله عليه وسلم دليل إلى الله سبحانه، والقرآن الكريم شاهد أكبر على نبوته صلى الله عليه وسلم[٥٦].

ففي هذه الموضوعات يتبنى المنهج التأملي الاستدلالي الذي برع فيه، وهذا ما أكده في الرسالة الأحمدية بقوله:"إن أثر عناية ربانية.. قد ظهر أثناء تأليف هذه الرسالة أذكره لقرائها الكرام كي يلتفتوا إليها باهتمام بالغ: كانت الكلمتان الحادية والثلاثون، والتاسعة عشرة [٥٧]. اللتان تبحثان عن الرسالة الأحمدية مؤلفتين، لذا لم يرد إلى قلبي شيء حول تأليف هذه الرسالة"، ثم يسجّل في السياق نفسه العناية الإلهية التي أكرمه الله بها، فوردت المعاني على قلبه، فقال:" ولكن إذا بخاطرة ترد إلى القلب مباشرة تلح عليَّ بالتأليف في وقت كانت حدَّة حافظتي قد كلَّت وخبت جذوتها تحت وطأة المصائب والبلايا، فضلا عن إنني لم أسلك في مؤلفاتي – وفق مشربي – سبيل النقل من الكتب (قال فلان... قيل كذا)، وعلاوة على أنّه ما كان لديَّ أي مصدر كان من مصادر الحديث الشريف أو السيرة المطهرة"، وبالرغم من كلّ هذه الظروف، التي لم تكن مساعدة على التأليف، قال الأستاذ:" على الرغم من هذا قلت: توكّلت على الله، وشرعت بتأليف هذه الرسالة متوكلا

عليه وحده، فحصل من التوفيق الإلهي ما جعل حافظتي قوية بحيث كانت تمدني إمدادا يفوق بكثير حافظة "سعيد القديم"[٥٨] حتى كتبت نحو أربعين صحيفة – في سرعة فائقة – خلال ما يقرب من أربع ساعات، بل كتبت خمس عشرة صحيفة في ساعة واحدة، وكانت النقول على الأغلب من كتب الأحاديث كالبخاري ومسلم والبيهقي والترمذي والشفا للقاضي عياض وأبي نعيم والطبراني وأمثالها"، وقد ألّف هذه الرسالة في جو إيماني قوي، مكّنه من تحدي الصعاب المشار إليها أعلاه، يستشف من قوله (رحمه الله):" وكان قلبي يخفق ويرجف بشدة كلما ورد حديث شريف خطأ – لما يترتب عليه من إثم – ولكن كتبت الأحاديث بفضل الله سليمة صحيحة، فأدركنا يقينا أن العناية الإلهية معنا، وأن الحاجة إلى هذه الرسالة شديدة. ومع هذا فإذا ما ورد في ألفاظ الحديث الشريف أو في اسم الراوي خطأ فالرجاء من الإخوة الأعزاء تصحيحه والصفح عن الخطأ"[٥٩].

المطلب الثالث: تجسيد الإيمان في السيرة النبوية

١-الرسالة الأحمدية

-إن النورسي هنا وفي جلّ مقاطعه المخصصة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ورسالته يمضي إلى الجانب الآخر من ظاهرة السيرة.. الجانب المغيب البعيد.

- إن الرسالة الأحمدية رحلة سريعة في عالم الرسالة والرسول (صلى الله عليه وسلم) لا تطيل الوقوف في المحطات، فالذي يهمها ليست التفاصيل وإنما الجوهر والمغزى.. المتغيرات الأساسية والوظائف الكبرى.

- إن هذا المقطع من معطيات النورسي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بخلاف جل المقاطع الأخرى، لا يقف عند مسألة واحدة، أو يمحض لموضوع واحد، وإنما هو أحاديث عن جوانب وموضوعات شتى، ولعلّه لهذا السبب، كان المقطع الأول عن السيرة في رسائل النورسي كافة.. إنه أشبه بمقدمة أو تمهيد موجز للمقاطع التالية التي سيمضي كل واحد منها لمعالجة جانب ما من الموضوع.

والنورسي عبر رشحاته الأربع عشرة يتجاوز المنهج المتبع في التعامل مع حقائق السيرة ومفرداتها، بل إنه لا يكاد يذكر من وقائعها إلا النزر اليسير، فضلا عن أنه لا يلتزم

– ابتداء – بأي معيار زمني. ويتحدث فيها عن الأدلة الكبرى التي تعرف بالله سبحانه، وهي: كتاب الكون، وشخصية الرسول، والقرآن الكريم ويقف عند الدليل الثاني الذي هو موضوع البحث، فيعرض لدلائل التصديق برسالته من كتب سماوية سابقة، وإرهاصات مشهودة ومعجزات شتى، فضلاً عن شخصيته صلى الله عليه وسلم بكل جوانبها.

ثم يقدم لمحة عن الأهداف الأساسية التي من أجلها أرسل عليه الصلاة والسلام، متمثلة بالإجابة على أسئلة مؤرقة مثل: من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟.

يتمركز هدفه في البحث على بيان مغزى الحقائق النبوية، وجوهر المبادئ والتصورات التي جاءت بها، والأبعاد الأساسية للمتغيرات التي أحدثتها. وهو من أجل ذلك يلجأ إلى التحليل والاستدلال العقلي والوجداني ويكثر من ضرب الأمثلة، ويجري المقارنات، معتمدا لغة متميزة بمفرداتها وتراكيبها الجملية.. بصورها وظلالها..من أجل تقريب المعاني التي يتضمنها الخطاب، وهي في معظم الأحيان بعيدة عن متناول الحس القريب، موغلة في عالم الغيب"[٦٠].

٢-أحاديث الساعة وثواب الأعمال:

بسبب الغموض الذي يكتنف فهم الأحاديث التي تبحث في «علامات الساعة وأحداثها»، وفي «فضائل الأعمال وثوابها» والتي ضعفها عدد من أهل العلم وأنكرها آخرون، يقدم النورسي مجموعة من الأصول والقواعد العامة للاستهداء بها في فهم هذا القسم من الأحاديث دون الرجوع إلى منهج المحدثين وعلومهم وأدواتهم في التعامل مع الحديث، فهو يلجأ إلى أسلوبه في التدليل والمقارنة والاستنتاج معتمداً على الشاهد العقلي حيناً والشاهد الحسي حيناً آخر، والشاهد الوجداني أو الروحي حيناً ثالثاً[٦١]. ويصف هؤلاء العلماء الذين ضعفوا هذه الأحاديث بأنهم اغتروا بعقولهم، وتجاوزا حدوده؛ بأنهم "من أهل العلم المعتدّين بعقولهم... ومن ضعاف الإيمان المغرورين بعقولهم فذهبوا إلى إنكارها"[٦٢].

بيَّن في الأصل الأول: "أن الدين امتحان واختبار، يميز الأرواح العالية من الأرواح السافلة، لذا يبحث في الحوادث التي سيشهدها الناس في المستقبل بصيغة ليست

مجهولة ومبهمة إلى حد استعصاء فهمها، وليست واضحة وضوح البداهة التي لا مناص من تصديقها، بل يعرضها عرضا منفتحا على العقول، لا يعجزها ولا يسلب منها القدرة على الاختبار، فلو ظهرت علامة الساعة بوضوح كوضوح البديهيات، واضطر الناس إلى التصديق لتساوى عندئذ استعداد فطري كالفحم في خساسته مع استعداد فطري آخر كالألماس في نفاسته، ولضاع سر التكليف وضاعت نتيجة الامتحان سدى، فلأجل هذا ظهرت اختلافات كثيرة في مسائل عديدة كمسائل المهدي والسفياني، وصدرت أحكام متضاربة لكثرة الاختلاف في الروايات."

وقال في الأصل الثاني:"إن المسائل الإسلامية طبقات ومراتب، فبينما تحتاج إحداها إلى برهان قطعي – كما في مسائل العقائد – تكتفي الأخرى بغلبة الظن، وأخرى إلى مجرد التسليم والقبول وعدم الرفض، لهذا لا يطلب برهان قطعي وإذعان يقيني في كل مسألة من مسائل الفروع أو الأحداث الزمانية التي هي ليست من أسس الإيمان، بل يكتفي بالتسليم وعدم الرفض"[٦٣].

ويستمر بديع الزمان في عرض الأصول الأخرى، مركزاً على الأسباب التي أسهمت في تضعيف الحديث؛ فيشير إلى تسرب الإسرائيليات، وإقحام بعض أقوال الرواة أو المعاني التي استنبطوها من متن الحديث. وبهذه الأصول والقواعد يكون النورسي قد حدد منهجاً دقيقاً للتعامل مع قسم من الأحاديث الشريفة الذي ضعفه عدد من أهل العلم وأنكره آخرون. ولعل هذا ما يفسر استشهاده ببعض الأحاديث الضعيفة - عند علماء الحديث - في تفسيره وكتاباته الأخرى[٦٤].

وأخيرا فثمّة معيار مقارن لا يقل أهمية، وهو أن نظر النبوة والتوحيد والإيمان يرى الحقائق في نور الإلوهية والآخرة ووحدة الكون لأنه متوجه إليها. أما العلم التجريبي والفلسفة الحديثة فإنهما يريان الأمور من زاوية الأسباب المادية الكثيرة والطبيعة؛ لأنهما متوجهان إليها، فالمسافة إذن بين زاويتي النظر بعيدة جدا[٦٥].

٣-المعراج النبوي:

يحتلّ هذا الموضوع الذي تنفرد به الكلمة الحادية والثلاثون مساحة واسعة تقارب الأربعين صفحة[٦٦]، ويوليه النورسي اهتماما خاصا لكونه يترتب على أصول الإيمان وأركانه "فهو نور يستمد ضوءه من أنوار الأركان الإيمانية"[٦٧].

-وردت لمسات عن حقيقة المعراج في كتابات النورسي، موزّعة على نص الرسائل، لكنّه في هذه الكلمة يريد أن يلمها ويربطها مع أصل الحقيقة نفسها "لجعلها مرآة تعكس دفعة واحدة كمالات جمال الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) "[٦٨].

يلجأ النورسي وهو يتحدث عن (الظاهرة) موغلا في حقائقها وأبعادها إلى المرويات النبوية، كما أنه لا يستمد شيئا من المرويات التاريخية في كتب السيرة. وإنما يمضي، بعد إيراده المقطعين القرآنيين اللذين ترد فيهما الحادثة [٦٩] إلى ما وراء هذا كله لكي يبني على تأسيسات (الحديث) و (التاريخ) تحليله واستنتاجاته معتبرا إياهما، على ما يبدو، مسائل متفقا عليها ومقدمات للإيغال فيما وراء الوقائع المنظورة بحثا عن الجوهر والمغزى.

قسم بحثه إلى أسس أربعة، يعالج في كل منها جانبا من الظاهرة:

الأساس الأول: سر لزوم المعراج وحكمة ضرورته.

الأساس الثاني: حقيقة المعراج. يفسره بأنها: "عبارة عن سير الذات الأحمدي وسلوكه في مراتب الكمالات" الأساس الثالث: الجواب عن حكمته. وهو:"من الرفعة والسمو بحيث يعجز الفكر البشري عن إدراكها، وهي من العمق والغور بما يقصر عن تناولها، وهي من الدقة واللطف بما يدق عن أن يراها العقل بمفرده"[٧٠].

الأساس الرابع: ثمراته وفوائده. ذكر النورسي لفوائد المعراج خمس ثمرات هي: - "رؤية حقائق الأركان الإيمانية – كالملائكة والجنة والآخرة وحتى الذات الجليلة- رؤية عين وبصر.

تلقي أسس الإسلام وفي مقدمتها الصلاة.

مشاهدة كنوز السعادة الأبدية ودقائق النعيم المقيم، وتسلم مفتاحها وتقديمه هدية للإنس والجن.

رؤية جمال الله سبحانه وتعالى..

وأخيرا: تقييم الإنسان كائنا جليل القدر، مكرما محبوبا لدى الصانع الجليل"[٧١].

وهذا ما أراد النورسي أن بقوله باستعمال هذه المفردات الظاهرة، ويوغل في دلالاتها ومعانيها.

٤- المعجزات الأحمدية[٧٢]:

لقد أفاض النورسي في حديثه عن الإعجاز القرآني في رسائله، وخصَّص مساحة أيضا للحديث عن المعجزات النبوية. "وسر هذا الاهتمام أن النورسي يرى علاقة قوية بين الإعجاز القرآني والمعجزات النبوية، فإعجاز القرآن دليل على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، وصدق نبوَّته - ببرهان المعجزات النبوية - دليل أن القرآن الكريم من لدنه سبحانه وتعالى"[٧٣].

فإن النورسي المشهود له بالتعامل الجاد مع معطيات العقل، يمضي به في كلّ نسيج رسائله، جامعا إليه المعاينة البطانية، أو الخلفية الروحية للظواهر والأحداث ويوغل بشكل معمّق في بيان بُعْدِها المتعلّق بالغيب، فلا غرابة إذن إذا ما خص المعجزات الأحمدية من بين وقائع السيرة ومفردات السنة المزدحمة، بهذه الوقفة الطويلة، تماما كما فعل في تعامله مع (المعراج) ومع الأخبار بالغيب وأحاديث الساعة، ومع جل المقاطع التي أفردها للرسالة والرسول (صلى الله عليه وسلم). ويقيم رصده للمعجزة على الأحاديث الصحيحة التي أخبرت بها وتحدثت عنها، وليس على أقوال القصاص والرواة أو الإخباريين والمؤرخين، كما أنه لا يلجأ إلا في حالات محدودة إلى الأخذ بحديث ضعيف، وحينذاك فإن من حق القارئ أن يرفض المعجزة ما دامت لم تنقل إلينا بالمتفق عليه من مرويات السنة الشريفة. كما يشير النورسي نفسه إلى ذلك، إذْ أنَّ العديد من الخوارق لم يكن معجزات بقدر ما هو كرامة أو كما يسميه "إكرام إلهي وضيافة رحمانية"[٧٤].

- ان النورسي في مكتوبه التاسع عشر عن المعجزات الأحمدية، وانسجاما مع منظوره الماورائي للظواهر والأحداث، يخصص للمعجزات النبوية مساحة كبيرة تتجاوز

المائة والسبعين صفحة[٧٥]، فهي والحالة هذه أكبر مساحة خصصها النورسي لموضوع من موضوعات السيرة والسنة الشريفة.

- يتعامل مع أكثر من ثلاثمائة معجزة من معجزات عصر الرسالة، يختار لكل مجموعة منها عنوانا موحدا كما هو شأنه في التقسيمات الفنية لرسائله.

- يرى النورسي في المعجزة بحد ذاتها تصديقا من رب العالمين لدعوى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، أي كأن المعجزة تقوم مقام قول الله سبحان: صدق عبدي فأطيعوه[٧٦].

ويصنّف دلائل نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى قسمين:

أولهما: الحالات التي سميت بالإرهاصات، وهي الحوادث الخارقة التي وقعت قبل النبوة ووقت الولادة.

وثانيتهما: دلائل النبوة الأخرى التي تنقسم إلى قسمين:

أحدهما: الخوارق التي ظهرت بعده تصديقا لنبوته.

وثانيهما: الخوارق التي ظهرت في فترة حياته المباركة، وهذا أيضا قسمان:

أولهما: ما ظهر من دلائل النبوة في شخصه وسيرته وصورته وأخلاقه وكمال عقله.

والثاني: ما ظهر منها في أمور خارجة عن ذاته الشريفة، أي في الأفاق والكون، وهذا أيضا قسمان:

قسم معنوي وقرآني، وقسم مادي وكوني، وهذا الأخير قسمان أيضا:

أولهما: المعجزات التي ظهرت خلال فترة الدعوة النبوية، وهي أما لكسر عناد الكفار أو لتقوية إيمان المؤمنين.

وثانيهما الحوادث التي أخبر عنها (صلى الله عليه وسلم) قبل وقوعها – بما علمه الله سبحانه – وظهرت تلك الحوادث وتحققت كما اخبر[٧٧].

"وينبه بديع الزمان في النهاية على أساس مهم في التعامل مع الظواهر المعجزة للرسول صلى الله عليه وسلم وهو أن أحواله وأوصافه عليه السلام، المبينة في كتب السيرة والتاريخ تعكس فقط الجانب البشري من شخصيته في حين أن هذه الشخصية

النبوية أرفع من ذلك بكثير، ومن ثمّ، فكي لا يقع أحد في الخطأ، يلزمه وهو يسمع أوصافه صلى الله عليه وسلم البشرية الاعتيادية "أن يرفع بصره دوما عاليا لينظر إلى ماهيته الحقيقية وإلى شخصيته المعنوية الشامخة في قمة مرتبة الرسالة، وإلا أساء الأدب ووقع في الشبة والوهم"[٧٨][٧٩].

٥- منهاج السنة:

تضمّنت هذه الرسالة اللمعة الرابعة من اللمعات[٨٠]، والتي ارتأى النورسي تسميتها بـ (منهاج السنة)، معالجة موجزة لمسألة محبة آل البيت رضي الله. يستشهد النورسي بالآيتين الكريمتين من سورة التوبة: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رءوف رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٨١]، وبالآية (قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)[٨٢]. ينتقل النورسي في ضوء هذه الآيات من العام إلى الخاص، من رأفة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأمته كلها وشفقته عليها ورحمته بها، إلى محبته لآل البيت، وشفقته عليهم، ورحمته بهم، ودعوة المسلمين جميعا إلى التأسي به، وهو يضرب مثلا على مكانة الحسن والحسين رضي الله عنهما من نفس رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وهو يرى أن المنهاج المطلوب إزاء هذا كله هو عدم الإفراط والتفريط والاستقامة على الحد الوسط الذي اختاره أهل السنة والجماعة في محبة آل البيت، دونما غلو أو انحراف، تأسيا برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ويدعو سائر الأطراف إلى تجاوز النزاع "الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه"[٨٣].

٦- الإخبار بالغيب:

ذكر الأستاذ الإخبار بالغيب في صفحات عشر تنطوي عليها اللمعة السابعة[٨٤]، وعرض النورسي سبعة أنواع من أخبار الآيات الكريمة بالغيب، وما يجعلها ذات علاقة بالسيرة أنها تجيء تعقيبا على الآيات الكريمة[٨٥] من سورة الفتح التي تتحدث عن رؤيا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بدخول المسجد الحرام وتصديق الله سبحانه لها بالحق، وعن ظهور الإسلام على الدين كله، وعن صفات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه (رضوان الله عليهم).[٨٦]

ولا يجد النورسي نفسه ملزما بالرجوع إلى مصادر السيرة أو أسباب النزول، إنه – كشأنه في معظم الحالات- يستمد تحليله من مخزّناته المعرفية وذاكرته الحادة. وهو يتحدث في رسالته الموجزة هذه عما يسميه بوجوه إعجازية عديدة:

- الرؤيا التي تخبر إخبارا قاطعا بفتح مكة قبل وقوعه بسنتين.

- صلح الحديبية الذي وإن بدا ظاهرا أنه ليس في صالح المسلمين وأن لقريش ظهورا عليهم إلى حد ما، إلا أنه سيكون بمثابة فتح معنوي مبين ومفتاحا لبقية الفتوحات.

- دخول البيت الحرام والطواف حول الكعبة بأمان تام دونما خوف، بالرغم من أنَّ معظم قبائل الجزيرة العربية حوالي مكة، وغالبية قريش أعداء للمسلمين، وهو إخبار ينطوي أيضا على حقيقة أن الجزيرة ستدين للمسلمين بالطاعة، وستكون قريش في حظيرة الإسلام ويعم الأمن والأمان..

- ظهور الإسلام على الأديان كلها، علما أن النصرانية واليهودية والمجوسية التي يعتنقها مئات الملايين من الناس، كانت أديانا رسمية لدول كبرى كالصين وإيران وروما، والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) لم يظهر بعد ظهورا تاما على قبيلته نفسها.

- تقويم جيل الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) بأنهم أفضل بني الإنسان بعد الأنبياء عليهم السلام، وما ستتميز به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات ممتازة مختلفة خاصة بهم.

- الإخبار عن أوصاف الصحابة الواردة في التوراة والإنجيل وهي في حكم الغيب بالنسبة لرسول أمي (صلى الله عليه وسلم) [٨٧].

٧- مرقاة السنة وترياق مرض البدعة:

هذا هو الموضوع الآخر الذي يخصصه النورسي لسيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسنته[٨٨]، وهو يجيء هنا بمثابة دعوة مخلصة للالتزام بالسنة وعرض للمسوغات والنتائج التي تتمخض عنه. تبدأ هذه الدعوة بشاهدين من كتاب الله: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رءوف رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٨٩]، و﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ

اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّه﴾[٩٠]. يؤكد النورسي على القيمة العالية لاتباع السنة المطهرة، وبخاصة عند فساد الأمة واستيلاء البدع وغلبتها.. إننا هنا بإزاء العنوان نفسه، فإنه ليس ثمَّة من دواء لمرض البدعة كالالتزام المخلص الصادق بالسنة: "إن الاتباع المباشر للسنة المطهرة يُذَكِّرُ بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، وهذا التذكر ينقلب إلى استحضار الرقابة الإلهية، بل تتحول في الدقائق التي تراعى فيها السنة الشريفة أبسط المعاملات العرفية والتصرفات الفطرية كآداب الأكل والشرب والنوم وغيرها، إلى عمل شرعي وعبادة مثابة عليها.. وعلى هذا فإن بمقدور المرء، كما يستنتج النورسي أن يجعل عمره كله مثمرا ومثابا عليه[٩١].

وهو يشبه كل مفردة من مفردات السُنَّة بمؤشر البوصلة الذي يبين اتجاه الحركة في السفن فلا تضل المسار.. والمصباح الذي يضيء ما لا يعد ولا يحصى من الطرق المظلمة[٩٢]، ويقف عند الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[٩٣] فيراها إعلانا قاطعا عن مدى أهمية اتباع السنة ومدى ضرورتها، وبدون هذا الاتباع فليس ثمَّة محبَّة بين العبد وربه "أجل، إنّ من يؤمن بالله يطعه، ولا ريب أن أقصر طريق إليه وأكثرها قبولا لديه وأزيدها استقامة –ضمن طرق الطاعة المؤدية إليه – لَهِيَ الطريق التي سلكها وبينها حبيب الله (صلى الله عليه وسلم).." [٩٤].

وخَلُصَ النورسي إلى التأكيد على أنّه شاهد شخصيا هذه المعاني وتذوقها بنفسه عبر ألف تجربة وتجربة، وعَدَّها "أفضل دواء وأنفعه للأمراض الروحية والعقلية ولا سيما الاجتماعية منها" حيث عجزت كل الحلول الفلسفية والوضعية عن معالجتها [٩٥].

والرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) بشهادة الآية القرآنية له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٩٦]، ووَصْفُ عائشة (رضي الله عنها): "كان خلقه القرآن"[٩٧]، إنما هو "المثال النموذج لما بينه القرآن الكريم من محاسن الأخلاق، وهو أفضل مَنْ تمثلت فيه تلك المحاسن، بل إنه خُلُق فطرة على تلك المحاسن" وهكذا تصير كل أفعال هذا النبي العظيم وأقواله وأحواله وحركاته نموذج اقتداء للبشرية[٩٨].

٨- شواهد النبوة[٩٩]:

- أورد شواهد النبوّة في القسم الثالث من الشعاع الخامس عشر الذي يحمل عنوان (الحجة الزهراء)، بيّنها النورسي في خمس عشرة صفحة من (الشعاعات)[١٠٠]، عرض فيها شواهد النبوة وهو لم يضع لهذا القسم عنوانا، كما هو الحال في عدد من الموضوعات التي يعالجها.

- يبني النورسي موضوعه على "إشارتين" وخمس عشرة "شهادة" وتجيء الإشارة الأولى بمثابة تأكيد على ضرورة "النبوة" المحمدية لهذا العالم، أما الإشارة الثانية التي جعلها النورسي ضمن أوراده اليومية، فيوجز فحواها بالفقرة التالية: "محمد رسول الله صادق الوعد الأمين، بشهادة ظهوره دفعة مع أميته بأكمل دين، وإسلامية وشريعة، وبأقوى إيمان واعتقاد وعبادة، وبأعلى دعوة ومناجاة، وبأعم تبليغ وأتم متانة، خارقات مثمرات لا مثيل لها"[١٠١]

استعرض في هذا السياق جملة من شواهد نبوته، مثلا:

-"مع كونه أميا" لم يتعلم القراءة والكتابة، أتى بدين أوقع عقلاء أربعة عشر قرنا وفلاسفتها في حيرة وإعجاب وانبهار، وفاق الأديان السماوية".

-كما أن أحدا "لم يبلغ ما بلغه من معرفة الله، وهي حالة لا مثيل لها قط" هذا فضلا عن أنه "دعا الناس إلى الدين دعوة ملؤها الثقة، وبلغ رسالته بشجاعة وإقدام بحيث إن معارضة قومه وعمه والدول الكبرى في العالم، وأتباع الأديان السابقة وعدائهم، لم ينل منه الخوف ولا الإحجام قطعا بل تحدى العالمين، وظهر على الجميع.. وهي حالة لا مثيل لها".

أما الشهادة الثالثة فتستند إلى حقائق أركان الإيمان وصوابها ودلالتها القاطعة على رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) وصدقه[١٠٢].

والشهادة الرابعة هي القرآن الكريم نفسه فهو "يشهد ببيانه المعجز، وبحقائقه وحججه التي لا تعد ولا تحصى، على رسالته وصدقه (صلى الله عليه وسلم) "[١٠٣].

وأما الشهادات الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة، فتمضي للتعامل مع حشد آخر من دلائل النبوة، كعلاقته بالله سبحانه وصدق توجهه إليه، وإرهاصات "التاريخ" ووقائعه وخوارقه التي سبقت البعثة...

وتشير الحلقات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة، إلى شهادات أربعة طوائف ممن عايشوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهم آل محمد (صلى الله عليه وسلم)، وصحابته الكرام (رضي الله عنهم)، وآلاف المجتهدين والأئمة الأعلام والعلماء المحققين والفلاسفة الدهاة.. وصولا إلى (رسائل النور) التي هي "واحدة من أولئك الشهود الصادقين في هذا العصر الذين لا يحصون ولا يعدون"، فضلا عن شهادة الأقطاب وأصحاب الكرامات ورجالات الخبرة الروحية المتألقة في تاريخ الإسلام[١٠٤]. وتقدم الشهادة الثالثة عشرة، حججا قاطعة مستمدة من تأكيد مشاهير البشر في الأزمنة الماضية على نبوة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفي مقدمتهم الأنبياء الكرام (عليهم السلام)، فضلا عن "العارفين والكهان والروحانيين... وكذا كثرة من المخبرين " الذين أرهصوا جميعا بمجيئه وبصدق رسالته [١٠٥].

والشهادة الرابعة عشرة هي "شهادة الكون القوية".

أما الشهادة الخامسة عشرة والأخيرة فتنطوي على جملة من الأدلة والشهادات.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أخلص إلى ما يأتي:

١- تناول النورسي للسيرة النبوية بمنهج تفرد به وهو منهج متميّز عن منهجي المحدث والمؤرخ، لأنه يوظف المادة التاريخية، وأكثر من هذا يعتمد "الحديث" في بناء مادته، لكنه يذهب إلى ما وراء التاريخ، ويوغل باستمرار في دلالات الحديث وجذورها الضاربة في عالم الغيب.

٢- اعتماده على الموضوعات الغيبية في السيرة: المعجزات، والمعراج، والإخبار بالغيب، وأحاديث الساعة وثواب الأعمال؛ وهي موضوعات غيبية لا تتعامل مع الحدث التاريخي كما تعرضه مصنفات السيرة، وإنما تمضي إلى جذوره ودلالاته الموغلة فيما وراء عالم الشهود، وجوانب متفرقة في السيرة من مثل:

- ضرورات الالتزام بالسنة النبوية والنتائج المترتبة عليه.
- منهاج السنة في مسألة محبة آل البيت.

– ملامح من الرسالة الأحمدية تمس المفردات التالية مسا سريعا: الرسول (صلى الله عليه وسلم) كدليل إلى الله سبحانه، شهود الإثبات على رسالته، الأهداف الأساسية والتحولات الكبرى، القدرة على التغيير، الصدق المطلق، المصير البشري والكوني، الحرص على إنقاذ الإنسان، ثم.. كتاب الله سبحانه باعتباره الشاهد الأكبر على نبوته (صلى الله عليه وسلم).

المصادر والمراجع:

-ابن كثير اسماعيل ابن عمر الدمشقي أبو الفدا: تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار السلام، الرياض،ط٢، ١٩٩٨م.

-أحمد أحمد مختار عمر و آخرون: المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة. ط ٤،بيروت،لبنان،١٩٨٩م.

– الأسس العلمية في منهج الدعوة وتأثير البعد الروحي، بحث الماجستير الشيخة ورغي اشراف عبد الحليم بوزيد، جامعة العقيد لخضر بباتنة الجزائر١٤٢٨هـ/٢٠٠٨.

– بديع الزمان سعيد النورسي: كليات رسائل النور(٩)،سيرة ذاتية، الطبعة الثانية، إعداد وترجمة :إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ١٩٩٨ م.

– بديع الزمان النورسي وأثره في الفكر والدعوة، حسن عبد الرحمن بكير.

– بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي :رسائل النور :الكلمات، دار النصر للطباعة، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م.

– التهانوي محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون , تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و النشرالقاهرة، د.ط، ١٩٦٣م.

– سنن أبي داود، المحقق: شعَيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية،ط١، ٢٠٠٩م.

– سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب،١٩٨٦م.

– شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين، تعليق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا،القاهرة، الطبعة الأولى،٢٠٠٥م.

– الصارم المسلول على شتائم الرسول، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨م.

– عماد الدين خليل: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور، المؤتمر العالمي الثالث حول فكر بديع الزمان.

– فلسفة الإصلاح التربوي عند النورسي، أحمد علي سليمان، الملتقى الدولي حول" الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد بن باديس وبديع الزمان النورسي"، أبريل ٢٠١٣م.

- الكلمات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إستانبول،١٩٩٢م. وقد سميت الرسالة في "المثنوي العربي النوري": "رشحات من بحر معرفته (صلى الله عليه وسلم)"، ووردت بنصها في الرسالة الثانية من المثنوي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، مطبعة الزهراء، الموصل –١٩٨٨.

- لسان ابن منظور، دار صادر، بيروت،ط.

- المثنوي العربي النوري، دار السنابل الذهبية، بديع الزمان سعيد النورسي، استنبول، الطبعة الأولى ١٤٢٩ه – ٢٠٠٩م.

- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث،القاهرة، ط١، ١٩٩٥ م.

- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- المكتوبات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر استانبول – ١٩٩٢ م "وهو المجلد الثاني من كليات رسائل النور"، واللمعات ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، إستانبول –١٩٩٣ م "وهو المجلد الثالث من كليات رسائل النور". و"الشعاعات" ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، استانبول –١٩٩٣ م "وهو المجلد الرابع من كليات رسائل النور".

- النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور. ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلرللنشر، فرع القاهرة،ط١٩٩٩،٣م.

- النورسي، الشعاعات،ترجمة احسان قاسم الصالحي، دار سوزلر، فرع القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

- النورسي، اللمعات، ترجمة احسان قاسن الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة.

الهوامش:

[١] كلية الآداب /جامعة ابن زهر أكادير المغرب

[٢] بديع الزمان سعيد النورسي :كليات رسائل النور (٩) سيرة ذاتية:٣٥.

[٣] سيرة ذاتية:٣٥.

[٤] فلسفة الإصلاح عند النورسي:٨.

[٥] فلسفة الإصلاح عند النورسي:١٣.

[٦] اللسان (مادة:بعد).

[٧] فصلت:٤٤.

[٨] تفسير القرآن لابن كثير (٣٣١/٤).

[٩] اللسان (مادة:بعد).

[١٠] اصطلاحات الفنون للتهانوي (١٤٦/١).

[١١]:المعجم العربي الأساسي، أحمد مختار عمر و آخرون:165 .

[١٢] الكلمات للنورسي:٧٠.
[١٣] المرجع نفسه:٧٩٩.
[١٤] المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي:٢٦٢-٢٦٣.
[١٥] انظر: شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين:٣٧.
[١٦] يوسف:١٤.
[١٧] ولا يناقض ما قررناه آنفا.
[١٨] انظر: الصارم المسلول لابن تيمية:٥١٩، زيادة الإيمان ونقصانه لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:٣٥ وما بعدها.
[١٩] البقرة:٣.
[٢٠] التوبة: ٦١
[٢١] يوسف: ١٧
[٢٢] الشعراء: ٢٢٧
[٢٣] ١٦٥/١
[٢٤] الحجرات:١٤.
[٢٥] البقرة:٨٢.
[٢٦] انظر:زيادة الإيمان ونقصانه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:٣٣.
[٢٧] انظر: الفتاوى لابن تيمية(٧/٢٩٠-٢٩٣)،٧/٥٢٩-٥٣٤)، زيادة الإيمان ونقصانه، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:٣٣وما بعدها.
[٢٨] كليات رسائل النور-الكلمات:٣٤٨.
[٢٩] المثنوي العربي النوري، بديع الزمان سعيد النورسي:١١٨.
[٣٠] النورسي وأثره في الفكر، حسن بكير:٧٤.
[٣١] النورسي: الملاحق في فقه دعوة النور: ٧٠ - ٧١.
[٣٢] انظرللتفصيل: النورسي وأثره في الفكر:٧٤-٩٣.
[٣٣] ملحق أميرداغ:395 .
[٣٤] ملحق قسطموني:202 .
[٣٥] ملحق أميراغ: ٢٣٢.
[٣٦] ملحق بارلا:٣٣-٣٤
[٣٧] أنظر ملحق اميرداغ:٢٨٨.
[٣٨] انظر البعد الروحي في منهج الدعوة:٢٧٠.
[٣٩] سيرة ذاتية:543 .
[٤٠] الشعاعات:337 .
[٤١] انظر الأسس العملية في منهج الدعوة عند النورسي وتأثير البعد الروحي، الشيخة ورغي:٢٠٩.
[٤٢] المكتوبات: ٣٩٥- ٣٩٦.
[٤٣] المكتو بات،:٥٧١.
[٤٤] أخرجه مسلم (كتاب التوبة،باب فضل دوام الذكر والفكر).
[٤٥] أخرجه مسلم (كتاب التوبة،باب فضل دوام الذكر والفكر).
[٤٦] الأسس العلمية في منهج الدعوة:٢١٠.
[٤٧] انظر الصفحات:٦٢ – ٦٣، ٧٢ – ٧٦، ٩٦ – ٩٧، ١١٨ – ١١٩، ٤١٧، ٨٣١ – ٨٣٢.
[٤٨] (الصفحات ٢٨-٣٨)

[٤٩] (الصفحات ٤٠-٤٩)
[٥٠] (الصفحات ٨٠-٩٦)
[٥١] وهي اللمعات في الصفحات:١٢٤، ١٢٥، ١٣٨ – ١٤٤، ١٥٣ – ١٥٥، ١٦١، ١٩٤ – ١٩٥، ٥٣٦ – ٥٣٨، ٥٥٣ – ٥٥٦.
[٥٢] (الصفحات ١١١-٢٨٧)
[٥٣] منها الصفحات: ٣٩١ – ٣٩٧، ٤٩٥ – ٤٩٩.
[٥٤] (الصفحات ٦٥٤-٦٦٩)
[٥٥] الصفحات: ١٠٤ – ١١١، ١٦٦ – ١٧٤، ١٧٨، ٢٧٥ – ٢٧٦، ٣١٣ – ٣١٤،٦٣٨ – ٦٣٩، ٦٧٦ – ٦٨٠.
[٥٦] النورسي وأثره في الفكر:١٣٠.
[٥٧] تعالج الكلمة ٣١ المعراج النبوي "الكلمات: ٦٦٦ – ٧٠٦"، وتعالج الرسالة ١٩ جوانب من الرسالة الأحمدية "الكلمات:٢٥٤ –٢٦٨".
[٥٨] سعيد القديم: هو اللقب الذي يطلقه النورسي على نفسه قبل قيامه بتأليف رسائل النور"١٩٢٧م" وقبل أن يأخذ "سعيد الجديد" على عاتقه مهمة إنقاذ الإيمان.
[٥٩] المكتوبات: ٢٥٦.
[٦٠] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور، عماد الدين خليل: ٤.
[٦١] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور:٥.
[٦٢] الكلمات: ٣٨٦. قلت: الحديث يخضع للضوابط التي وضعها المحدثين وليس لمجرد العقل.
[٦٣] الكلمات: ٣٨٧ – ٣٨٨.
[٦٤] النورسي وأثره في الفكر:١٣٦.
[٦٥] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور: ٥.
[٦٦] الكلمات ص: ٦٦٦- ٧٠١.
[٦٧] الكلمات: ٦٦٦.
[٦٨] الكلمات: ٦٦٦.
[٦٩] الكلمات: الآية ١ من سورة الإسراء، والآيات ٤-١٨ من سورة النجم.
[٧٠] الكلمات: ٦٨٤.
[٧١] الكلمات: ٦٩٥ – ٧٠١.
[٧٢] انظر للتفصيل: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور:٢.
[٧٣] النورسي وأثره في الفكر:١٣١.
[٧٤] المكتوبات:١٧٣.
[٧٥] (١١١-٢٨٧)
[٧٦] المكتوبات:١١٤.
[٧٧] المكتوبات: ١١٦ -١١٧.
[٧٨] المكتوبات: ١٢٣ –١٢٤.
[٧٩] االنورسي وأثره في الفكر:١٣٣.
[٨٠] الكلمات ص: ٢٨-٣٨.
[٨١] التوبة:١٢٨-١٢٩.
[٨٢] الشورى:٢٣.
[٨٣] اللمعات:٣٨.
[٨٤] اللمعات ص: ٤٠-٤٩.

[٨٥] اللمعات ص: ٢٧ - ٢٩.
[٨٦] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور:١٤.
[٨٧] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور:١٤.
[٨٨] اللمعات:٨٠-٩٦.
[٨٩] سورة التوبة، الآيتان ١٢٨ –١٢٩.
[٩٠] سورة آل عمران، الآية ٣١.
[٩١] اللمعات:٨١.
[٩٢] اللمعات:٨٢.
[٩٣] سورة آل عمران، الآية ٣١.
[٩٤] اللمعات: ٨٤ – ٨٥، وانظر أيضا ص:٩٠ –٩٤.
[٩٥] اللمعات: ٨٩ – ٩٠ وانظر: ٩٤ – ٩٥.
[٩٦] سورة القلم، الآية ٤.
[٩٧] جزء من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب:باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض).
[٩٨] اللمعات: ٩٥.
[٩٩] انظر: الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائل النور:٥.
[١٠٠] الشعاعات: ٦٥٤-٦٦٩.
[١٠١] الشعاعات: ٦٥٥ – ٦٥٦.
[١٠٢] الشعاعات: ٦٥٧ – ٦٥٨.
[١٠٣] الشعاعات: ٦٥٩.
[١٠٤] (٦٢) انظر: الشعاعات ص٦٦١ – ٦٦٣.
[١٠٥] (٦٣) نفسه ص٦٣٣ – ٦٦٦.

ثلاثون رسالة إلى الباحثين الشباب في رسائل النور[1]

أ.د. عبد الحكيم الأنيس[2]

الملخص

هذا بحثٌ يشتملُ على ثلاثين رسالة، موجهة إلى الباحثين الشباب، الذين يتناولون في مرحلة دراساتِهم العليا (رسائلَ النور) للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، بالنظرِ التأمُّلي، والبحثِ الهادفِ، والدراسةِ التحليليةِ الكاشفةِ.

وفي هذه الرسائل الثلاثين: خططٌ توجيهيةٌ، ووصايا منهجيةٌ، ونصائحُ تربويةٌ، يُرادُ بها الارتقاءُ بالمستوى البحثي للطالب الباحث، ودلالتهِ على ما ينفعُه في عملية القراءةِ، وجمعِ المادة، والتصنيفِ، وتشييدِ بناء أطروحته تشييدًا صالحًا.

وهي تختصرُ له الوقت، وتوفرُ عليه الجهد، وتزوِّدُه بتجارب ضرورية، وتأخذُ بيده إلى ما هو الأفضلُ، والأكملُ إنْ شاء الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: رسالة، الباحثين، الشباب، رسائل النور، النورسي

Thirty letters to young researchers in Risale-i Nur

Prof. Dr. Abdul Hakim Al-Anees

Abstract:

This is a research that includes thirty theses, addressed to young researchers, who, in their postgraduate studies, deal with the Risalat al-Nur by Professor Badiuzzaman Saeed Nursi, with a contemplative view, purposeful research, and revealing analytical study.

In these thirty messages, guiding plans, methodological recommendations, and educational advice are intended to raise the research level of the student researcher, and to indicate what will benefit him in the process of reading, collecting material, classifying, and constructing the building of his thesis in a valid

manner. With necessary experiments, and take by his hand to what is the best and most perfect, God willing.

This research was presented at the Fifth Symposium for Young Academics at the Istanbul Foundation for Science and Culture in Istanbul in 2013.

Keywords: Message, Researchers, Youth, Risale-i Nur, Nursi

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعدُ:

تقدّمت بهذه الورقة البحثية[٣] البحث للباحثين المهتمين بالدراسة الأكاديمية لرسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله)، واخترت (ثلاثون رسالة إلى الباحثين الشباب في رسائل النور) عنوانا لها.[٤]

وأبدؤها بـ:

الرسالة الأولى وهي أنني أتشرَّفُ بدعوتكم أنْ تقرؤوا: (القواعد الخمسون أو الخطوات الخمسون في قراءة رسائل النور) عسى أنْ تجدوا فيها ما ينفعكم، وعسى أنْ أنال أجرًا ما بانتفاعِكم بها.

الرسالة الثانية:

أدعوكم إلى الإضافة عليها بما ينقدحُ في أذهانكم، وما تتفتقُ عنه تجربتُكم، فلكل باحثٍ تجربة، ولكل باحثٍ منهج، فعسى أنْ تزيدوا عليها ما ترونه نافعًا في زيادة العلم بهذه الرسائلِ والفهمِ عنها.

الرسالة الثالثة:

تعلَّموا من الأستاذ النُّوْرْسي التأمُّلَ، وكيفيةَ التأمُّل، فإنَّ العلم والبحث والتأليف والعمل العلمي أحوجُ ما يكون إلى التأمُّل الطويل، وبغير تأمُّل لا يمكن أن يكون هناك بحث ناضج، وبغير نار هادئة لا يمكن للطعام أنْ ينضِج، بل ربما احترقَ وفسدَ، فإذن مِن القواعد الأساسية التي نضيفها اليوم على القواعد الخمسين نقول: تعلَّموا من النُّوْرْسي التأمُّلَ وكيفيةَ التأمُّل.

الرسالة الرابعة:

تعلَّموا منه التفرُّغَ التامَّ للعلمِ، واتخذوا الوسائلَ اللازمةَ لذلك، ومِن أهمِّ هذه الوسائل: التقلُّلُ ما استطعتم من الموانع، يقولُ الإمامُ أبو حنيفة -رحمه الله-: "يُستعان على جمْع الهمِّ بحذف العلائق"[٥]، ويقولُ الإمامُ الزاهدُ الجبلُ بشر بن الحارث الحافي: "لا تُؤثروا على حذفِ العلائق شيئًا"[٦]، أي لا تُقدِّموا على حذفِ العلائق شيئًا، فبغير هذا لا يمكنُ للإنسان أنْ يفرغ للعلم والبحث، وأنْ يأتي منه فيما بعدُ عالمٌ بمستوى التحديات، وبالمستوى المطلوب في هذه المرحلة الراهنة.

الرسالة الخامسة:

دقِّقوا في ما تقرؤون، وأمعنوا النظرَ فيما قرأتم مرارًا وتكرارًا لتكونوا على ثقةٍ مِن فهمكم، يقولُ الإمامُ الشافعي -رحمه الله-: "مَنْ تعلَّمَ علمًا فليدقِّقْ فيه، لئلا يضيع دقيقُ العلم"[٧].

الرسالة السادسة:

إذا نسبتم إلى إنسانٍ فهمًا لم يفهمه، أو قولًا لم يقله، أو فكرةً لم يَعرضها حين ذلك تكونون قد أتيتم زورًا، وتحمّلتم إثمًا.

الرسالة السابعة:

للعلم والبحث والتأليف في تراثنا وتاريخنا وتقاليدنا العلمية الرصينة المؤصلة آدابٌ مقررةٌ، وأخلاقٌ محررةٌ، فاسمحوا لي أنْ أذكر لكم، وأنْ أطلبَ منكم، أنْ تقرؤوا بعنايةٍ في بداية بحثكم الكتبَ المهمة:

"تعليم المتعلم طرق التعلّم" للشيخ الزرنوجي.

و"تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" للإمام ابن جماعة.

و"الدر النضيد في آداب المفيد والمستفيد" للإمام بدر الدين الغَزي.

هذه الكتب عونٌ لكم على بلوغ ما تصبون إليه مِن منزلة علمية رفيعة راقية، واستفادة وإفادة.

الرسالة الثامنة:

اقدحوا عزائمَكم بالمُشِّجعات، والمُنبِّهات، والمُوقظات، ومن المهم أن تقرؤوا الكتاب الرائع: "الحث على طلب العلم" لأبي هلال العسكري، والكتاب الرائع المهم: "الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ" لابن الجوزي.

واقرؤوا سيرَ العلماء الكبار، التي تقدحُ عزائمَكم، ومنهم الإمام النُّوْرْسي، فإنَّ سيرته مُعلِّمة مُفهمة مُحفزة، نعم إنَّ في قراءة هذه السير تنشيطًا للعزائم، وإثارة للهمم.

الرسالة التاسعة:

أقترحُ أنْ تقرؤوا (الأعمال الكاملة) للأستاذ النُّوْرْسي حسب تسلسلها، وأنا هنا أدعو أو أقترحُ القيامَ بطبعة أخرى للكليات تكون بهذا العنوان: "الأعمال الكاملة للأستاذ النُّوْرْسي" يُراعى فيها التسلسل؛ ليظهر أولُ ما ألفه الأستاذ، وآخرُ ما ألفه، وتكون موجهةً للباحثين، وفي كلام الأستاذ إشاراتٌ إلى ذلك، فهو قد أحال في "الكلمة الخامسة والعشرين"^ إلى الرسائل العربية ضمن "المثنوي العربي النُّوري"، وأحال إلى "إشارات الإعجاز"، فحبّذا تقديمُهما.

إذن حبّذا أنْ يَقرأ القارئ هذه الأشياء المحال عليها قبل أنْ يصل إلى (الكلمات).

وحبّذا أنْ تأتي السيرة في المجلد الأول؛ ففي قراءتها أولًا عونٌ على فهم معانيها.

وحبذا أنْ يُغير عنوان "صيقل الإسلام" إلى عنوانٍ يُظهِر باقي الرسائل السبعة التي اجتمعتْ مع الرسالة الأولى في هذا المجلد، وهي ثماني رسائل.

ومن المهم جدًا أنْ تُقرأ رسالة (قزل إيجاز) قبل الرسائل، والأستاذ يقول: "رأيتُ أنها جديرةٌ بلفت أنظار العلماء مِن طلاب رسائل النور إليها وبيان مدى ارتباطها برسائل النور..."، الأستاذ كتبَ بالطريقة الإسلامية المتبعة، ومصطلحاتُه مصطلحات العلماء المقررة المحررة التي درجوا عليها مئات السنين، فقراءةُ المنطق وفهم مصطلحاته معينٌ كبيرٌ على فهم الرسائل.

ومن الممكن أن يقوم كلُّ باحث منكم، أو باحث جاد نابه فاضل منكم، بمحاولة هذا الترتيب المقترح ترتيبًا تاريخيًا، ويلزمكم لتحقيق هذا:

١- أنْ تقرؤوا الرسائل كلها قراءة دقيقة، لتعرفوا كيف شُكِّلت، وكيف تكونت، والسابق واللاحق منها.

٢- وأنْ تقرؤوا السيرة الذاتية.

٣- و"نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النورسي"، وهذا الكتاب الثاني -وإنْ كان مختصرًا- إلا أنه لا بُدَّ منه، ففيه أشياء لا توجد في السيرة الذاتية المطولة، وهذان الكتابان كما تعلمون تفضلَ اللهُ وتكرَّمَ على الأستاذ إحسان قاسم الصالحي بكتابتهما.

٤- وأنْ تقرؤوا كذلك كتاب "الإسلام في تركيا الحديثة" لشكران واحدة، ففي هذا الكتاب كذلك ما يُعينكم على فهم التسلسل التاريخي للرسائل.

٥- وأنْ تقرؤوا "الشهود الأواخر" لنجم الدين شاهين آر، وكما قلتُ: إن هذا الكتاب وعاء زمني ومكاني لرسائل النور.

وقد أفاد الأستاذُ إحسان أنّ ترتيبَ الرسائل في مواقعها ضمن الكليات هو من توجيه الأستاذ نفسه[٩]، فإذا لم يُر القيام بترتيبٍ آخرٍ فحبذا كتابة بحث بعنوان: "تاريخ مؤلفات بديع الزمان" يُبيَّن في هذا الكتاب تاريخ كل كتاب، أو رسالة، أو مقالة، وموضع التأليف، ومصير ذلك الكتاب أو تلك المقالة، وموضع هذا الكتاب أو المقالة أو الرسائل ضمن (الكليات) في وضعها القائم. ويمكن الإفادة من المخطط الموجود في نهاية المجلد الثالث.

الرسالة العاشرة:

ابحثوا عن خصائص المجموعات الآتية:

(عصا موسى)، و(ذو الفقار)، و(الطلاسم)، و(سراج النور)، و(الموازنات)، لماذا أُفردها الأستاذُ بهذه العناوين؟ ما مضمونُها؟ ما أهدافُها؟ وهل من الممكن أن يُكتب في هذه الخصائص بحث، وأظنُّه سيكون بحثًا مهمًا في فهم فلسفةِ الرسائل وأهدافِها، ومعرفةِ طبيعةِ المخاطَب بها والمتلقي لها، وما نحتاجه منها في البيئات المختلفة التي نكون فيها، والأزمنة المتعددة التي نعيش فيها.

الرسالة الحادية عشرة:

للبحث العلمي عند الأستاذ النُّوْرْسي شروطٌ خمسةٌ، ومن الواجب في دراسة الرسائل أنْ تكون هذه الشروط حاضرةً في أذهانكم وأوراقكم وصفحاتكم وأقلامكم، وهي شروطٌ أساسيةٌ تلخِّصُ منهجَ البحث العلمي الذي نتطلع إليه ونطمح إليه، يقول الأستاذ:

١."من شأن المحقق سبر غور الموضوع".

٢."والتجرُّد من المؤثرات الزمنية". أي: (الإنصاف التام).

٣."والغوص في أعماق الماضي". أي للحصول على تجارب الآخرين. (الدراسة المقارنة).

٤."ووزن الأمور بموازين المنطق". أي دراسة بحتة دون تدخُّل العواطف. (البحث العقلي المجرد).

٥."ووجدان منبعِ كل شيءٍ ومصدره"[١٠]. (أي الأمانة العلمية وعزو النقول، ومعرفة مصادر الفكرة التي يدرسها).

هذه الشروط الخمسة هي أساس المنهج البحثي العلمي الرصين الذي إذا اتبعه كلُّ واحد منّا كان بحثُه -إنْ شاء الله- بحثًا ناضجًا نافعًا ناجحًا يحقِّق هدفه وغرضه.

الرسالة الثانية عشرة:

اقرؤوا رسائل النور مرةً لأنفسكم، ومرةً لقلوبكم، ومرةً لعقولكم، ثم بعد هذا اقرؤوها مرة رابعة لغيركم.

يُخطئ الباحثُ عندما يخلط بين هذه الأمور، فللنفسِ نصيبٌ، وللقلبِ نصيبٌ، وللعقلِ نصيبٌ، وللغيرِ نصيبٌ أيضًا، وهذا الأستاذ يقولُ عن بعض ما كتبَ -وهو القدوة في هذا الباب-: "سبحان الله لقد قرأتُ هذا أكثر مِن ثمانين مرة، لم أفهمه مثلما فهمتُه اليوم"[١١].

الرسالة الثالثة عشرة:

استحضروا دائمًا أنَّ هدف رسائل النور إيجادُ الإنسان السعيد في دنياه، الناجي في أخراه.

إنَّ الرحلة كلها تتلخص بين هاتين المفردتين: السعادة والنجاة، ولا يجوز لنا أنْ ننحرف عن هذا الهدف أو نحيد عنه.

الرسالة الرابعة عشرة:

أقترحُ في الدراسة أنْ تأخذوا موضوعًا واحدًا غيرَ كبير، أو فكرة واحدة، وابحثوا عنها بعمق وتغلغلوا فيها بصدق، واستصحبوا الصبرَ في استخراج كل ما يتعلق بها، هذا عصر التخصص الدقيق، وليس من المقبول في نظري أنْ يكتب طالبٌ: "علوم القران في رسائل النور"، فعلومُ القرآن عند السيوطي مثلًا ثمانون نوعًا، وفي رسائل النور من هذه الأنواع الكثير، فكيف ستكون الدراسة ناضجةً مستوعبةً وأنتَ تعالج كل هذه الأنواع في صفحاتٍ محدودةٍ وسنواتٍ معدودةٍ! ثم ماذا ستتركُ لغيرك إذا أنتَ أخذتَ هذا الموضوع وأحرقتَه، ولربما لم تُوفق فيه، ويأتي الآخرُ فيقول: قد دُرِسَ هذا الموضوع ويُعرض عنه.

الرسالة الخامسة عشرة:

يساعدُكم على فهم أفضل لرسائل النور أنْ تقفوا على الحركة العلمية في تركيا والعالم الإسلامي، ولا بُدَّ لهذا من قراءة:

١.الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية.

٢.العقد المنظوم في علماء دولة الروم.

٣.سلَّم الوصول الى طبقات الفحول لكاتب جلبي (حاجي خليفة) الذي يرقدُ على مقربةٍ منا. (وهذا الكتابُ ليس خاصًا بعلماء الدولة العثمانية).

الرسالة السادسة عشرة:

يساعدُكم على فهم أفضل لرسائل النور أنْ تقفوا على تاريخ الدولة العثمانية في نشأتها، وسقوطها، وأسباب كل ذلك، وما تعرضتْ له من التحديات، ومن الكتب المرشحة لهذا الموضوع: كتاب "الدولة العثمانية المجهولة" للدكتور أحمد قوندوز وزميله الدكتور سعيد.

الرسالة السابعة عشرة:

يساعدُكم على فهمِ رسائل النور تطبيقُها، فإذا قرأتم "رسالة الإخلاص" فحاولوا أن تتمثلوه، وإذا قرأتم "رسالة الاقتصاد" فطبقوا الاقتصاد، وإذا قرأتم "رسالة رمضان" فاستحضروها في صيامكم، وهكذا...

عندئذ يبدو لكم ما لم يبدُ، وتعيشوا مشاعرَ لم تعيشوها من قبل.

الرسالة الثامنة عشرة:

بإمكانكم أنْ تستفيدوا مِن رسائل النور لمعالجة أوضاعكم وأوضاع بلادكم. فإذا كنتم في الهند فاكتبوا عن التوحيد، ودلائل التوحيد، ومهمة التوحيد، واستخرجوا من الرسائل ما يكون رسائلَ الى أهل تلك البلاد: وقد أثر فيّ كثيرًا وأنا في الهند قولُ الأستاذ -رحمه الله-: "إنَّ عدم الاعتقاد بالله الواحد الأحد يستلزمُ الاعتقادَ بآلهةٍ متعددةٍ بعدد الموجودات"[١٢]، تمثَّلَ لي هذا القول هناك خيرَ تمثيلٍ، وفهمتُه خيرَ فهمٍ وأنا أمشي وأنظر، وقد زرنا المساجد والمعابد كذلك.

يا إلهي كأنَّ الأستاذَ عاشَ هنا وعبَّرَ عما يعيشُ أهلُ هذه البلاد: الهند، حيث تكاد المعبوداتُ تكون بعدد العابدين، فما يخطرُ في بالكم مِن شيء إلا وهو معبودٌ من المعبودات، فإذن بإمكاننا أنْ نستفيدَ مِنْ رسائل النور لمعالجة أوضاع بلادنا، ولكل بلدٍ خصائص، ولكل بلدٍ مشاكلُ ومشكلات، فاختيارُ موضوعٍ يمسُّ طبيعة تلك البلاد، ويعالجُ ما فيها من مشاكل ومشكلات هو مِن الموضوعات المقترحة، وهو مِن الموضوعات المهمة التي ينبغي أنْ يُركزَ عليها وأنْ يُنظرَ إليها.

الرسالة التاسعة عشرة:

بإمكانكم أنْ تستخرجوا من الرسائل دواءً لهذه الأمة ومشكلاتها، فإذا رأيتم -مثلًا- التشرذُمَ والتفرُّقَ والتناحرَ والعداوةَ والبغضاءَ والشحناءَ -كما نرى اليوم من أوضاع أمتنا- فعليكم أن تستخرجوا من الرسائل الدعوةَ الى الوحدة والتوحد، منطلقين مِن قول الأستاذ: "لقد قلتُ مئة مرة وأعيدُها أيضًا: أنه لا بُدَّ من الوفاق والتصالح بين أهل المدارس الفقهية، والمدارس الحديثة، والزوايا الصوفية لأجل وحدة الهدف"[١٣].

نعم لا بُدَّ من الوفاق والتصالح، ولابد من تقديم التنازلات، لا بُدَّ من العودة إلى هذه الأهداف الكبرى التي توحد أمتنا، وتجعلها بمستوى التحديات المعاصرة التي تمرُّ بها، ونحن نمرُّ الآن بمنعطفٍ خطيرٍ، وتستهدفنا هجماتٌ شرسةٌ لم نرها منذ عشرات السنين، ربما منذ سقوط الخلافة العثمانية إلى اليوم، ونرى محاولة تقسيم العالم الاسلامي ومحاولة التفتيت والفوضى الخلاقة، فما أحوج علماء الامة والباحثين والدارسين – كل في موضعه– أنْ يتصدى لهذه الهجمات الشرسة منطلقين مِن قول الأستاذ هذا، ومنطلقين مِن قوله الآخر إذ كان ينادي ويقول: "لو تمزقنا فلنْ نستطيعَ أنْ نفعلَ شيئًا قط"[١٤]، نعم لو تمزقنا فلنْ نستطيع أن نفعل شيئًا قط.

الرسالة العشرون:

تعلَّموا من الأستاذ منهجَ التفكير الصحيح، وهذا المنهجُ مبثوثٌ في سَيْره وسيرته ومسيرته، ومن ذلك قولُه: "نحن لا نجري خلف الكرامات، والكشوفات والمقامات، الدخول من الشباك ينافي العقل والبابُ موجودٌ ومفتوحٌ"[١٥]. لماذا نلجأ إلى الشباك وهذا الباب مفتوح؟

ومِن ذلك قولُه: "انظرْ بحُسن، وشاهدْ بحُسن؛ ليكون فكرك حسنًا، وظنَّ ظنًا حسنًا، وفكرْ حسَنًا؛ لتجد الحياة اللذيذة الهانئة"[١٦].

ومِن ذلك قولُه: "لا قيمةَ لبصر بلا بصيرة"[١٧].

واحفظوا شعارًا من شعارات البحث العلمي الأصيلة التي اتبعها الأستاذ وبثَّها وهو قوله العالي: "إنَّ الحق أغنى مِنْ أنْ يدَّلِس، ونظر الحقيقة أعلى مِنْ أنْ يُدَلَّس عليه"[١٨].

الرسالة الحادية والعشرون:

لا تُقدِّموا على منهج القرآن أيَّ منهج آخر في البحث والسلوك، وانظروا إلى قول الأستاذ: "الطرقُ المؤديةُ إلى الله ثلاثة، وهي: الفلسفة، والعلم، والدين.

الطريق الأول: حفر الأنفاق تحت الأرض للوصول (يعني الفلسفة).

الطريق الثاني: المضي في الطريق على سطح الأرض (ويعني العلم).

الطريق الثالث: هو الأقصر والأسرع: الذهاب طائرًا، وهذا الطريق هو طريق الدين وسبيل القرآن"[١٩].

فإذن هذا منهجُه في البحث: العودة الى القرآن، مِن هنا أسَّسَ علمَ كلامٍ جديدًا مؤسسًا ومنطلقًا من كليات القرآن.

الرسالة الثانية والعشرون:

تعلَّموا من الأستاذ بعضَ العاداتِ العلميةِ، والتقاليد العلمية الأصيلة، فإذا قرأتم عنه أنه كان يقرأ طول الليل وهو في الأسر (في تلك الظروف الصعبة) ويسجلُ بعض الملاحظات[٢٠]، فطبِّقوا هذا: اقرؤوا كثيرًا، وليكن القلم في صحبتكم، أو لتكونوا في صحبته، وسجلوا الملاحظاتِ الواردةَ الى أذهانكم حالًا بحال ووقتًا بوقت، فإنَّ الفكرة إذا وقعتْ في الذهن ولم تُسجل فسرعان ما تضيعُ وتذهب، ومِن هنا نفهم سر تسمية الإمام ابن الجوزي لكتابٍ عظيمٍ له، وهو "صيد الخاطر"، فهو يمثل الخاطر الذي يقع بالطائر الذي يقع على الشجرة، فإذا كان الصياد ماهرًا منتبهًا متيقظًا ليصطاد حصل ما يريد، وإلا فسرعان ما يطير ويذهب، ويبقى الصياد وتبقى الحسرة على فائت صيده.

إذن لنسجل الملاحظات لتدخل الفائدةُ الى الأذهان حالًا بحال، يقول سحنون[٢١]:

العلمُ صيدٌ والكتابةُ قيدُهُ قيِّدْ صيودَك بالحبالِ الواثقهْ

فمِن الحماقة أنْ تصيدَ غزالةً وتتركها بين الخلائقِ طالقهْ

وإذا قرأتم قولَه: "إنَّ همتي وغيرتي لا تسمحان لي بالقعود وأنتَ تعمل أمامي، فلو عرفتَ ما في الغيرة والهمة مِن خيرٍ لكنتَ تقضي العمر دون أنْ تخلد إلى الراحة، فما كانت تفوتك دقيقة فارغة"[٢٢].

فلا ينبغي أنْ يكون في حياة الطالب الباحث دقيقة واحدة فارغة تنقضي هكذا بغير عمل جاد، واقرؤوا إنْ شئتم الكتاب الرائع: "قيمة الزمن عند العلماء" للشيخ عبدالفتاح أبو غدة -رحمه الله-، لتعرفوا شرفَ الوقت، وقيمةَ العمر.

وقال الأستاذ: "اللذةُ والسعادةُ في العمل والأمل، والألمُ والشقاءُ في الكسل"[٢٣].

وقال طلابُه المعايشون له إنه "لم يكن لديه أوقاتُ فراغ"[٢٤] وهكذا كان العلماء جادين، وإلا كيف تركوا لنا هذه الأسفار المهمة الرائعة التي قد لا تستوعبُها الأعمارُ قراءةً ومطالعةً ونظرًا، فكيف تستوعبها بحثًا وتأليفًا وتنقيبًا؟ إن حفاظهم على أوقاتهم أثمر هذه الثمار، كما أثمرتْ أوقاتُ الأستاذ في النفي والحبس والهموم والسجن والعذاب والتشريد والمحاكمات، كيف استطاع أن ينتج هذا الإنتاج، وأنْ يملي هذه الرسائل! سيتضح الجوابُ إذا عرفنا أنه كان يؤلفُ وهو على صهوات الخيل وهو يقاتل، وإذا عرفنا أنه كان يؤلف في السجون والزنازين المظلمة، وفي أيام الشتاء الباردة، وأنتم تعرفون كيف أُلفتْ "الثمرة"، وكيف أُلفتْ غيرها من "الشعاعات".

وإذا نظرتم في كل هذا وعرفتم هذا كان لكم خيرَ عونٍ على الحفاظ على الأوقات واغتنامها، وأن تكونوا شعلةَ نار كما وُصف علماؤنا.

فإذن هذا الملمح نستفيد منه من حياة الأستاذ الذي لم تكن لديه أوقات فراغ مطلقًا، ولننظرْ اليومَ في أوقاتنا كم تُهدر، وكم تُرمى، وكم تُضَيَّعُ! وابنُ هُبيرة الوزير العالم الناصح يقول:

الوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظهِ وأراه أسهلَ ما عليكَ يضيعُ

أقول: إذا قرأتم هذا فطبِّقوه على أنفسكم، فلا تدعوا دقيقة واحدة تفوتكم، وكونوا شعلة نارٍ تتقد همةً ونشاطًا.

وإذا قرأتم قولَه: "لم أؤلفْ بدون سببٍ، أو بدون داعٍ"[٢٥] فطبِّقوا هذا حتى لا تكون بحوثُنا ترَفًا لا جدوى منه.

الرسالة الثالثة والعشرون:

تعلَّموا من الأستاذ الأخلاقَ العلميةَ الفاضلةَ، واكتبوا في لوحةٍ وضعوها أمامَكم في مكتباتكم ومكاتبكم قولَه الكريم: "أنا مجرد لا شيء، أنا لا شيء"[٢٦]، وهو مَنْ هو يقولُ: "أنا لا شيء"، فما بالنا نحنُ ونحن في بداية الطريق.

وهو كذلك يذكِّرنا بالإمام أحمد الرفاعي -رحمه الله- الذي كان يقول: "أنا أحيمد اللاش أنا لاش اللاش"، هكذا يتوارد علماءُ الإسلام وعارفوه ورجالاتُه على منهجٍ

واحدٍ، لأنهم يستقون مِن منبع واحد، ويصدرون عن بحرٍ واحد، ويستضيؤون مِن مشكاةٍ واحدةٍ، هي مشكاة النبوة، ما أحوج العالمَ إلى هذا التواضع ونكران الذات!

إنَّ أشد ما يحتاج إليه العالمُ والباحثُ والدارسُ أن يتحلى بتحلية التواضع تحليًا حقيقيًا لا تصنُّعًا، وهذا لا يتأتى ولا يأتي إلا إذا غاصَ في بحر العلم، هناك يُدرك كم هو ضئيلُ العلم حقًا، فعندها يعلمُ قيمةَ علمه، ونسبةَ علمه القليل، وإذا كان الله تعالى يخاطب البشرية كلها مِن يوم خلق آدم إلى يوم قيام الساعة بقوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا) [الإسراء: ٨٥]، فما نصيبُ الواحد منّا مِن هذا العلم القليل؟

وكان الأستاذ يرى ويدركُ ويتحدثُ ويقولُ أنَّ مرض العصر هو الغرور، والأنانية، وحبُّ الذات[٢٧].

ويقول بآخر "الكلمة الثالثة والثلاثين"[٢٨]: "ولما كنتُ قد كتبتُ هذا المكتوب في غاية السرعة -بناءً على سببٍ مهمٍّ- لذا فقد بقيَ على حاله ولم أراجعْ مسودته، ولم أدخلْ عليها أي تعديل، فلا جرم أنْ سيكون فيه شيءٌ من القصور والتشوش في بعض العبارات، وفي طريقة العَرض، فأرجو مِنْ إخواني أنْ ينظروا إليه بعين الصبر والسماح، ويصحِّحوا إن استطاعوا ما بدر مني مِن خطأ، ويدعوا لي بالمغفرة". وأظنُّ أنَّ هذا النص لا يحتاج إلى شرح، فهو بحدِّ ذاته معلِّمٌ ناصحٌ ينضح بالأخلاق العلمية الفاضلة التي ينبغي للباحث أنْ يتحلى بها.

الرسالة الرابعة والعشرون:

أعطوا العملَ العلميَّ حقَّه ومستحقَّه من التوجُه إليه، والوقوف عليه، ويعجبني هنا أنْ أذكر لكم بيتَ شعرٍ رأيتُه أنا والأستاذ إحسان قاسم الصالحي، في رحلتنا إلى الهند، رأيناه مكتوبًا بالأردية في مكتب رئيس قسم اللغة العربية في الجامعة الملية في دلهي، وطلبنا من الإخوة تعريبَه، وهو:

(الدنيا ظلٌّ زائلٌ، وكلُّ ما فيها فانٍ، ولكنْ إذا بدأتم القيامَ بأي عمل كبير فاعتبروا كلَ نفَسٍ حياة خالدة).

وهذا ما يحتاجه الباحثون، وهو يشرح مقولةً سبق إليها ابنُ الجوزي -رحمه الله-: "الأمل مذموم للناس إلا للعلماء، فلولا أملهم لما صنفوا ولا ألفوا"[٢٩]، نعم لولا الأمل

ما استطاعوا أن يفتحوا مشروعات علمية كبيرة، وهكذا الباحثُ عليه أن يعتبر كل نفَس حياة خالدة، فيتأنى ويصبر ويتأمل، فلا يسلقُ العمل سلقًا، ولا يولد البحث أو الرسالة طفلًا مخدجًا أو مشوّهًا.

الرسالة الخامسة والعشرون:

تعلَّموا من الأستاذ تقديرَ التخصص، ومعرفةَ أقدار العلماء، ونتعلم هذا من مشهدٍ جميلٍ: كان الأستاذ عندما يُوجه سؤال فقهي إليه، وهو في سجن أسكي شهر كان يشير بيده نحو مفتي إنطالية الشيخ أحمد حمدي أوقور وكان مسجونًا معه، يقول للسائلين:" السيد المفتي بينكم ومعكم، اسألوه عن فتواكم، ليس لي أنْ أفتي في وجوده"[٣٠]، فنتعلم من هذا تقديرَ التخصص، ومعرفةَ أقدار العلماء، وهذا يذكِّرنا بالإمام المنذري المحدِّث الذي امتنع من الإفتاء حين دخل سلطان العلماء الإمام العز بن عبدالسلام مصر وقال: "كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين، وأمّا بعد حضوره فمنصبُ الفتيا متعينٌ فيه"[٣١].

الرسالة السادسة والعشرون:

تعلَّموا وخذوا العبرة من (سعيد القديم)، و(سعيد الجديد)، و(سعيد الثالث)، أليس في ذلك رسالة واضحة لنا؟ إذن ليكن لدينا ولديكم القدرة على التغيير والتطوير، والتبديل والتعديل، والتفكير والتحوير، وليكن لدينا ولديكم المرونة اللازمة لنقد الذات، ومراجعة الماضي، والاعتراف بالخطأ إن كان.

وهذا هو الأستاذ يُسميّ نفسه (قديمًا)، و(جديدًا)، و(ثالثًا) أيضًا، وفي هذا أعظم دلالة على المرونة التي يتحلى بها، والتي ينبغي أن نتحلى بها.

الرسالة السابعة والعشرون:

تعلَّموا مِن رسائل النور أنْ لا تفرضوا رأيًا على أحد فرضًا، وأن لا تقسروا الناس على قناعاتكم قسرًا.

إنَّ هذا الدرس نتعلمه من قول الأستاذ: "إنَّ المعجزة تأتي لإثبات دعوى النبوة عن طريق إقناع المنكرين، وليس عن طريق إرغامهم على الإيمان"[٣٢]، فالإرغامُ إذن ليس مِن منهج القرآن، وليس مِن منهج الإسلام، وليس مِن توجيهات ربنا عز وجل، الإرغامُ لا يمكن أن يكون منهجًا مطلقًا، وأستحضرُ هنا مقولةً للخليفة المأمون العباسي الذي كان

يشرح هذا ويقول: "غلبة الحجة أحبُّ إليَّ مِنْ غلبة القدرة، لأنَّ غلبة القدرة تزول بزوالها، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء"[٣٣]، وهذا هو الصحيح، لأنَّ غلبة الحجة هي الباقية، فإن الدنيا دول، أنت تغلبني في حجتك فأنصاع إليك بقلبي وروحي، ولكن تغلبني بسيفك فأنصاع إليك بكتفيَّ إذا كنت عاجزًا، فإذا ما تمكنتُ ثرتُ عليك، وعدتُ إلى ما كنتُ.

الرسالة الثامنة والعشرون:

قوموا بدراسة مقارنة بين رسائل النور وتفاسير القرآن التي صدرتْ في تركيا في العهد الجُمهوري، وقد أُلِّفَ في تركيا تسعة تفاسير باللغة التركية، وواحد باللغة العربية، وتُرجم إلى اللغة التركية أربعة عشر تفسيرًا، وقد وَصف الأستاذُ واحدًا من التفاسير التركية التي صدرتْ في حياته وهو "خلاصة البيان في تفسير القرآن" للشيخ محمد وهبي، وصفَه بالقيم جدًا، والمبارك جدًا[٣٤]، فمَنْ كان يحسن اللغة التركية فمن الرائع والمفيد والمهم أنْ يقوم بدراسات مقارنة بين منهج رسائل النور ومناهج تلك التفاسير التركية التسعة، وأمّا التفاسير المترجمة إلى التركية -وهي كما قلتُ أربعة عشر تفسيرًا- فهي ميسورة معروفة.

ولا يتسع الوقتُ لذكر عناوين هذه التفاسير، ولكنَّ أسماءَها وعناوينها تحت يدي لمن أراد.

الرسالة التاسعة والعشرون:

يساعدُكم على فهم الرسائل أنْ تكونوا على صلة بما يكتبه فلاسفةُ الغرب، وكتّابُه، وأساتذتُه، ومفكّروه، واسمحوا لي أنْ أضربَ لكم بعض الأمثلة، مِن كلام هؤلاء، لتروا كيف يبدو النُّوْرْسي وكأنه يُخاطِبُ عصرَنا، ولتفهموا من خلال هذه النصوص ما كان يقولُه ويرمي إليه ويشيرُ إليه، وقد تتبعتُ عددًا مِن خلاصات هذه الكتب، مثلًا:

١. يرى بيير بوهلر أستاذُ العلاقات الدولية في كلية العلوم السياسية بباريس في كتابه "القوة في القرن الحادي والعشرين" أنَّ أولئك الذين امتلكوا القوة في الأمس القريب بصدد فقدانها، وللجغرافيا والعامل السكاني والمال التأثير الكبير في ذلك، ويذكر أنَّ الصين تزيد في البحث العلمي بنسبة ٢٣٪ سنويًا.

٢. يشكو الفيلسوفُ الفرنسي لوسيان في كتابه "تعرّفْ على نفسك وافعلْ ما تحب" من الشباب، ويقول: "لقد أصبح الشبابُ حكماء فجأة، وأصبحوا يعرفون كلَّ شيء، وهم لا يظهرون الاحترامَ لأحدٍ، ولا يقلدون أحدًا، وهم يمثِّلون لأنفسهم النموذجَ الذي يحتذون به".

ويقول عن أمريكا: "انزعوا الهاتفَ، زيدوا السرعةَ، ارفعوا عدساتِ التصوير، استبعدوا الإنارةَ، وهنا هل سيكون مكتبُ التحقيقات الفيدرالية أكثر كفاءةً من الحرس البابوي في الفاتيكان؟".

٣. يؤكد الكاتبُ الفرنسي نيكولا غريما لدي في كتابه "تعاظم الفراغ" ما قاله لوسيان، ويقول: "إنَّ السمة الأساسية لهذا الزمن ضياع القيم، ووجود نوع من اللامبالاة والاضمحلال في الإبداع".

٤. والفيلسوفُ والكاتبُ الألماني ريشار دافيد برشت في كتابه "فن ألا تكون أنانيًا" يرى أنَّ المجتمعات الغربية لا تعاني مِنْ أزمة اقتصادية، ومِنْ قلقٍ فحسب، ولكنها ملغومةٌ من الداخل بوباءٍ مرعبٍ، وهو اللامبالاة العامة والمعممة، وهذا في ظلِّ غيابٍ كاملٍ للمسؤولية، بالإضافة إلى مشاعر الاحتقار تجاهَ الآخر، ويقول: "النتائج تكون مأساوية".

ويقول: "إنَّ متوسطَ مؤشر السعادة عند الألمان لم يعد يزدادُ منذ الستينات".

٥. ماكس سينغر الأمريكي في كتابه "تاريخ المستقبل" يقول: "يمكن للعالمِ الحديثِ أنْ يكون أكثر سوءًا مِن العالمِ القديمِ، وذلك بسبب استمرارية نزعات النفس البشرية".

٦. يَرى الفرنسي اوليفييه بوافر دارفور في كتابه "الثقافة في غرفة الطوارئ" أنَّ فرنسا لن يمكنَها أنْ تتميز بغير ثقافتها، ولغتها، وقدرتها على خوض حربٍ ناعمةٍ للنفوذ، أي أنْ تكون نوعًا من القوة الهادئة كما كان يردِّد الرئيسُ فرانسوا متيران.

٧. ستيفان هيسل وادغار موران في "طريق الأمل" يذكرانِ أزمةَ الحضارة الغربية، وأنَّ الديمقراطيةَ الغربيةَ جرى تفريغُها عمليًا مِنْ قِبل عالم المال.

الرسالة الثلاثون:

قد تجدون آراء لا ترضيكم في الكلام على رسائل النور، مثالُ هذا: قولُ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في كلامهِ على "دفاعات النُّوْرْسي": "فما الذي يشغلهم - أي يشغلُ جماعةَ النور- تُرى عن ترجمة هذا اللباب العجيب الذي كان ولا يزال نورًا ونارًا، ويحملُهم على التوجُّه -بدلًا عنه- إلى مسائل فكرية أو علمية يترجمونها لتتخذ مكانَها في المكتبة العربية إلى جانب كثيرٍ وكثيرٍ من أمثالها؟!"[٣٥].

هل هذا الكلامُ دقيقٌ؟ وهل إذا ترجمنا رسائلَ النور تجدُ مكانَها في المكتبة العربية إلى جانب الكثير والكثير من أمثالها؟

أقولُ: قد تجدون آراء كهذا الرأي فما الموقف منها؟

الموقف النظرُ فيها وتقليبُها على وجوهها ومناقشتُها بدفاعات، ولكنْ -ونستعيرُ كلام الدكتور البوطي نفسه- لتكن هذه الدفاعاتُ نورًا لا نارًا.

وأضيفُ أن هذه الدفاعات مترجمة مفرقة في كليات رسائل النور كما أفاد الأستاذ إحسان.

وأخيرًا: أدعو نفسي وأدعوكم إلى أنْ نزيّنَ أعمالنا العلمية والعملية بالإخلاص، وأنْ نتذكرَ قولَ الأستاذ لمصطفى جاهد توركمكن أوغلو: "أيها الأخُ... نحتاجُ في هذا الزمن إلى الإخلاصِ التامِّ، والصدقِ الكاملِ، وأقصى درجاتِ الدقةِ والتفاني"[٣٦].

وهذه خلاصةُ النصائح، وغايةُ الأماني.

وبعدُ: أسألُ الله عز وجل أنْ ينفعنا بالعلم، ويرفعنا بالعمل، وأستغفرُ اللهَ أولًا وآخرًا.

الهوامش:

[١] قُدِّمَ هذا البحث في (الندوة الخامسة للأكاديميين الشباب) في (مؤسسة إسطنبول للعلوم والثقافة) بمدينة إسطنبول عام (٢٠١٣م).

[٢] كبير باحثين أول وعضو هيئة كبار العلماء في دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي.

[٣] شرَّفني الإخوةُ السادةُ الكرامُ القائمون على هذه المؤسسة المباركة(استنبول للثقافة والعلوم) بدعوتي مرارًا إلى هذه المحافل العلمية الكريمة، ولقاءِ العلماء المشاركين، والباحثين الشباب، علماءِ المستقبل وأعمدةِ الأمة

القادمة، وكان لي بعضُ مشاركاتٍ أسألُ الله عز وجل القبولَ والأجرَ فيها، وأنا هنا أدعو الإخوة ابتداءً أنْ يعودوا إلى بعض ما كان من تلك الندوات:

فقد كانت في (الندوة الثانية [٢٠١٠م]) مشاركة بعنوان: (كلمات في البحث العلمي).

ومشاركة في (الندوة الثالثة [٢٠١١م]) بعنوان: (القواعد الخمسون في قراءة رسائل النور).

ومشاركة في (الندوة الرابعة [٢٠١٢م]) الماضية بعنوان: (النُّوْرْسي في عيون الشهود)، وهي محاضرة تتحدث عن كتاب "الشهود الأواخر" الذي هي بمثابة الشرح الزماني والمكاني لولادة رسائل النور.

[٤] كان ذلك في (الندوة الخامسة [٢٠١٣م])

[٥] ينظر: أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصَّيْمَري الحنفي ص (٢٢).

[٦] الجامع للخطيب البغدادي (١٠٢/١).

[٧] المَدخل إلى السنن الكبرى البيهقي (٢/ ٧٠٤).

[٨] الكلمات ط ٣ ص (٤٢٦. ٤٢٩. ٤٥٦. ٤٥٧. ٤٧٣. ٤٨٢).

[٩] يؤيد هذا قولُه في مقدمة "جواب عن سؤال خاص". انظر المكتوبات ط ٦، ص (٤٧٦).

[١٠] انظر محاكمات عقلية: صيقل الإسلام، الطبعة السادسة (٢٠١١م) ص (٣٧). وبديع الزمان ص (٢٠٧).

[١١] الشهود الأواخر (٢٩١/١).

[١٢] الكلمات ط ٣، ص (٦٢).

[١٣] بديع الزمان ص (١٩٨).

[١٤] الشهود الأواخر (٧٢/١).

[١٥] الشهود الأواخر (٣٤٤/٢).

[١٦] الكلمات ط ٣، ص (٨٥٤).

[١٧] الكلمات ط ٣، ص (٨٤٨).

[١٨] الكلمات ط ٣، ص (٢٥٩).

[١٩] الشهود الأواخر (٣٣٩/٤).

[٢٠] الشهود الأواخر (٦٢/١).

[٢١] يُنسب البيتان إلى الإمام مالك، والصحيح أنهما لسحنون.

[٢٢] الشهود الأواخر (٨٥/١).

[٢٣] اللمعات ص (١٨٨).

[٢٤] الشهود الأواخر (٤١/٣).

[٢٥] الشهود الأواخر (٦٥/٣).

[٢٦] الشهود الأواخر (٣٠/٢).

[٢٧] ذكريات ص (٧٩).

[٢٨] الكلمات ط ٣، ص (٨٣٣).

[٢٩] نقله ابنُ حجر في "فتح الباري" (٢٣٧/١١)، أفاده السيوطي في "التعريف بآداب التأليف" ص (٧٦).

[٣٠] الشهود الأواخر (٣٠٣/١).

[٣١] طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢١١).

[٣٢] الكلمات ط ٣، ص (٧٠٣).

[٣٣] تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي (١١/ ٤٣٠).

[٣٤] انظر الشهود الأواخر (١٣٧/١).

[٣٥] شخصيات استوقفتني ص (١٥٨-١٥٩).

[٣٦] الشهود الأواخر (٣٩٨/٤).

الرؤية الإيمانية وأثرها في ضبط المصطلحات والمفاهيم
- دراسة من خلال رسائل النور -

أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي[1]

الملخص

إنّ للمصطلحات والمفاهيم أهمية كبيرة معرفيا ومنهجيا، وهو ما يسّر تأثيرها الجلي في مختلف مناحي الحياة وشِعابها، وقد حظيت بذلك في ظل تدفقات معرفية عالية لا تحجبها الموانع ولا تصرفها الرقابة عن بلوغ العقول والضمائر، عَمَّ بهما الوضع، وصار الناس على صلة عامة بهما ـ بغض النظر عن المستوى المعرفي والثقافي ـ، ونظرا لعموم البلوى بهما وبآثارهما على التفكير والتدبير فقد وقع على كاهل العلماء والمفكرين فحصها وتمحيصها وبيان المقبولة منها من المردودة، وتمييز النافعة منها من الضارة، وذلك بالكشف عن الأسس الرصينة والمبادئ الأساسية والموازين الضابطة لها، إذ لا يمكن فتح الباب على مصراعيه للكلّ، فيدخل الجيّد والرديء، كما لا يمكن السدّ تماماً أمام سيل المصطلحات والمفاهيم، فيمنع المقبول بسبب المرفوض، وما دامت حواراتنا المعرفية والفكرية المنهجية لا يمكن أن تستغني عنهما بإطلاق، فإنّ المنهج القويم يفرض على العلماء الوقوف على النافع منهما وتمييزهما عن الضارين، وهومساحة يستطيع كلّ حسب اختصاصه وبراعته المعرفية والمنهجية ـ الوقوف عليهما والاستفادة منهما، حرصًا منهم على الاستجلاب الصحيح النافع الملائم للثوابت الشرعية، والمناسب للفطرة الإنسانية وطبيعة الحياة.

وعرضت مادة هذه الدراسة في مبحثين الأول ضمّنته التأصيل لموضوع وضع البدائل للمصطلحات والمفاهيم كما بدت للباحث في القرآن والسنة، أمّا الثاني فَبَيَنْتُ فيه مبادئ وأسس ضبط وتعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور، وقد جمعتها في خمسة أسس علمية رصينة، اعتمدتها الرسائل عند ضبطها للمصطلحات والمفاهيم وتبديلها، وبأمثلة متعددة ـ مصطلحاً أو مفهوماً ـ في نصوص رسائل النور. وختم البحث بخاتمة عرضت فيها أهم نتائجه.

الكلمات المفتاحية: الرؤية الإيمانية، المصطلحات، المفاهيم، رسائل النور، النورسي

The faith vision and its impact on controlling terminology and concepts, study through Risale-i Nur

Dr. Omid Najmuddin Jamil Mufti

Abstract:

Words and concepts are acting thier role in all aspects of life because of the developments that can see through continuing ways and endlessness providings, therefore, all of people have continuing relations with words and concepts, without focusing on their scientific and intelligence levels, as a stable result for substance and immaterial relations, therefore, the role is facing scientists and intellectualists to get determination of acceptable and desperation words and concepts from non-acceptable ones, this is because of setting up and depending on many more essential things and sensual measurements because we cann□t open and close the windows for each words and concepts, all of these, as a result of having in our daily speechs, that`s why having the balance is suitable.

The equality is the position that all with their science, jobs and experience can get benefit from it which is suitable with Shar3a, nature of life, justice and human nature.

The Islamic law (Shariya) chooses the subjects through the Al-Quran and Al-Hadith are agreed with justly balanced, thats why they don`t accept with many words and concepts which they were changed them instead of another, and they let some words and aspects to stay without changing them, and scientists are going on that way to set up the Etymology and Semantics among the subjects and scientific concepts like jurisprudence (Al-Fiqh), interpretation and translation, Hadith, doctrine and history....etc.

This research wants to talk about two sections, introduction and conclusion, but through the Risa'il al-Nur by Badi' al-Zaman al-Nursi. It talks about the replacement of words and concepts in the first section, and in the second, talks about the same subject through under the role of these basics that were founded by Badi' al-Zaman al-Nursi with examples for each basics. In the end of the conclosion, there is a summary and main important points of the research.

Keywords: Faith vision, Concepts, Risale-i Nur, Nursi

المقدمة

عمل الإسلام على تأسيس أسس السعادة وبيان مسالكها، فركّز أوّل ما ركّزعلى تقرير الإيمان وحقائقه في القلوب، لأن نقطة الانطلاق هي معرفة الذات وسبب إيجاد الحياة، وأكّدت رسائل النور أنّ الإيمان يتكفّل بالإجابة السلسة السهلة البسيطة الواضحة، ومن ثمَّ يبدأ تحسين سلوك الفرد وسعادة المجتمع، فالقلب لا يستقر إلاّ بعد أن يخوض هذه الجولة، فيستعد آنذاك ليكون منبعاً لصالح الأفكار والأعمال ويكون عنصراً مميزاً نافعاً لنفسه ولمحيطه.

وقد انتهجت الشريعة الإسلامية مناهج شتى لتحقيق ما مقاصدها في المؤمنين بل والناس أجمعين، منها: العمل على ضبط وإصلاح ما يتلفظ به الفرد ـ بغض النظر عن النية ـ، فمنعت ألفاظاً توهم مسالك الشرك أو تبعد الفرد عن حقيقة العبودية والانتساب الإيماني، فضلاً عن ألفاظ توهم التشاؤم واليأس، فمعلوم أن الألفاظ قوالب المعاني ودالة عليها، فلا بد من وجود التناسب والارتباط بينها، بل للأسماء تأثير على المسميات، فلذلك نقل ابن قيم(ت ٧٥١هـ) القول: (قلما أبصرت عيناك ذا لقب..... إلاّ ومعناه إن فكرت في لقبه)[٢]، ومن هنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يغيّر الأسماء.

ورسائل النور أخذت بلبّ الحقيقة عندما ضبطت مصطلحات ومفاهيم تنبئ عن قطع الصلة بين العبد وربّه، أو توهم وحشة الإنسان وانقطاع انتسابه إلى خالقه، سواء كانت عن غفلة أو قصد، وأبدلتها بما يعزز الإيمان ويعلن عنه.

الوقوف على بعض هذه المصطلحات والمفاهيم، التي حلّلها وحدّد أسباب منع استعمالها أو التحفّظ عليها، ثم لم يتوقّف الجهد عند المنع بل عرض بدائلها الايمانية النورية، كما هي عادة الأستاذ في صوغ البدائل فيما شابهها من المسائل.

قسّمت الدراسة إلى مبحثين، الأول عن تأصيل هذا المبحث في الشريعة الإسلامية، وعنوانه: بدائل المصطلحات والمفاهيم ومناهجها في الشريعة الإسلامية، والثاني منهما عرضت فيه جملة من المصطلحات والمفاهيم وبدائلها النورية الايمانية مع الحرص على بيان أسس التعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور ومبادئه، وأنهيت البحث بخاتمة حوت نتائج البحث.

الله أسأل أن يمدنا بإمداداته، ويسهل علينا قبول الحق ويوفقنا إلى طريقه، فينور قلوبنا بمرضاته.

المبحث الأول: بدائل المصطلحات والمفاهيم ومناهجها في الشريعة الإسلامية

أتي الإسلام إلى أرض الواقع في أوسع نطاق، إذ هو شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تَغَلْغَلَ في جميع مرافق الحياة، ومن ثم تعلَّق بجميع أفراد المجتمع بغض النظر عن المستوى العمري والثقافي والفكري، فما من شعبة من شعاب الحياة إلاّ والإسلام له فيها توجيه تتجلى بصماته عليها، وما من ناحية من مناحي الحياة إلاّ وله فيها توجيه، ومن هنا فهو لكل الناس وفي كل زمان ولكل مكان مدى الدهر، فلا يمكن بحال تضييق الخناق عليه ووضعه في جانب مهجور معزول مغمور، فسلطانه على الجميع ولا يتحمل التبعية والتهميش، لهذا فهو على نحو معاكس لما عليها الأديان الأخرى التي دخلتها الأهواء البشرية في رسم مساراتها كلما بعدت عن عصرها، وتأثرت نتيجة هذا بموجات الحياة المختلفة وطبائع الناس المتعددة، مما جعلتها بمنئى عن الحياة العامة، مما أفقدها القدسية والصدارة، وصارت تابعة لا متبوعة.

فللإسلام أسسه الفكرية، وله دستوره الذي لايمكن الخروج عليه، ففيه الثوابت وفي المقابل هناك المتغيرات وفق إطار محدد مضبط بعلوم متعددة من أصول الفقه والتوحيد واللغة وغيرها. ومما يذكر له يمتاز ياستقلالية في اختيار المصطلحات والمفاهيم بما يلائم هذه أسسه ومبادئه، فضلا عن التشريع في المجالات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من مجالات الحياة، وهذا من حقه، فلا يستساغ مع رسم كل هذه الأسس والقوانين والدساتير الثابتة أن يقبل في عالم الكلمات والمفاهيم كلّ ما هبّ ودبّ في دنيا المصطلحات والأفكار، والحال أن المصطلحات والأفكار في زيادة ونقص دائمين، فهناك الجديد الحديث الذي لم يسبق أن وجد، وهناك القديم المتداول المنتشر، فيأتي الدين ويترك أثره على الكل، فيبدِّلُ غير المنسجم ومبادئه ويأتي بالبديل، ويبقي المقبول على حاله.

ففي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة كثير من البدائل للمصطلحات والمفاهيم والأفكار، ولو نظرت للموضوع من زاوية تأصيلية للاحظت أن البديل هو الملائم والمنسجم مع المبادئ المرسومة والأسس الفكرية والعلمية الثابتة. مثلا قوله تعالى: ((وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ)) (البقرة: ١٥٤)، تجعلنا أمام إثبات لفظ شرعي لفئة خاصة، وهي في محل تثبيت مفهوم غير ما تَعَوَّدَ عليه جمهور الناس، ونلاحظ في هذا البديل الجديد بُعْدًا عقديا وفكريا، فإثبات لفظ بمفهوم مخصوص ونفي آخر ليس اعتباطاً، وإنَّما أتى بعد حقيقة راسخة ينبغي الاعتقاد بها والتسليم لها، والآية هنا تريد أن تخبرنا بنوع من الحياة الخاصة إكراماً للشهداء، لأن الحياة البرزخية عامة لكل من ذاق الموت من المكلّفين، إلاّ أن تخصيص فئة الشهداء بمفهوم آخر للحياة فيه أمور، منها: إنّ حياتهم غير حياة العامة أحياءً أو أمواتاً، هذا من حيث المفهوم، ومن حيث المصطلح كذلك، فلا يوصف خروجهم عن دار الدنيا بالموت كما يوصف به عموم البشر، بل لابد أن نقول فيهم أنهم أحياء. وممّا لا يستغنى عنه هنا هو رأي الأستاذ النورسي حول أنواع الحياة وطبقاتها وحياة الشهيد على سبيل الخصوص، فقد قسّم الحياة عموماً إلى خمس طبقات، ويرى أن حياة الشهيد في عالم البرزخ هي من نوع خاص بحيث أنه لا يعلم أنه ميت، إذ لا يشعر بألم الفراق عن الأحبة فلا يعلم بموته، بل هو يشعر بأنه في عالم أفضل[٣].

وكذا مما يستشهد به على أهمية استبدال المفاهيم غير الصحيحة في الوعي وإصلاح التصوّرات والتصرفات، ولما لبقائها من الأثر السيّء على فهم مبادئ الإسلام وأسسه المستفادة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٠٤)، فلا يمكن إطلاق قول ترفضه الشريعة، أو أن يكون غير سليم المعنى أو ينقص من مقام سيّدنا محمد (صلى الله عليه وسلّم) أو يخدش في وظيفته، فقد (كان المسلمون يقولون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهوديَّة سبَّاً قبيحاً، فلمَّا سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك وأنزل هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا

{انظرنا} أَيْ: انظر إلينا حتى نُفهمك ما نقول {واسمعوا} أيْ: أطيعوا واتركوا هذه الكلمة، لأنَّ الطَّاعة تجب بالسَّمع) [٤].

ولم تقتصر العناية ببدائل المفاهيم والمصطلحات على القرآن الكريم، بل في السنة النبوية (على صاحبها الصلاة والسلام) أمثلة غير قليلة عليها، فقد طبّق صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في محاور متعددة من سنته صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، من ذلك ما أورده البخاري في صحيحه في باب عنوانه (باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه) نفهم أن الموضوع له أصالة، فممّا في هذا الباب من الأحاديث: ﴿أن عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ شَيْبَةَ قال: جَلَسْتُ إلى سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ، فَحدَّثَني: أنَّ جَدَّهُ حَزْنًا قَدِمَ علَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: ما اسْمُكَ قالَ: اسْمِي حَزْنٌ، قالَ: بَلْ أنْتَ سَهْلٌ قالَ: ما أنَا بمُغَيِّرٍ اسْمًا سَمَّانِيهِ أبِي. قالَ ابنُ المُسَيِّبِ: فَما زَالَتْ فِينَا الحُزُونَةُ بَعْدُ﴾[٥] فلا يقبل التشاؤم في الشريعة، وما يجعلنا نتشائم به يعدله الإسلام بما يتفائل به، وهو المبدأ والأساس في الحياة، فلا حياة ولا سعادة فيها من غير التفاؤل ونبذ التشاؤم. وكذا كان اسم (زينب بنت جحش) بَرَّة، فغيَّرها صلى الله عليه وسلم لما في الاسم من التزكية، فإن البَرَّة من البِر، وقال صلى الله عليه وسلم لا تزكوا أنفسكم فإن الله أعلم بأهل البِر منكم[٦]. فهنا نرى أن سبب الاستبدال هو عدم ملائمة المصطلح السابق مع مبدأ من مباديء الشريعة وأسسها، فلذلك بدَّله النبي صلى الله عليه وسلم بما يلائم.

وهكذا لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة، غير الإسم من (يثرب) إلى الإسم الجديد (وهو المدينة)، فقد صح عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: قَالَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى. يَقُولُونَ: يَثْرِبُ. وَهِيَ الْمَدِينَةُ. تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ﴾[٧]. قال الإمام النووي(ت ٦٧٦هـ) في شرح الحديث: ﴿يَعْنِي أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَغَيْرَهُمْ يُسَمُّونَهَا يَثْرِبَ، وَإِنَّمَا اسْمُهَا المدينة وطابة وطيبة، فَفِي هَذَا كَرَاهَةُ تَسْمِيَتُهَا يَثْرِبُ، وَقَدْ جَاءَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَرَاهَةِ تَسْمِيَتِهَا يَثْرِبُ، وَحُكِيَ عَنْ عِيسَى بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ سَمَّاهَا يَثْرِبُ كُتِبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ. قَالُوا: وَسَبَبُ كَرَاهَةِ تَسْمِيَتِهَا يَثْرِبُ لَفْظُ التَّثْرِيبِ الَّذِي هُوَ التَّوْبِيخُ وَالْمَلَامَةُ﴾[٨]. فعندما يشف من الاسم عَمَّا لا يحمد، فالأصل هو تغييره

بما ينسجم والرؤية الإيمانية بأبعادها الاجتماعية والفكرية والتربوي، ويستطاب سمعا وذوقا.

وقاعدة أصل وضع – وفق ما ألمحنا إليه - بدائل المصطلحات والمفاهيم غير المتوائمة مع الأصول الإسلامية معمول بها فيما نُقِلَ من سنّة النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك من الطروحات البديلة في السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، طرح البديل بوضع سبب مُعِين فِعْلِي للحالة، ومن الأمثلة على هذا الأسلوب، ما رواه أبو ذر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس؛ فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع)[٩]. فبعد أن نصحنا صلى الله عليه وسلم في أحاديث أخرى بعدم الغضب ولكن من غير ذكر البديل[١٠]، هنا وليكون تطبيق الطلب أسهل، ولكي يغير التفكير الوارد عند اشتداد غضب المرء، وضع صلى الله عليه وسلم بين يدي الوقاع تحت طائلة الغضب مقترحا مُعينا بديلا عما كان عليه وضعه، وهو الجلوس، أو الاضطجاع، وفي موضع آخر عرض صلى الله عليه وسلم على المَعْنِيِّ السكوت [١١].

إذاً الملاحظ أن البديل في الشريعة الإسلامية ذو وجوه وحيثيات متعددة، فقد تطرح البدائل بـ:

أ- الأسلوب القولي، مثل ما ورد بصيغة (لا تقولوا) في الآيات القرآنية.

ب- أو بتغيير النظرة وهزّ الفكر وتنشيطه للتفكر السليم، وذلك بقطع الهوى عن الفكر كي يفكر ويقرر سليماً، فالفكر المستقيم يعتمد على العقل والقلب والواقع والسنن الكونية والفطرية كي يصل إلى نتيجة توافق ضوابط الشريعة وتنسجم مع الفطرة السليمة والأعراف السليمة.

ج- الأسلوب الجسدي والفعلي في البديل.

المبحث الثاني: مبادئ وأسس ضبط وتعديل المصطلحات والمفاهيم في رسائل النور.

نلامس من خلال نصوص رسائل النور وأفكارها المبثوثة فيها- صراحة أو إشارة - جملة من المبادئ والأسس التي وَضَعَتْ الرسائل عليها أسسها الإيمانية والفكرية

والتربوية، ونلاحظ ترسيخ هذه المبادئ في مُخْتَلف مباحثها، بما فيها مبحث استبدال المصطلحات والمفاهيم بالأنسب من حيث الخلفية الإيمانية، فاللغة ودائرة المصطلحات والمفاهيم المستعملة بين الناس في حركية دائبة، فلا يمكن فتح الباب على مصراعيه من غير ضابط بقبول كلّ وارد، ولا مواجهته بالإنكار والاستنكار من غير تدقيق ورويّة، لأن عقول وإدراكات البشر العقلية والفكرية، وتأملاتهم ولطائفهم وخيالاتهم في حركيّة مستمرة دائمة ما دامت الروح تسري في جسد، فضلاً عن كونها تستجيب لإشباع فضول الإنسان، فلو وقفنا من الكلّ موقف المعادي أو موقف القبول، لاختل التوازن من الجانبين، وسلكنا مسلكاً غير مقبول عقلاً وشرعاً وعرفاً وذوقًا.

ومن جانب آخر فإن رسائل النور مع اهتمامها بالمسائل الجليلية العظيمة التي عليها مدارها هي شغلها الرئيس، لم تهمل العناية بتفاصيل المسائل بحسب ما يقتضيه المقام، قال الأستاذ: (إن رسائل النور لا ترمم تخريبات جزئية، ولا ترمم بيتاً صغيراً مهدماً وحده، بل تعمرّ أيضاً تخريبات عامة كلية، وترمم قلعة محيطة عظيمة - صخورها كالجبال- تحتضن الإسلام وتحيط به، وهي لا تسعى لإصلاح قلب خاص ووجدان معين وحده، بل تسعى أيضاً - وبيدها إعجاز القرآن- لمداواة القلب العام، وضماد الأفكار العامة المكلومة بالوسائل المفسدة...)[١٢].

ومن هذا المنطلق فقد اهتمت رسائل النور بالكلمات والعبارات المترددة على الألسنة والمستعملة في مسيرة حياة الفرد، لأنها تعبر عن ثلاثة أمو، لا غير:

أولها: إيمان الشخص وتمسكه بمبادئ الدين والشرائع الدينية والفطرية والخلقية.

الثاني: وقوفه في جبهة معادية للدين والثقافة الدينية والقوانين الأخلاقية.

والثالث والأخير: عدم المبالاة، وتمشية الحياة كيفما أتت، كالريشة في معترك الرياح.

وبما أن الرسائل بينت خطورة العاقبة ومستقبل الإنسان الذي لا يمكن التغافل عنها، ولا يربح إلاّ بالإيمان والتصديق بحقائقه، إذاً لا يمكن التعامل مع هذه الحقائق على الطريقة الثانية أو الثالثة. ومن هنا فالاهتمام بكل ما من شأنه خدمة الحقائق الإيمانية وترسيخ أركانها ضرورة كضرورة الأكل والشرب لاستمرار الحياة، ولا تحصر آنئذ

المسألة في كلمات أو مفاهيم محددة، بل لا بُدَّ أن ننظر إليها بنظرة أوسع ومن حيث أبعادها الفكرية والعقلية.

وبناء على ما سلف من عيّنات يمكن قصر جهدنا على أهم المبادئ والأسس المرعية في موضوع بدائل المصطلحات والمفاهيم، ونُلَخِّصُها فيما يلي:

١. ترسيخ الرؤية الإيمانية تطبيقيا بالتأكيد على الارتباط بالله واستجلاب آثار معرفة أسمائه:

لا تجد في رسائل النور بحثا تجريديًا لمباحث الإيمانية بل تعرضها مشفوعة بأبعادها الوظيفية المتجلية في شعاب حياة المؤمن، وتتأتى فعاليتها من ربطها بحقيقة ثابتة راسخة تنبعث باستمرار من استشعار معرفة الأسماء الإلهية الحسنى وانطباع معانيها في الضمير، وهو الأساس الموضوعي الذي وضعه الأستاذ لاستجلاب الأثار المتجلية في حياة المؤمن الفردية والجماعية، وفي هذا المعنى قال: (إنَّ لكل كمال، ولكل علم، ولكل تقدم، ولكل فن - أياً كان - حقيقة سامية عالية. وتلك الحقيقة تستند إلى اسم من الأسماء الحسنى، وباستنادها إلى ذلك الاسم - الذي له حُجُب مختلفة، وتجليات متنوعة، ودوائر ظهور متباينة - يجد ذلك الفن وذلك الكمال وتلك الصنعة، كلٌ منها كمالَه، ويصبح حقيقةً فعلاً، وإلا فهو ظل ناقص مبتور باهت مشوش)[١٣]، وبيانا لهذه المعاني ضرب الأستاذ أمثلة توضيحية من علم الهندسة والطب والفيزياء وغيرها.

ومن هنا فأينما توجه المرء وسار، فهو داخل تجليات هذه الأسماء ولابد أن يكون فطناً يدرك هذه المعاني ويستشعرها، وحينئذ يرتبط قلبه بالله ويكون أهلاً للدخول في زمرة عباد الله الصالحين. وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم كثير السعي لترسيخ هذا الارتباط بين العبد وربه، بدءاً من أصغر الأمور إلى أكبرها.

ومن أمثلة تبديل المصطلحات والمفاهيم على هذا الأساس ـ وهو أساس قرآني ـ، قول الأستاذ: (نعم، إن القرآن الكريم "المقروء" هو أعظم تفسير وأسماه، وأبلغ ترجمان وأعلاه لهذا الكون البديع، الذي هو قرآن آخر عظيم "منظور". نعم، إن ذلك الفرقان الحكيم هو الذي يرشد الجن والإنس إلى الآيات الكونية التي سطَّرها قلمُ القدرة الإلهية على صحائف الكون الواسع ودبَّجها على أوراق الأزمنة والعصور. وهو الذي ينظر إلى

الموجودات -التي كل منها حرف ذو مغزىً- بالمعنى الحرفي، أي ينظر إليها من حيث دلالتها على الصانع الجليل. فيقول: ما أحسنَ خَلْقَهُ! ما أجملَ خَلْقَهُ! ما أعظم دلالَتَهُ على جمال المبدع الجليل. وهكذا يكشف أمام الأنظار الجمالَ الحقيقي للكائنات." وهذا ما امتاز به حكمة القرآن عن الحكمة البشرية، إذْ " ما يسمّونَه بعلم الحكمة وهي الفلسفة، فقد غَرِقتْ في تزيينات حروف الموجودات، وظلّتْ مبهوتةً أمام علاقات بعضها ببعض، حتى ضلّتْ عن الحقيقة. فبينما كان عليها أن تنظر إلى كتاب الكون نظرتَها إلى الحروف -الدالة على كاتبها- فقد نظرت إليها بالمعنى الاسمي، أي إن الموجوداتِ قائمة بذاتها، وبدأت تتحدث عنها على هذه الصورة فتقول: ما أجملَ هذا! بدلا من: ما أجمل خَلقَ هذا، سالبةً بهذا القولِ الجمالَ الحقيقي للشيء. فأهانتْ بإسنادها الجمالَ إلى الشيءِ نفسِهِ جميعَ الموجودات)[١٤].

وذكر الأستاذ الموضوع في سياق آخر فقال: (ومجمل القول: اجعل حبّك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى "الحرفي" وليس بالمعنى "الاسمي" أي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشيء: "ما أجملَ هذا" بل قل: "ما أجملَه خَلقا" أو "ما أجمل خَلقه"! وإياك أن تترك ثغرة يدخل منها حب لغير الله في باطن قلبك)[١٥].

٢. مواكبة الواقع ومستجداته والتعامل معه على أساس المباديء الثابتة:

من المتفق عليه بين العلماء أنّ البيئة والواقع الذي يلامس حياة الفرد ويحيطه من كل جانب، يترك آثاره وبصماته عليه، ومن هنا راعت الشريعة الوقائع والأعراف المختلفة وتقبل منها ما يلائم المبادئ العامة وقواعد الحلال والحرام الثابتة، وما البيان القرآني: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[16] إلا لتوضيح هذا المبدأ.

فهم النورسي رحمه الله هذه الحقيقة بشكل جيد بسبب انخراطه العميق في ميدان الدعوة والتربية ووضع الأسس لها، وما كان تأليف رسائل النور إلا تلبية لمتطلبات العصر ومحاورة أبناءه بلغتهم، قال الأستاذ: (فيا أخي! إنَّك تعلم جيداً أنّ الضلالة إنْ كانت ناجمة من الجهل فإزالتها يسير وسهل. ولكن إنْ كانت ناشئة من العلم فإزالتها عسير ومعضل. وقد كان هذا القسم الأخير نادراً فيما مضى من الزمان، وربما لا تجد

من الألف إلا واحداً يضل باسم العلم. وإذا ما وجد ضالون من هذا النوع ربما يسترشد منهم واحد من الألف. ذلك لأن أمثال هؤلاء يعجبون بأنفسهم، فمع أنَّهم يجهلون يعتقدون أنّهم يعلمون. وإني اعتقد أنّ الله سبحانه وتعالى قد منح ((الكلمات)) المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصية الدواء الشافي والترياق المضاد لسموم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر)[١٧]. ويؤكد هذا في مواضع أخرى، منها قوله: (إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذْ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل. أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها إلى أسس الإيمان وأركانه)[١٨]، وهذا ما حدا به إلى القول بأنّه (لو كان مولانا جلال الدين الرومي في هذا العصر لكتب رسائل النور، ولو كنت أنا في ذلك العصر لكتبت المثنوي)[١٩].

رسائل النور لا تهرب من الواقع، بل هي تصمد أمام متطلباته الفكرية والعلمية وتواجهه بثبات وبرهان، ومن هنا تأتي بالبدائل الإيمانية العلمية الرصينة المستنبطة من روح الشريعة والمقاصد القرآنية المستلهمة من آياتها المباركة.

عندما لا تقبل المدنية الغربية الحاضرة أو الحضارة الأوروبية ومدنيتها وتهاجم عليها لأن أسسها السلبية ومضارها كثيرة على الفرد والمجتمع، منها الأسس السلبية الخمسة[٢٠]، تأتي وهي تبيّن البديل المناسب من القرآن، وتسميها بمدنية الشريعة المحمدية أو المدنية الحقيقية أو الفضلى. وإليك البيان من الرسائل، وفي هذه المعاني ذكر الأستاذ أن الأسس السلبية للمدنية الغربية، هي:

١ـ نقطة استنادها وركيزتها: القوة، وهذه من شأنها: التجاوز والاعتداء.

٢ـ هدفها وقصدها: المنفعة، وهذه من شأنها: التزاحم.

٣ـ دستورها في الحياة: الجدال والصراع، وهذا من شأنه: التنازع.

٤ـ رابطتها بين الكتل البشرية هي العنصرية والقومية السلبية التي تنمو وتتوسع بابتلاع الآخرين وشأنها التصادم الرهيب.

٥ـ خدمتها للبشرية خدمة جذابة: تشجيع الهوى والهوسات وتلبية رغبات النفس الأمارة ذلك الهوى الذي هو سبب لمسخ الانسان مسخاً معنوياً.

ثم عرض ما أتت بها الشريعة من إيجابية، فقال: (أما المدنية التي تتضمنها الشريعة الأحمدية وتأمر بها:

فإن نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن.

وهدفها: الفضيلة بدلاًمن المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودّة والتجاذب.

جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنفية بدلاً من العنصرية والقومية، وهذه الرابطة من شأنها: الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي.

دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدال والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند.

وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه: رفع الانسان روحياً الى مراقي الكمالات)[٢١].

فمن قارن بين الفهمين ورأى واقعهما على أرض العمل، لايمكن له القبول بمفهوم أو مؤدّى فكري يذهب بالفرد والمجتمع إلى الهاوية والخسران، ويجعله أنانياً لا يحسب الحساب لغير من على منواله في العيش والتفكير، ويجعل نفسه وأهواءه المقياس لمعرفة الحق والحقيقة.

٣. تقديس الشريعة ونصوصها وجعلها الأساس والمنطلق:

كثيراً ما يوضّح الأستاذ سمو الشريعة وقدسية نصوصها، وقد سلك مسالك شتى لتقرير هذه الحقيقة السامية. فعندما يقارن بين الفقه والشريعة، أو بين النصوص المقدسة وفهم العلماء لها، قال(رحمه الله): (كل مَن يملك استعداداً للاجتهاد يستطيع أن يجتهد لنفسه، إلاّ أنّه لا يستطيع أن يشرّع)[٢٢]. ويوضح هذا الكلام بتفصيل أكثر في مكان آخر بقوله: (كل من لديه استعداد وقابلية على الاجتهاد وحائز على شروطه، له أن يجتهد لنفسه في غير ما ورد فيه النص، من دون أن يلزم الآخرين به، إذْ لا يستطيع أن يشرّع ويدعو الأمة إلى مفهومه. إذْ فهمه يُعدّ من فقه الشريعة ولكن ليس الشريعة نفسها، لذا ربما يكون الانسان مجتهداً ولكن لا يمكن أنْ يكون مشرّعاً. فالدعوة إلى أيّ فكر كان

مشروطة بقبول جمهور العلماء له، وإلاّ فهو بدعة مردودة. تنحصر بصاحبها ولا تتعداه. لأن الإجماع وجمهور الفقهاء هم الذين يميزون ختم الشريعة عليه)[٢٣].

إذا في مقابل الشريعة هناك الفقه والاجتهاد، ولا يمكن التسوية بين المصطلحين، فالأصل هو الأول وهوالحامل للحقيقة والصواب حتماً متى وجد، بينما الثاني فهم البشر وهو معرض للخطأ والمناقشة، مع هذا فهذه الاجتهادات تصح أن توصف بالشرعية إذا لم تكن مشوبة بالفلسفة المادية أو التبعية للهوى أو الأرضية ـ كما في تعبير الأستاذ ـ، إذ التدخل في عبادة العباد دون الرخصة أو الإذن المعنوي، وتعلق هذه الاجتهادات بالأرض دون السماء مما يجعلنا أن نصفها بأنها غير مقبولة ولا شرعية[٢٤]، فأساس شرعيتها ينبع من مدى تعلقها بالشريعة وروحها، فكلما بعدت عن النصوص الشرعية الثابتة ومقاصدها، كلما ازدادت بعداً عن واقع الحياة الدينية والاعتبار والشرعية.

ومن جانب آخر فالأستاذ يصف الاجتهادات بأنها مرايا عاكسة للقرآن ومناظير إليه، فلا يمكن توصيفها بأنها الظل للشريعة أو الوكيل عنها، فالشريعة لا ترضى بالظل ولا بالوكيل[٢٥]، وهذا فيصل التفرقة بين الشريعة والاجتهادات الواردة حولها، فلا يطلق على الفقه واجتهاد الفقهاء الشريعة على سبيل الحقيقة، وإنما تصح الوصف بالشريعة أو يختم الاجتهاد بختم الشريعة بأمرين: أولهما بعد أن يتلقى القبول من الجميع المسمى بالإجماع، أو حظي قبوله برأي جمهرة العلماء.

ومن جانب ثان متعلق بما سلف، لا يمكن حصر الحق المطلق في الاجتهادات والآراء والأفكار الشخصية، فهذا مدعاة للتطرف والغلو والتعصب، فمن هنا وضع الأستاذ قاعدة ذهبية، أن من حقنا إدعاء الحق ولكن لا يصحّ ادّعاء الأحقية، فهذه الادّعاء غير مقبول، قال الأستاذ: (لابد أن يكون (هو حق) بدلاً من (هو الحق). و (هو حسن) بدلاً من (هو الحسن). إذ يحق لكل مسلم أن يقول في مسلكه ومذهبه: إن هذا (حق) ولا أتعرض لما عداه. فإن يك جميلاً فمذهبي أجمل. بينما لا يحق له القول في مذهبه: إن هذا هو (الحق) وما عداه باطل. وما عندي هو (الحسن) فحسب، وغيره قبيح وخطأ!)[٢٦]. ولكن الشريعة لا تقبل إلا الحق ولا توصف إلا به، يقول سبحانه: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٢٧]، وقال: ﴿... لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[٢٨]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٢٩].

٤. إحترام العقل وتطلعاته مع بقائه مكلفاً تحت مظلة الشريعة:

مباحث العقل في رسائل النور متشعبة ومتعددة، فهناك بيان لأهميته ومكانته وتبجيل لإدراكاته، وفي المقابل هناك التصدي لمن يرى الاكتفاء به وحصر العلم والمعرفة في طريقه وعن طريقه. فالإنسان مكون من لطائف مختلفة متعددة، وهذا ما أهَّله بأن يكون سيّد المخلوقات ومشرفاً عليها بخطاب الكلام الإلهي، ويكون أهلا لجنان خالدة في حياة أبدية، نَعَم صحيح أن العقل مدار التكليف، ولكن لا يحصر الإنسان وأهميته في عقله فقط، بل هناك القلب والحسّ والشفقة وغيرها.

الأستاذ النورسي في موضع أهمية العقل ومكانته، قال(رحمه الله): (من الأصول المقررة أنه: إذا تعارض العقل والنقل، يعدّ العقل أصلاً ويؤوّل النقل، ولكن ينبغي لذلك العقل أن يكون عقلاً حقاً)[٣٠]. ويمكن أن يفهم المقصود من هذا العقل الذي أراده الأستاذ من خلال توضيح له في موضع آخر عندما قال: (لأن عقل كل أحد لايكفي في درك العدالة احتاج النوع إلى عقل كُلِّي للعدالة يستفيد منه عقل العموم. وما ذلك العقل إلاّ قانون كليّ، وما هو إلاّ الشريعة)[٣١].

فتبين أن أمر العقل في وصوله إلى الحقائق ليس على إطلاقه، فمثلاً لا يعد بالعقل عنده ما لم يكن ممتزجاً مع القلب ووظيفته، ومتعاوناً معه، فقد قال: (لا يتنور الفكر من دون ضياء القلب فإن لم يمتزج ذلك النور وهذا الضياء، فالفكر ظلامٌ دامس يتفجّر منه الظلم والجهل. فهو ظلام قد لبس لبوس النور (نورالفكر) زوراً وبهتاناً.

ففي عينك نهار لكنه بياض مظلم، وفيها سواد لكنه منور فان لم يكن فيها ذلك السواد المنور، فلا تكون تلك الشحمة عيناً، ولا تقدر على الرؤية. وهكذا، لا قيمة لبصر بلا بصيرة. فإن لم تكن سويداء القلب في فكرة بيضاء ناصعة، فحصيلةُ الدماغ لا تكون علماً ولا بصيرة. فلا عقل دون قلب)[٣٢].

وهكذا فالعقل غير مقبول إدراكاته وغير مأمون تطلعاته ما لم يرتبط بخالقه، ويعمل تحت مظلة شريعته وفي رضائه، قال الأستاذ: (العقل عضو وآلة، إن لم تبعه ـ يا أخي ـ

لله ولم تستعمله في سبيله، بل جعلته في سبيل الهوى والنفس، فانه يتحول الى عضو مشؤوم مزعج وعاجز، إذْ يحمّلك آلام الماضي الحزينة وأهوال المستقبل المخيفة، فينحدر عندئذٍ إلى درك آلة ضارة مشؤومة، ألا ترى كيف يهرب الفاسق من واقع حياته وينغمس في اللهو أو السكر إنقاذاً لنفسه من ازعاجات عقله؟ ولكن إذا بيع العقل الى الله، واُستُعمل في سبيله ولأجله، فإنّه يكون مفتاحاً رائعاً بحيث يفتح ما لا يعد من خزائن الرحمة الإلهية وكنوز الحكمة الربانية فأيْنما ينظر صاحبه وكيفما يفكر يرى الحكمة الإلهية في كل شئ، وكل موجود، وكل حادثة. ويشاهد الرحمة الإلهية متجلية على الوجود كله، فيرقى العقل بهذا إلى مرتبة مرشدٍ رباني يهيّء صاحبه للسعادة الخالدة)[٣٣]، فلذلك لا عقل ولا اعتبار له من غير الإيمان، يحدثنا الأستاذ الآن عما شاهده من الحقيقة ووصل إليه مطمئناً، حيث قال: (وشاهدتُ السننَ كالحبالِ المتدلّية من السماء، من استمسك ولو بجزئي استَصعد واستسعد. ورأيتُ مَن خالَفَها واعتمدَ على العقل الدائر بين الناس، كمَن يريد أنْ يبلُغَ أسباب السموات بالوسائل الأرضية فيتحمّق كما تَحمّقَ فرعونُ بـ (ياهَامَانُ اِبنِ لِي صَرحَاً..) [٣٤].

ويوضح جانباً آخراً من المسألة بحيث لا يمكن التغافل عنها من حيث طبيعة العقل ومقدرته في الدفاع والتصدي للهجمات الشرسة التي تعرّض لها، ويرى بأن العقل قد يقع تحت طائلة الأهواء وينهزم أمام سيلها وهكذا شأن توأمه الذي هو القلب، فالقلب والعقل على دوام المعركة مع الأهواء والنفس الأمارة بالسوء الإنساني، قال الأستاذ: (فإن القلب والعقل اللذين هما محل الإيمان، يسكتان، فيُغلبان على أمرهما. فلا يكون عندئذ ارتكاب الكبائر ناتجاً من عدم الإيمان، بل من غلبة الهوى وسيطرة الوهم والحسّ المادي، وانهزام العقل والقلب وغَلَبة كل أولئك عليهما) [٣٥].

فمن هذا المنطلق فلا يمكن الاعتماد على العقل وحده، وهو بوحده غير قادر على مواجهة متطلبات الحياة وتلبية رغبات حتى الفرد الآنية واللاحقة فكيف المجتمع برمته، فأساس الحياة التعاون بين المكونات الحية منها والجامدة وغيرها من الأنواع، فلذلك صحيح إذا قلنا أنَّه ليس في إمكانه الوصول إلى الإيمان وحقائقه مجرداً عن نظرائه ومساعداتهم من اللطائف الأخرى، قَرّر الأستاذ هذا بقوله: (عدم بلوغ العقل قسماً من

حقائق الايمان الواسعة للغاية والسامية جداً، وعدم استطاعته الاحاطة بها، مع عدم انكشاف العقل انكشافاً تاماً من حيث الإيمان) ٣٦، وقال مكملاً لهذه الحقيقة وترسيخاً لها في موضع آخر٣٧، في مقام التأكيد على أنّ إدراك العدالة، إذ لا يمكن أنْ يُدْرَك إلا بالعقل الكلي الذي هو الشريعة.

قال الأستاذ: (إن الرسائل ليست كبقية مصنفات العلماء تسير على وفق خطى العقل وأدلته ونظراته، ولا تتحرك كما هو الشأن لدى الأولياء المتصوفين بمجرد أذواق القلب وكشوفاته.. وإنما تتحرك بخطى اتحاد العقل والقلب معاً وامتزاجهما)٣٨.

ومن هنا فلا يمكن أن يقال أن ما بلغه العقل البشري من نمو معرفي ومنهجي يفي بالغرض، أو أنْ يُدَعى بأنَّ العقل والعلم كافيين وليسا بحاجة إلى مكمل آخر من خرجهما، وهو إدّعاء عريض اشتهر أثناء الثورة العلمية في أوروبا وبطبيعة الحال ونظراً للانتصارات الغربية في ميادين العلم والسياسة وتراجع النظام الديني الكنسي والتأييد الشعبي للعلم والعلماء وما لقيه العلماء في بداية العصر من التصرفات المشينة من رجالات الكنيسة، وقد تلك الظروف المصاحبة للتطور العلمي في أوربا فرصة مواتية لإظهار العقل غروره، فأبدى أهل العقل في أوربا عدم قبول أي دين أو مذهب ما لم يرض به العلماء الطبيعيون، وكان على الجميع الابتعاد عن كل ما له عداوة مع العلم وأهله، حتى قال أحدهم (العلم كاسحٌ لكل ما هو أمامه، ولم تعترض طريق العلم نحو التقدم أية عقبة، ولا حاجة إلى الدين أو الإله) ٣٩، فالإغترار بالعقل والعلم والاكتفاء بهما في ميادين الحياة وشعبها المختلفة المتعددة من أخطر ماصدمت البشرية بها، وهي المعركة الحامية والحادة التي عاصرها الأستاذ النورسي وصار رائداً في مواجهتها.

قال (رحمه الله): (إن الأسس الإيمانية كانت رصينة متينة في العصور السابقة، وكان الانقياد تاماً كاملاً، إذ كانت توضيحات العارفين في الأمور الفرعية مقبولة، وبياناتهم كافية حتى لو لم يكن لديهم دليل. أما في الوقت الحاضر فقد مدّت الضلالة باسم العلم يدها الى أسس الإيمان وأركانه)٤٠، ثم بيَّن أنّ رسائل النور واجهت هذا الخطر ولم تترك الساحة فارغة، ونجحت في صدها والحدّ من غطرستها، وقد عبّر عن هذه الحقيقة في سياقات متعددة، منها قوله: (وإني أعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد منح ((الكلمات))

المعروفة، التي هي لمعات معنوية من إعجاز القرآن الكريم خاصية الدواء الشافي والترياق المضاد لسموم زندقة هذه الضلالة في هذا العصر)[٤١].

—حارب الأستاذ ضمن معركته الفكرية وتصديه لموجة فكر الإلحاد كل ما من اشتم منه رائحة الكفر وعدم الارتباط بالله، ومن ذلك تأليف رسالة الطبيعة، وهي اللمعة الثالثة والعشرون من كتاب (اللمعات) ضمن كليات رسائل النور، في مواجهة ثلاث كلمات يتفوه بها الناس على سبيل الإنكار وعن قصد، أوعن غفلة أو ذهول عن مدلولاتها الخطيرة، قال الأستاذ: (اعلم أنَّ هناك كلمات رهيبة تفوح منها رائحة الكفر النتنة، تخرج من أفواه الناس، وترددها ألسنة أهل الإيمان دون علمهم بخطورة معنى ما يقولون، وسنبين ثلاثاً منها هي الغاية في الخطورة:

أولاها: قولهم عن الشيء: ((أوجدته الأسباب)) أي: أنّ الأسباب هي التي توجد الشيء المعين.

ثانيها: قولهم عن الشيء: ((تشكّل بنفسه)) أي: أنَّ الشيء يتشكل من تلقاء نفسه، ويوجِد نفسَهُ بنفسه، وينتهي إلى صورته التي انتهى إليها كما هي.

ثالثتها: قولهم عن الشيء: ((اقتضته الطبيعة)) أي: أنَّ الشيء طبيعي، والطبيعة هي التي أوجدته واقتضته)[٤٢].

يُعْمِلُ الأستاذ تعقيبا على ما سبق، قاعدة وضع البديل عن مصطلح أو مفهوم مشوّش، فيتبنى بدائل الألفاظ الثلاثة الموحية بقطع الصلة مع الله، والتي هي من ثمرات الفكر السيء والعقل البعيد عن الموازين المستفادة من الرؤية الإيمانية.

قال الأستاذ: (إنّ قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده) [٤٣]، نبّه إلى هذه الحقيقة بعد حوارات واسعة ومُفَصَّلة وطويلة بيّن فيها المحالات المترتّبة على تبني الألفاظ الثلاثة من أوجه متعددة. بيّن الأستاذ في هذا المقام أنّ العقل عندما يفقد الموازين يتأتى منه مثل هذه الألفاظ ويفكر على هذا النمط من التفكير الذي ينتج عنه المحال بل الخرافة الفاضحة.[٤٤].

٥. تحديد زاوية النظر والرؤية وكيفيتيهما:

خلق الله الإنسان مُزَوَّدًا بحواس مختلفة ظاهرة، وأخرى باطنة متعلقة بالظاهرة وأعمالها ومتطلباتها، فمن أكثرها نشاطاً وتأثيراً على باطن الفرد وتفكيره: العين، وعملها الرؤية، ومن هنا فمن امتحنه الله بسلب هذه النعمة العظيمة منه (وهي نعمة الرؤية والبصر) فلا يعدلها تعويض مثل الجنة كما في الحديث الشريف ٤٥. فرؤية العين بداية الرحلة، ثم بعدها كيفيتها تحدد علاقتك بالشيء، بل تسري الأحكام الشرعية المختلفة على أساسها.

ولما كان عمل رسائل النور التطواف على جميع المسائل المرتبطة بالإيمان وبث روح الحقيقة فيها من جديد، فقد وضّحت هذه المسألة من حيثيات متعددة بقصد بلوغ نتيجة محددة ثابتة مطمئنة.

ففي البداية وضعت القاعدة للرؤية البصرية ومنها يسري الحكم إلى الرؤية القلبية أي البصيرة، ثم بيَّنت النتيجة والثمرة، وقالت: (مَنْ أحسن رؤيتَه، حَسُنتْ رويّته وجمُل فكره، ومن جمُل فكرُه تمتع بالحياة والتذ بها)٤٦. ولكن يبقى السؤال: كيف نُحَسِّنُ الرؤية؟ وما هو المقصود من هذا التحسين بل الأحسنية في الرؤية؟ والجواب يأتينا في النهاية.

ومن جانب آخر، لا يستهان بالرؤية في نظر رسائل النور، إذْ بَيَّنَت ووضعت قاعدة أخرى مفادها: (ورُبَّ نظرة تحول الفحم ألماساً)٤٧.

ولبيان الميزان في الرؤية للوصول إلى نتيجة مقبولة أن لا تضخيم ولا تقزيم إلا بقدره، ومن هنا ضرب الأستاذ مثالاً قال فيه: (تأملوا! إذا دخل أحدكم في بستان رائع جميل يشتمل على أنواع الأزاهير والثمرات، لأجل أن يتنزه فيه ويستجمّ ساعة من الزمان. وكانت في بعض جوانب البستان بعض العفونات والنجاسات - حيث أن وجود النقص مع الكمال من مقتضيات هذا العالم وليس المبّرأ من النقص الاّ الجنة - فإنه لا يبحث ولا يتحرّى إلاّ تلك العفونات ولا يديم النظر إلاّ إلى تلك النجاسات، لانحراف في مزاجه. وكأن ليس في ذلك البستان الباهر إلاّ تلك. ثم يتوسع ويتسنبل ذلك الخيال الفاسد بحكم التوهم والتخيل حتى يحسب أنّ ذلك البستان الرائع مسلخٌ قذرٌ أو مزبلة وسخة ويأخذه الدوار والغثيان، ويبدأ بالتقيؤ وينكص على عقبيه)٤٨.

ومن جانب آخر فإن للرؤية أثرها من حيث الحكم الشرعي، فيكون حلالا حينا وحرام حينا آخر، قال الأستاذ: (إنَّ الطبيب له أن ينظر إلى أشدّ الأماكن حرمة لمن يحرم عليه، من زاوية نظر الطب والعلاج. بل يكشف له – في حالات الضرورة – تلك الأماكن، ولا يُعَدُّ ذلك خلافاً للأدب، وإنّما يعتبر ذلك من مقتضيات الطب. إلاّ أنَّ ذلك الطبيب نفسه لا يجوز له أنْ ينظر إلى تلك الأماكن المحرمة من حيث كونه رجلاً أو واعظاً أو عالماً، فلا يسمح الأدب قطعاً بإظهارها له بتلك العناوين والصفات. بل يعد ذلك انعداماً للحياء)[٤٩].

ويجب التنبه إلى مسألة متعلقة بالحكم الشرعي، وهي أنَّ تعدد الرؤية واختلافها مع وحدة الموضوع قد يكون نتيجة طبيعية لمتطلبات الحالة أو المسألة وما حولها من دواع، فلا توصف الرؤية المتعددة والمختلفة للموضوع الواحد بالخطأ اطراداً، فمثلاً الحكم المختلف فيه بين العلماء في المسألة الواحدة قد يكون من نتاج تعدد الرؤية وتنوع الحالة مع أنَّ الموضوع واحد، فالماء للمريض له أحكام متعددة مختلفة، وكُلُّها حق بالنسبة لمن يخصه، فقد يكون الماء دواء لمريض فحكم تناوله الوجوب بخصوصه، بينما يكون شربه داء لغيره فيبلغ حد الحرمة أو الكراهة، وهناك من يستوي في شأنه الشرب أو تركه فالحكم آنذاك المباح، وهكذا. فهناك تعددت الرؤية وبالتالي الحكم، لتعدد الحالات واختلافها من أحد إلى آخر وحسب مقتضيات الحالات والأشخاص[٥٠].

وكذلك وقف الأستاذ مع جواز اختلاف التوصيف والتعريف نظراً لتعدد الرؤية بتعدد المهن والحرف، ومن هنا فإنَّ النظرة والرؤية هي التي تكون أحيانا كثيرة سببا في تغير مفاهيم الأشياء وتعددها، فـ (لو سُئل علم الطب: ما هذه الكائنات؟ لأجاب: أنها صيدلية كبرى أُحضرت فيها باتقان جميع الأدوية وأدّخرَت.

وإذا ما سُئل علم الكيمياء: ما هذه الكرة الأرضية؟ لأجاب: أنها مختبر كيمياء منتظم بديع كامل.

على حين يجيب علم المكائن: أنها معمل منسَّق كامل لا ترى فيه نقصاً.

كما يجيب علم الزراعة: أنها حديقة غنَّاء ومزرعة معطاء، تستنبت فيها أنواع المحاصيل، كلٌ في أوانه.

ولأجاب علم التجارة: انها معرض تجاري فخم، وسوق في غاية الروعة والنظام، ومحل تجاري يحوي أنفس البضائع المصنوعة وأجودها.

ولأجاب علم الإعاشة: إنَّها مستودع ضخم يضم الأرزاق كلها بأنواعها وأصنافها.

ولأجاب علم التغذية: إنَّها مطبخ رباني تطبخ فيه مئات الألوف من الأطعمة الشهيَّة اللذيذة جنباً إلى جنب بنظام في غاية الاتقان والكمال.

ولو سئل علم العسكرية عن الأرض! لأجاب: إنّها معسكر مهيب يُساق إليه في كل ربيع جنودٌ مسلحون جُدد يؤلفون أمماً مختلفة من النباتات والحيوانات يبلغ تعدادها أكثر من أربعمائة ألف أمة، فتُنصَب خِيَمُهم في أرجاء سطح الأرض. وعلى الرغم من أن أرزاق كل أمَّة تختلف عن الأخرى، وملابسها متغايرة وأسلحتها متباينة، وتعليماتها مختلفة، ورُخَصها متفاوتة، إلاّ أنَّ أمور الجميع تسير بانتظام رائع، ولوازم الجميع تُهيأ دون نسيان ولا التباس، وذلك بأمر من الله تعالى وبفضل رحمته السابغة صادراً من خزينته الواسعة.

وإذا ما سئل علم الكهرباء! لأجاب: إنّ سقف قصر الكون البديع هذا قد زُيِّن بمصابيح متلألئة لاحدَّ لكثرتها ولا منتهى لروعتها وتناسقها، حتى أنّ النظام البديع والتناسق الرائع الذي فيه يحولان دون انفجار تلك المصابيح السماوية المتوهجة دوماً - وهي تكبر الأرض ألف مرة وفي مقدمتها الشمس - ودون انتقاص توازنها أو نشوب حريق فيما بينها..)[٥١].

لم يكن قصد الأستاذ الانتصار إلى قبول تعدّد الرؤية وتحصيل نتائجها الدنيوية، بل كان القصد بالمقام الأول التركيز الوثيق والصارم على بيان أهمية الايمان والحقائق الإيمانية، من هنا كانت همّته متعلّقة بترسيخ المنطلق الإيماني للرؤية، لهذا على تحقيقه بالتساؤل الوظيفي، هل المنطلق إيماني قلبي، أم مادي إلحادي؟ فلا اعتبار لغير الرؤية الإيمانية، وهي الرؤية المنطقية التي تروي القلب والعقل معاً وتكون طريق وصول إلى الحقيقة الناصعة. بينما الرؤية الإلحادية أو الكفرية فهي لا تلبي عطش القلب والوجدان، ولا تظهر من خلالها الحقيقة ومعنى الأشياء بل تسكر نفسها لعجزها عن الوصول إلى مكامن الأمور ومفاتيحها، وبالتالي فهي ساذجة وحقيرة وتجول في الظلمة وفي إيطار

محدود مقفل، وما كل هذا إلا لأنها حملت على كاهلها الكفر ونفسَه، أو الإلحاد ومزالقه٥٢.

ويَحْسُن بهذا الصدد ذكر أنموذج من الأمثلة التي وردت في رسائل النور، منها ما أورده الأستاذ في تعريف الشمس ـ ضمن التعريفات لأشياء متعددة ـ حسب منطلقي الرؤيتين (الإيمانية والإلحادية). ونبدأ أولاً بالتعريف من منطلق إلحادي مادي بحت، فالملحد والمادي الفلسفي الذي يهتم بالماديات فقط ويحصر رؤيته فيها دون الالتفات إلى الرؤية الإيمانية، عندما يعرف الشمس بقوله: (هي كتلة عظيمة من المائع الناري تدور حول نفسها في مستقرها، تطايرت منها شرارات وهي أرضنا وسيارات أخرى فتدور هذه الأجرام العظيمة المختلفة في الجسامة.. ضخامتها كذا.. ماهيتها كذا..) [53]. بينما عندما نأتي إلى التعريف من منطلق الرؤية الإيمانية والقرآنية، فالقرآن: (يبحث عن الشمس لا للشمس، ولا عن ماهيتها، بل لِمن نورَّها وجعلها سراجاً، وعن وظيفتها بصيرورتها محوراً لانتظام الصنعة ومركزاً لنظام الخلقة، وما الانتظام والنظام إلاّ مرايا معرفة الصانع الجليل. فيعرّفنا القرانُ بإراءة نظام النسج وانتظام المنسوجات كمالات فاطرها الحكيم وصانعها العليم، فيقول: {والشمسُ تجري} ويفهِّم بها وينبه الى تصرفات القدرة الإلهية العظيمة في اختلاف الليل والنهار وتناوب الصيف والشتاء. وفي لفت النظر اليها تنبيه السامع الى عظمة قدرة الصانع وانفراده في ربوبيته. فمهما كانت حقيقة جريان الشمس وبأي صورة كانت لا تؤثر تلك الحقيقة في مقصد القرآن في إراءة الانتظام المشهود والمنسوج معاً.

ويقول أيضاً: ﴿وَجَعَلَ الشمسَ سراجاً﴾٥٤ ففي تعبير السراج تصوير العالم بصورة قصر، وتصوير الأشياء الموجودة فيه في صورة لوازم ذلك القصر، ومزيّناته، ومطعوماته لسكان القصر ومسافريه، واحساسٌ أنه قد أحضَرتها لضيوفه وخدّامه يدُ كريمٍ رحيم. وما الشمسُ إلاّ مأمور مسخَّر وسراج منوَّر. ففي تعبير السراج تنبيه الى رحمة الخالق في عظمة ربوبيته، وافهامُ إحسانه في سعة رحمته، وإحساسُ كرمه في عظمة سلطنته)٥٥. وعند المقارنة بين التعريفين يتبين لنا أننا لا نجني من التعريف المادي ـ مع صحته من

جانب ـ: (غيرَ الحيرة المدهشة، والدهشة الموحشة، فلم تُفِدْك كمالاً علمياً، ولا ذوقاً روحياً، ولا غاية إنسانية، ولا فائدة دينية) ٥٦.

الخاتمة

لقد توصل الباحث إلى جملة من النتائج يمكن تلخيص أهمها فيما يأتي:

١. مباحث المصطلحات والمفاهيم من المباحث المهمة، إذ لها تعلّق بمختلف العلوم، ومردُّ الاختلاف بين المشتغلين بالعلوم الاختلاف في المصطلحات والمفاهيم لهذا فإنّ موضوع ضبط المصطلحات والمفاهيم عموما والأكثر انتشارا في المجتمع توجب العناية ترشيدا وتبديلا إن اقتضى الحال.

٢. بيّنا أنّ للمصطلحات والمفاهيم عموما والمنتشرة ~~والحادثة~~ بين أفراد المجتمع؛ اتجاهات ثلاثة، فريق يقبلها بإطلاق وآخر يرفضها بإطلاق، وثالث وسط بينهما، وهذه الوسطية في الغالب الأعم هي الملائمة الموافقة لتيسير انخراط الفرد في محيطه، وهي من أحسن الوسائل المساعدة على تمييز الأصيل من الزائف، والمقبول من المردود، والنافع من الضار في مختلف مجالات الحياة المعرفية والفكرية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والدينية و...

٣. وأكّد الباحث أصالة التأسيس بدائل المصطلحات والمفاهيم غير موائمة للرؤية الإسلامية، فقد ورد شاهدها بنصوص القرآن والسنة، ومنها يُسْتَفَاد دستور وقواعد أساسية في التعامل معها على الوجه الصحيح، فوجدنا في النصوص البديل بأسلوب قولي، وآخر بأسلوب فعلي، فضلا عن تعديل زاوية النظر والرؤية لمفهوم بعض المصطلحات، فكان هذا المسلك تأصيلا شرعيا لبدائل المصطلحات والمفاهيم، ومنها أخذ العلماء نهج الوسط في القبول والرفض، متوسّلين في التعامل العلمي الدقيق معها بما وضعوه من أسس وقواعد.

٤. رسائل النور قلعة من قلاع مواجهة عصر الهجوم على الدين ومبادئه بأسماء ومصطلحات ومفاهيم من المشارب مختلفة وبأساليب متعددة، وقفت الرسائل صامدة، فحذَّرت الجميع من هذه الهجمة وبينت بالبرهان والدليل الراسخ ضعف هذه الهجمة وتخلّفها عن ركب العقل والدين، عملت رسائل النور على

تنشيط روح المقاومة الفكرية، القائمة على الدراية العلمية والعقلية المتجدّدة، وأسهمت في تدريب مختلف طبقات المجتمع ـ بغض النظر عن مستواهم المعرفي والاجتماعي ـ على مواجهة الإلحاد بصمود كبير عُمْدَتُه الحفاظ على الصلة بالله وتمثّل ما جاء دينه من توجيهات، بأسلوب عصري مؤثر.

٥. وضعت رسائل النور أسساً متعددة في تعاملها مع بدائل المصطلحات والمفاهيم المتحفّظ عليها، منها على سبيل المثال لا الحصر: أساس ترسيخ الارتباط بالله وأسمائه، وأساس مواكبة الواقع ومستجداته والتعامل معه على أساس المباديء الثابتة، وأساس تقديس الشريعة ونصوصها وجعل المنطلق منها، وأساس احترام العقل وتطلُّعاته مع بقائه مكلفاً تحت مظلة الشريعة، وأساس زاوية النظر والرؤية وكيفيتيهما.

٦. يُسْتَشَفُ من الأسس المعتمدة في مبحث البدائل في رسائل النور، أنّها أبدلت الرسائل العديد من المصطلحات والمفاهيم بما يلائم ثوابت الشريعة والرؤية الإيمانية وأسسها العقدية والفكرية، منها:

أ. جانب المصطلحات: عند استحسان الأشياء لا تقل (ما أجمل هذا)، بل قل (ما أجمل خلقه)، وفي الرأي المختار لا تقل (هو الحق) بل قل (هو حق)، ولا يقال لفهم العلماء واجتهاداتهم (الشريعة)، وإنما هو الفقه والاجتهاد، ومن حيث الخَلق نفت الرسائل مصطلحات وكلمات تنبعث عن رؤى مباينة للرؤية الإيمانية، من نحو قولهم:(أوجدته الأسباب، أو تشكّل بنفسه، أو اقتضته الطبيعة) فهي مرفوضة لفظا وفهماً عند الأستاذ، وبديل كلّ هذا هو جمل وألفاظ مقبولة لانبعاثها من الحقائق الإيمانية الثابتة، وهي قوله (رحمه الله): (إن قدرة الخالق القدير ذي الجلال هي التي توجده).

ب. جانب المفاهيم: اختار لتحقيق المفاهيم البديلة أسلوب المقارنة، منها النماذج الآتية: المدنية الغربية والمدنية القرآنية، والنظرة الإيمانية والنظرة التقليدية المادية.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم.

١. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.

٢. الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير: جلال الدين بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، ط. ٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٤ م.

٣. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ط. ٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

٤. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، ط. ١، دار الرسالة العالمية ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٥. سيرة ذاتية: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.

٦. شرح النووي على صحيح مسلم المسمى بـ: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، ط. ٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٣٩٢ هـ.

٧. الشعاعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.

٨. صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، ط.١، دار الشعب – القاهرة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٩. صحيح مسلم المسمى بـ: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، طبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤هـ، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

١٠. صيقل الإسلام: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.

١١. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

١٢. الكلمات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.

١٣. اللمعات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.
١٤. المثنوي العربي النوري: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.
١٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.
١٦. محاضرات غير منشورة لمادة (مدخل إلى علم الأديان)، ألقيت على طلاب المرحلة الأولى، قسم مقارنة الأديان، كلية القلعة الجامعة للدراسات الدينية ـ أربيل، السنة الدراسية ٢٠٢٠ ـ ٢٠٢١م، المحاضر: أ.د. أميد نجم الدين جميل المفتي.
١٧. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط. ١، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١ – ١٩٩٠م.
١٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط. ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٩. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.
٢٠. المغني عن حمل الأسفار: أبو الفضل العراقي (ت ٨٠٦ هـ)، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢١. المكتوبات: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلرللنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.
٢٢. الملاحق: بديع الزمان سعيد النورسي (ت١٣٧٩هـ)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ط.٦، دار سوزلر للنشر، مصر-القاهرة، ٢٠١١م.
٢٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط. ١، دار القلم, الدار الشامية - دمشق، بيروت ١٤١٥ هـ

الهوامش:

[١] جامعة صلاح الدين / أربيل ـ العراق كلية العلوم الإسلامية الإيميل: omedmufty@gmail.com
٢ زاد المعاد فى هدى خير العباد: ٣٠٧/٢.
٣ ينظر: المكتوبات: ٥ ـ وما بعدها.
٤ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٢٣.

٥ كتاب بدء الوحى، ٨ / ٥٤ رقم الحديث: ٦١٩٣.
٦ فتح البارى: ١٠ / ٥٧٦.
٧ صحيح مسلم:١٢٠/٤ برقم ٤٨٨ باب: المدينة تنفي الخبث، وصحيح البخاري: ٢٦/٣ برقم ١٨٧١ باب فَضْلِ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهَا تَنْفِى النَّاسَ.كتاب بدء الوحي.
٨ شرح النووى: ١٥٤/٩
٩ أخرجه أبو داود فى سننه: ٧ / ١٦٢ برقم (٤٧٨٢)، وأحمد فى المسند: ٣٥ / ٢٧٨ برقم ٢١٣٤٨ وسند أحمد جيد عند الحافظ العراقي في المغني: ٨٤٦/٢، وقال الهيثمي عن سند أحمد في مجمع الزوائد: ٧٠/٨، رجاله رجال الصحيح.
١٠ مثل ما صح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال للنبى صلى الله عليه وسلم:أوصنى، قال صلى الله عليه وسلم:(لا تغضب)، فردد مراراً ،قال صلى الله عليه وسلم له فى كل مرة:(لا تغضب). أخرجه البخاري في صحيحه: ٨ /٣٥ برقم ٦١١٦، باب: الحذر من الغضب، كتاب بدء الوحى.
١١ كما أخرج الإمام السيوطى بسند حسن فى الجامع الصغير عن ابن عباس رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا غضبَ أحدُكمْ فليسكتْ). الجامع الصغير: ١ / ٥٢ برقم (٧٦٨).
١٢ الشعاعات: ٢١١.
١٣ الكلمات: ٢٩٠ ـ ٢٩١.
١٤ االكلمات: ١٤١ ـ ١٤٢
١٥ الكلمات: ٧٥١.
١٦ الأعراف:١٩٩
١٧ المكتوبات: ٢٨.
١٨ المكتوبات: ٤٧٧.
١٩ سيرة ذاتية: ٦٠٤.
٢٠ لأن الاستاذ يقول عنها: (إن المدنية (وهي بلا ميم) ، أي الدنية). المكتوبات: ٥٠.
٢١ المكتوبات: ٥٩٧ ـ ٥٩٨.
٢٢ المكتوبات: ٥٩٣.
٢٣ الكلمات: ٨٣٢.
٢٤ ينظر: الكلمات: ٥٥٧.
٢٥ الكلمات: ٨٣٠.
٢٦ الكلمات: ٨٤٩ ـ ٨٥٠.
٢٧ البقرة:١٤٧
٢٨ يونس: ٩٤
٢٩ يونس: ١٠٨
٣٠ صيقل الإسلام: ٢٧.
٣١ إشارات الإعجاز: ١٤٤.
٣٢ الكلمات: ٨٣٢ ـ ٨٣٣.
٣٣ الكلمات: ٢٣.
٣٤ المثنوى: ١٧٠ ـ ١٧١.
٣٥ اللمعات: ١٠٨.
٣٦ اللمعات: ٥٧.
٣٧ سبق نقله من إشارات الإعجاز: ١٤٤

٣٨ الملاحق: ٩٩.
٣٩ ينظر: محاضرات غير منشورة في مادة (مدخل إلى علم الأديان): ١٥.
٤٠ المكتوبات: ٤٧٧.
٤١ المكتوبات : ٢٨.
٤٢ اللمعات: ٢٤٧.
٤٣ اللمعات: ٢٤٧.
٤٤ اللمعات: ٢٤٥.
٤٥ فقد أخرج البخارى فى صحيحه: ٧: ١٥١ برقم (٥٦٥٣) باب: فضلِ من ذهب بصره، كتاب بدء الوحى، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ) يُرِيدُ عَيْنَيْهِ.
٤٦ المكتوبات: ٥٩٦.
٤٧ الكلمات: ٨٣٩.
٤٨ صيقلِ الإسلام: ٣٧٥.
٤٩ اللمعات: ٧٩.
٥٠ ينظر: الكلمات: ٥٦٠ ـ ٥٦١.
٥١ اللمعات: ٤٨٤ ـ ٤٨٥.
٥٢ لمزيد من الأمثلة لإظهار الفرق بين الرؤيتين، ينظر: الكلمات: ٧٥٠ ـ وما بعدها، و٧٦٢.
٥٣ الكلمات: ٢٦٨.
٥٤ نوح:١٦
٥٥ الكلمات: ٢٦٨.
٥٦ الكلمات: ٢٦٨.

أسس إيمانية لتحقيق أمن الأمة واستقرارها
قراءة في رسائل النور لبديع الزمان النُّورسي

أ.د. فيروز عثمان صالح[1]

الملخص

تسعى رسائل النور لحل المشكلات (المادية والمعنوية) التي تُواجه إنسان اليوم من خلال نظرة رشيدة للكون والحياة، وتُعَدُّ مشكلات العنف والإرهاب والعداوة من المشكلات التي تُهدد أمن الأمة والبشرية جمعاء. ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، إذ تعالج هذه القضية الإنسانية المُلحّة والشائكة. وقد اجتهد الأستاذ سعيد النُّورسي في تشخيص الداء ثم شرع في وضع الحلول العملية، فأرجع السبب الحقيقي وراء تلك المشكلة إلى الفكر الإلحادي والثقافة المبنية على المنفعة الشخصية، والمدنية الخالية من القيم المعنوية، لذا فقد أكّد الأستاذ النُّورسي على ضرورة إنقاذ الإيمان وحفظه الذي هو أُس الأساس للمحبة والأخوة والتعاون، وكذا دعا إلى التمسك بالقيم المعنوية المستخلصة من الوحي الإلهي، مُنبّهاً إلى أنّ المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، والسعي لإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية وإعانة الأمن الداخلي بكل قوة وبشكل إيجابي بنَّاء. وكذلك تكررت الدعوة في رسائل النور للإتحاد المحمدي الذي يربط الأمة بسلسلة نورانية تكون حصناً وسداً أمام التفرّق والخصومة والعنف والعداء.

الكلمات المفتاحية: العنف، الفكر الإلحادي، الجهاد المعنوي، الوحي الإلهي، التعاون.

Faith Foundations to Achieve the Nation's Security and Stability Spotlight on Risale-i nur by Bediuzzaman Said Nursi

Prof. Dr. Fayrouz Othman Saleh

Abstract:

Risale-i nur are seeking to solve the material and moral problems that face people today through a rational view towards the universe and life. Violence, terrorism and enmity are among the problems that threaten the security of the nation and the whole humanity. Thus, the importance of this study is stemmed from here, as it addresses this human complicated and critical issue. Ustaz/ Said Nursi has worked hard in diagnosing the disease then initiated practical solutions, referring the real cause behind this problem to atheistic thought and culture which are based on personal benefit, as well as urbanization lacking moral values. So, Ustaz Said Nursi emphasized the need to save faith and maintain it, which is considered as the basis for love, fraternity and cooperation. He also called for adhering to the moral values derived from the divine revelation, warning that the main issue at this time is the struggle, and endeavor to establish invincible fort in face of moral distortions as well as strongly, constructively and positively assisting the internal security. Rasa'el ALnour also called for to Muhammadan Union, which links the Ummah (nation) with a spiritual chain that would be a safeguard and a fort against division, rivalry, violence and hostility.

Keywords: Violence, Atheistic thought, Moral jihad, Divine revelation, Cooperation

توزّعت الأسس الإيمانية التي تسعفنا في تحقيق أمن الأمة واستقرارها على رسائل النور، إذ تراها مبثوثة في جملة الرسائل، فلا يخلو جزء منها من خدمة مقصد أمن الأمة واستقرارها، ولأجل الخلوص إلى بيان ذلك عرضت مادة البحث في النقاط الآتية:

١- إنقاذ الإيمان في رسائل النور هو المقصد الأساس لحل أزمات الأمة وإصلاحها.

٢- تراجع الإيمان وأثره على ضلال البشرية وغياب الأمن والسلام.

٣- المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب.

٤- الصدق أساس الإيمان والإسلام ومبعث تحقيق الأمن والاستقرار.

٥- الإيمان أهم أُسس المدنية الشرعية المحققة للأمن والسلام بخلاف المدنية الحاضرة.

٦- عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة بريء واحد.

٧- التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن منبع الجرائم البشعة والدمار والهلاك.

٨- الفكر القومي السلبي قوة مشؤومة تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف.

٩- رسائل النور تأكيد على الأُخُوّة الإنسانية والأُخُوّة الإيمانية دفعاً للتنازع والاختلاف والعنف.

١٠-الانقسام والتنازع بين المسلمين مهدّد أمني ومرض اجتماعي فتّاك.

١١-الخدمة الإيمانية البناءة أساس الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي.

١٢-الجهاد المعنوي لمجابهة التخريبات المعنوية وتحقيق الأمن الداخلي.

الحمد لله القائل ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الذي كانت سُنَّته بياناً للقرآن، وسيرته تنزيلاً له على الواقع لإقامة المجتمع الراشد الآمن المطمئن، وعلى آله وصحبه الأخيار وبعد:

إن عالم اليوم قد تفاقمت مشكلاته وأزماته، وبات بائساً يائساً لا حيلة له، يئن من الأثر الوخيم للفوضى والتنازع والسفه والقلق وانعدام الأمن والأمان والطمأنينة والسلام، وغيرها من المعضلات العويصة والعلل الاجتماعية، فبالرغم من ضخامة المنجزات العلمية والتكنولوجية، وعلى الرغم من وسائل الراحة المادية إلا أنها لم تمنح عالم اليوم سعادة مستمرة ولا طمأنينة وقتية، بل ربما زادت من بؤسه الروحي ويأسه الفكري والاجتماعي، وزادت من قتام أفق أمله، وضاعفت من مساحات الحيرة والقلق والخوف.

أدرك الأستاذ النُّورسي – والحال هكذا – أنّ الأمة أمام خيارين: إما المجاهدة والكفاح لإعادة الأمور إلى نصابها وإحياء الأمة وتصويب مسيرتها، وإما الخلود إلى الراحة والدعة والذي يعني الاستسلام للفناء والموت المرحلي الأبدي.

اختار الأستاذ الخيار الأول وأخذ على عاتقه واجب إعادة الأمور إلى نصابها أسوة بالعلماء الربانيين المصلحين المُجَددين. وزرع كغيره من علماء الأمة الربانيين في

المجتمع روح المقاومة والنقد الذاتي، وهو مسلك استمرار السعي الذي تصدى به قادة الأمة وعلماؤها للانحطاط الفكري والخلقي الذي تترنّح فيه الأمة، كلّ ذلك لأجل تقويم الوضع، ومحاصرة الفساد وإصلاح مكامن الخلل، بقصد استعادة أنموذج المجتمع الذي ينعم أفراده بالأمن والأمان والطمأنينة والسلام والاستقرار، قال تعالى: ﴿فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣]، وقال جلّ في علاه ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٤]، فمن آمن واتّقى وأصلح تصوّره وتصرّفه القولي والعملي، نفى الله عنه الخوف والحزن، وفي مقابل ذلك – أي الترغيب في الإيمان والعمل الصالح تحقيقاً للأمن والسعادة- فإن القرآن الكريم يُنذر المجتمعات التي تتقاعس عن مواجهة الفساد، وإن لم تُشارك في صناعة الفساد، باضطراب أحوالها وبأنه سوف ينال تلك المجتمعات نصيب من الفتنة، والخوف، والاضطراب، والفوضى والبلاء. قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٥]، أي اتّقوا فتنة تتعدى الظالم، فتصيب الصالح والطالح، ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم[٦].

المدخل الرئيس للوفاء بمقتضيات ما أشرنا إليه هو استعادة الإيمان، ورأس ما يستعاد به إنقاذه، فكان هذا المقصد عُمْدَةُ ما تمحورت عليه رسائل النور، بوصفه أساس حلّ أزمات الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

١- إنقاذ الإيمان في رسائل النور هو المقصد الأساس لحل أزمات الأمة وإصلاحها:

أدرك الأستاذ النُّورسي وقد أخذ على عاتقه مسؤولية الإصلاح ومجابهة الفساد، وتسديد مسار الأمة وتصويب موقفها لأجل الخروج بها من واقعها المؤلم، وهو في الوقت نفسه مصدر خلاص الإنسانية التي افتقدت وأضاعت الروح والمعنى.

تستعيد الإنسانية والأمة دورها في الوجود باستعادة مصدر قوة الروح، ومربط كلّ ذلك إنقاذ الإيمان وتحقيق العبودية الخالصة لله، حتى تبقى تلك الروح منفتحة ومقبلة على الخير والفضيلة والصلاح وعمارة الأرض، لذا انطلق الأستاذ في مشروعه النهضوي، من إحياء الإيمان وإصلاح المجتمع على أسس إيمانية دفعاً لها إلى مراقي

الكمالات الإنسانية، إذ كان – رحمه الله- يُدرك ويعي أن أي مشروع إصلاحي يتخذ من الإيمان ركيزة وقاعدة هو في حد ذاته قوة، تتولد عنها تجليات في مختلف شعاب الحياة ببعديها الظاهري والباطني المادي والمعنوي، فتستغرق كلّ وحدات الحياة، وتصبغها بألوان الطمأنينة والسكينة والأمن والأمان والسلام.

لذا فإن رسائل النور أخذت على عاتقها وتحمّلت مسؤولية تحفيز المجتمع روحياً وفكرياً، وإعداده لمنازلة الظلم والقهر والغبن والفوضى والخراب، فالرسائل كما يؤكد الأستاذ "جعلت المسألة الأساسية في هذا الزمان، إقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما تملك من قوة"[٧]

ويؤكد الأستاذ في سياق آخر أن "العلاج الوحيد لإنقاذ الأمة.. في هذا العصر من الفوضى والإرهاب ومن التردي المريع والتدني الرهيب هو أسس رسائل النور" [٨] وقال أيضا: "إن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب " [٩]. فمقصد رسائل النور وعملها "هو لتحقيق السعادة والسلامة "[١٠] وذلك " بالخدمة الإيمانية البنّاءة "[١١]، وما التخبّط الذي عرفته البشرية عبر مختلف العصور إلاّ نتيجة لفقد الإيمان ببعديه الروحي والمادي.

٢- تراجع الإيمان وأثره على ضلال البشرية وغياب الأمن والسلام:

أكَّد الأستاذ النُّورسي أنّ ضلال البشرية نتيجة لتغييب الإيمان والهدى في الإنسانية، وهو سبب البلايا ولا سيما الحروب وانعدام الأمن وغياب السلام، قرّر الأستاذ النورسي هذه الحقيقة بقوله في الكلمات:" إن ضلال البشرية وعنادها النمرودي وغرورها الفرعوني، تضخّم وانتفش حتى بلغ السماء ومسّ حكمة الخلق، وأنزل من السموات العلا ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا... تلك هي الحرب العالمية الحاضرة، إذ أنزل الله سبحانه وتعالى لطمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة، لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى. أما ما يعود إلينا من سبب فهو: إهمالنا أركان الإسلام وتركنا الفرائض"[١٢] وقال في الملاحق:" إن رسائل النور أثبتت إثباتاً قاطعاً أن الكفر

والضلالة، تحقير عظيم للكائنات وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا " [١٣]

في ظل التخريبات الرهيبة والخوف والرعب والقلق والاضطراب الذي تعاني منه البشرية يرى الأستاذ أن أوجب الواجبات هو إنقاذ الإيمان، وشاهد ذلك قوله: " لقد أنزلت العدالة الإلهية بالمدنية الدنية التي أهانت الإسلام عذاباً أليماً ومعنوياً ارداها إلى درك الوحوش الجاهلين... فلقد اذاقتهم العدالة الإلهية ذلك الخوف الرهيب وقذفت على رؤوسهم قنابل الرعب والرهبة والقلق والاضطراب. إنّ ألزم شيء في مثل هذا الوقت وأجدى عمل وأجدر وظيفة هو إنقاذ الإيمان.." [١٤]

لذا فإن رسائل النور تقرر أن أهل الضلالة الذين "لا يكترثون بالأعراف الشعبية والإسلامية.. يسوق تسعون بالمائة منهم هذا الوطن والأمة - بنفوسهم الأمارة بالسوء- إلى فوضى ضارب أطنابها " [١٥].

وحذّر الأستاذ النُّورسي من أنه إن لم يتم يعتنى بالإيمان والإصغاء - القلبي والعقلي ببعديها الفريد والجماعي - " للحقائق القرآنية والإيمانية بدل إضعاف الروح الدينية فإن العالم الإسلامي سيُقهر أمام الفوضى والإرهاب الذي يتستر تحت ستار الكفر المطلق الذي يسعى لإبادة العالم الإسلامي " [١٦].

بيّن مما سلف تقريره أن الإيمان مانع من تبني مسلك الفوضى والإرهاب، وهو السمة الحقيقية لمن آثر صدق الانتساب إلى خط الإيمان والإسلام.

٣- المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب:

تميّز الأستاذ النورسي بدقّة الملاحظة وسلامة التحليل ووضوحه، فقد أدرك بنظره الثاقب أن الضلالة والإلحاد والكفر هي بمثابة التربة التي تحتضن بذور شجرة الفتنة التي تُثمر ثمار الفوضى والدمار والهلاك والإرهاب والعنف، وأكّد أن إنقاذ الإيمان هو الكفيل بانتشال البشرية من هذا الوضع الرهيب، وهو الدور المنوط بالمسلم الصادق، لأنّ "المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يكون مؤيداً للفوضى والتخريب، والدين يمنع الفتنة والفوضى بشدة، لأنّ الفوضى لا تعترف بحق من الحقوق، وتقلب سجية الإنسانية وآثار الحضارة إلى سجية الحيوان المتوحش" [١٧].

والأستاذ في تبني هذا المسلك مقتبس من أنوار النبي(صلى الله عليه وسلم)، الذي شهد بالخيرية لمن رجت البرية خيره وأمنت شره، شاهد هذه المعاني قوله (صلى الله عليه وسلم): "خيركم من يُرجى خيره، ويؤمن شره، وشركم من لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره"[١٨].

وشهد النبي (صلى الله عليه وسلم) في مقابل ذلك بكمال الإسلام والإيمان لمن سَلِمَ الناس من بيده ولسانه، وأشاع بين الناس الأمن والأمان والسلام، فقال(صلى الله عليه وسلم):" المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم " [١٩]

يستفاد مما سلف بيانه أنّ معيار منسوب الإيمان المتحقق هو مستوى ما يُثمره من عمل إيجابي يحقق امتثال صاحبه، وانخراطه الكلي في مسلك الاستقامة الفردية والعسي المستمر لجني ثمرة الاستقامة على مستوى المجتمع بحفظ أمنه وأمانه وصيانة أماناته، لذا فإن الأستاذ النُّورسي كان يُلقّن طلابه درساً إيمانياً مفاده: أنه لابد من" القيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة والتي تُثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" [٢٠].

وتبني الأستاذ النُّورسي للربط بين المسألة الأمنية والإيمان اختيار محوري في رسائل النور، ركّز على التأصيل له والتدليل على أهميته في السياقات المعاصرة، فقال: "إن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقته من الدين ليس أمامه إلا الضلالة المطلقة فيصبح فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام " [٢١] وأكّد كذلك (رحمه الله) "أن المسلم يختلف عن أفراد الأمم الأخرى، إذ لو تخلى عن دينه فلا يكون إلا إرهابياً فوضوياً لا يقيده شيء أياً كان" [٢٢]

وبناء على هذا الاختيار ألحّ الأستاذ النورسي – وباستمرار وثبات - على الاعتصام بحقائق القرآن للسلامة من المخاطر الأمنية والإلحاد، شاهد ذلك قوله في الملاحق:"إن أخطر شيء في هذا الزمان هو الإلحاد والزندقة والفوضى والإرهاب، وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن "[٢٣].

فضلا عمّا سلف فإن رسائل النور تؤكد أن مشكلات العالم " والأزمة الخانقة الذي يمر بها العالم والقلق المعنوي... يُجابه بأسس الإيمان الحيوية لمجتمع قلعة الإيمان، فقلعة الإيمان لا تُسند بأعمدة الكفر النخرة " [٢٤]

وتقرر الرسائل أن الحياة الآمنة المطمئنة تتحقق في الحياة الدنيا بل والآخرة للإنسان إذا صرف عمره في أنشطة وأعمال مشروعة في إطار خط الإيمان الجالب للأمان المعنوي والميسّر – حين التفعيل السنني- استجلاب عناصره المادية الحامية له.

قال الأستاذ في الكلمات:" أما إذا صرف- الإنسان- رأسمال عمره ضمن الدائرة المشروعة فسوف يكون نشاطه وعمله ضمن دائرة فسيحة رحبة جداً تمتد إلى الحياة الأبدية الخالدة، وسيعيش سالماً آمناً مطمئناً" [٢٥] وأنه لا محالة " يُبْحِر بالإيمان متفرجاً على سفينة الحياة في خضم أمواج الأحداث العاتية بكمال الإيمان والسلام"[٢٦]

إنّ الإيمان المؤسس للأمان ليس مقولة جوفاء وكلمات عارية عن المحتوى، بل هي كلمات نورانية تنوّر القلب وتطهّر العقل، لهذا كان من أهمّ خصائصها الصدق.

٤- الصدق أساس الإيمان والإسلام ومبعث تحقيق الأمن والاستقرار:

حذرت رسائل النور من الكذب الذي بات رائجاً ولا سيما في الميدان الفكري- وخاصة مع انتشار الإلحاد الذي هو أكبر كذبة – والسياسي- في ظلّ حمى الكراسي الباعثة على المآسي - وقررت" أن المسافة بين الصدق والكذب أصبحت لا تتجاوز الإصبع فكلاهما يباعان في سوق واحدة"[٢٧]، ولا سيما أنّ " الدعايات السياسية قد أعطت أحياناً رواجاً أكثر للكذب، فبرز الكذب والفساد في الميدان السياسي"[٢٨].

وربط الأستاذ في رسائل النور بين الكذب والمسألة الأمنية فأكّد أنّ" انعدام الأمن والاستقرار في الوقت الحاضر بالكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية بتزييفها وافتراءاتها "[٢٩]، وقرّر أنّ" الكذب هو الذي خرّب الأخلاق العالية... وبه انتشر السُمُّ في الإسلام... وبه اختلت أحوال نوع البشر"[٣٠] ونبّه النُورسي إلى أن اتّخاذ المصلحة والضرورة مطية للكذب وهو سبب انعدام الأمن وانفلات النظام وانتشار الفوضى" فما ترى من الهَرْج والمَرْج في حال العالم شاهد على غلبة ضرر عذر المصلحة"[٣١].

وإزاء هذه الشرور وانعدام الأمن وغيابه بسبب الكذب نصح الأستاذ النُّورسي بضرورة قيام البناء الاجتماعي ونظام العالم الإسلامي على أساس الصدق الذي هو رأس الإيمان وأس أساسه.

قال الأستاذ في إشارات الإعجاز:" الصدق هو أساس الإسلامية، وهو خاصة الإيمان، بل الإيمان صدق ورأسه.. وهو الرابط لكل الكمالات.. وهو الحياة للأخلاق العالية.. وهو محور ترقي الإنسان.. وهو نظام العالم الإسلامي" [٣٢] لذا دعا الأستاذ في الخطبة الشامية إلى تمثل الصدق في حياتنا الاجتماعية قائلاً:" علينا أن نُحيي الصدق الذي هو حجر الزاوية في حياتنا الاجتماعية في نفوسنا ونداوي به أمراضنا المعنوية " [٣٣] وأبعد من ذلك أكّد – رحمه الله- أن شرط استقامة الحياة واستقرارها هو تحقق الإيمان والصدق ودوامه، إذ يقول في صيقل الإسلام " إن بقاء حياتنا مرهونة بدوام الإيمان والصدق والتساند " [٣٤].

والإيمان بالمفهوم الإسلامي المستقى من القرآن الكريم واسنة النبوية الشريفة كما عايشها جيل التنزيل من الصحابة الكرام، ليس مسألة فردية، بل هو أساس البعث الاجتماعي والجماعي للدين الإسلامي، ولهذا فهو عُمْدة مدنية متجددة مبعث عظمتها الإيمان.

٥- الإيمان أهم أسس المدنية الشرعية المحققة للأمن والسلام بخلاف المدنية الحاضرة:

أكّد الأستاذ النُّورسي أن أُسس المدنية الشرعية (مدنية القرآن) هي أُسس إيجابية ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتحاد والتساند والأُخُوّة والرقي المادي والمعنوي، بينما تقوم المدنية الحاضرة (المدنية الغربية) على أُسس سلبية ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتخاصم والتنازع والتصادم والشقاء والهلاك والدمار وتشويه الإنسان والإنسانية ومسخهما مسخاً معنويا.

قال(رحمه الله) في الكلمات:" إن أُسس المدنية الحاضرة سلبية وهي أُسس خمسة تدور عليها رحاها. فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة." ثم انتقل الأستاذ إلى بيان أنّ "دستورها في الحياة:

الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة."، ثم فصّل القول في بيان أهمّ رابطة بين مكوّناتها البشرية، فقال:" رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على أساس غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع وهو المشاهد. ومن هنا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها: هي أنّ خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات. وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً..."

وبعد سرد مخازي المدنية الحديثة والمعاصرة المستفادة من أصول مادية، انتقل إلى بيان ما تمتاز به المدنية المستقاة من القرآن الكريم، فقال (رحمه الله): " أما أسس مدنية القرآن الكريم، فهي إيجابية تدور سعادتها على خمسة أسس إيجابية: نقطة استنادها: الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء. وهدفها: الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة. دستورها في الحياة: التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتّحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات. وخدمتهما للمجتمع: بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم." ومما يشهد على قوّة تأثيرها في النفوس والعقول أنّ الرابطة بين مكوّناتها " البشرية رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأُخُوّة الإيمان.. وشأن هذه الرابطة: أُخُوّة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية. وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع من أي عدوان خارجي"[٣٥]

وشاهد إفلاس المدنية الحاضرة – كما قال الأستاذ النُّورسي- أنّها دفعت بغالب البشرية إلى أحضان الشقاء، وأن سعادة هذه المدنية المموّهة الزائفة هي لأقل القليل من الناس، بخلاف المدنية الشرعية التي تضمن سعادة الجميع، لذا فإن الوحشية والجرائم والعنف والإرهاب الذي تولّد عن هذه المدنية يفوق جميع القرون السابقة.

قال الأستاذ في الكلمات:" إن المدنية الحاضرة... صارت سماً زعافاً للإنسانية بدلاً من أن تكون لها ترياقاً شافياً؛ إذ ألقت ثمانين بالمائة من البشرية في شقاء، لتعيش عشرة

بالمائة منها في سعادة مزيفة، أما العشرة الباقية فهم حيارى بين هؤلاء وهؤلاء... والقرآن الكريم النازل رحمة للعالمين لا يقبل إلا طرازاً من المدنية التي تمنح السعادة للجميع أو الأكثرية... إن مجموع ما ارتكبته البشرية من مظالم وجرائم وخيانات في القرون الأولى، قاءتها واستفرغتها هذه المدنية الخبيثة مرة واحدة. وسوف تصاب بالمزيد من الغثيان في قابل أيامها [٣٦]."[٣٧]

ونلحظ هنا أن الأستاذ النُّورسي ربط بين الأمن والسعادة فالأمن شرط لتحقق سعادة البشرية وطِيب عيشها. وقد أصاب الأستاذ فيما ذهب إليه، إذ إنّ بسط الأمن في الأوطان دعوة دعا بها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، إذ قال فيما حكاه الله عنه في القرآن ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ [٣٨] فالمقصود بالبلد: مكة المكرمة، إذ دعا لأهله من ذريته وغيرهم أن يجعله آمناً أي ذا أمن[٣٩]. وفي موطن آخر قال ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [٤٠] إلحاحاً منه في الدعاء لاستتباب الأمن.

ونراه عليه السلام " قدّم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده لأنه إذ انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا "[٤١] ومن جهة أخرى فإنّ "أمن البلاد والسبيل يستتبع جميع خصال السعادة والحياة الكريمة، ويقتضي العدل والعزة والرخاء، إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع"[٤٢].

وكلّ ما سبق تقريره من اختيارات الأستاذ النورسي ناسج فيه على وفق ما صحّ نقله عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا جعلها (صلى الله عليه وسلم) إحدى ركائز السعادة والحياة الطيبة الثلاث، بل قدّمها على سائر الركائز، شاهدا قوله(عليه الصلاة والسلام):" من أصبح منكم آمناً في سربه[٤٣]، معافىً في جسده، عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " [٤٤]

لذا ففي ضوء هدى القرآن والسُنّة رأى الأستاذ النُّورسي أن أُسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم وعداء وعنف ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، بينما مدنية القرآن تكفل السعادة المتدثرة بثياب الأمن والسلام لغالبية البشرية إن لم يكن كلها. " فالقرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع"[٤٥]

٦- عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة بريء واحد:

استرسل الأستاذ النُّورسي في التنبيه إلى الأُسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق الأمن والأمان والسلامة للمجتمعات الإنسانية، فلفت النظر في رسائل النور إلى ظلم السياسة الحاضرة التي تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، وتُهدر دم الأبرياء، بينما عدالة القرآن الكريم لا تُهدر دم برئ واحد لأي شيء كان، ولا حتى لأجل البشرية كافة، فالفرد والجماعة سواء في نظر العدالة الإلهية، فضلاً عن ذلك فإنه لو قتل شخص فاسد مغرور بريئاً واحداً ظلماً فإنه يصبح في وضع يؤهله لتدمير العالم والبشرية جمعاء إن استطاع.

نبّهت رسائل النور إلى هذه المعاني، فقال الأستاذ:" إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تُضحي قلةٌ قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها. أما عدالة القرآن الكريم فلا تُضحي بحياة برئ واحد، ولا تهدر دمه لأي شيء كان، لا في سبيل الأكثرية، ولا لأجل البشرية قاطبة. إذ الآية الكريمة ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [٤٦] تضع سرّين عظيمين أمام نظر الإنسان:

الأول: العدالة المحضة، ذلك الدستور العظيم الذي ينظر إلى الفرد والجماعة والشخص والنوع نظرة واحدة، فهم سواء في نظر العدالة الإلهية مثلما أنهم سواء في نظر القدرة الإلهية. وهذه سُنّة دائمة. إلا أنّ الشخص يستطيع- برغبة من نفسه – أن يُضحي بنفسه، من دون أن يُضحّى به قطعاً، حتى في سبيل الناس جميعاً. لأن إزهاق حياته وإزالة عصمته وهدر دمه بإبطال حق الناس جميعاً شبيه بإزالة عصمتهم جميعاً وهدر دمائهم جميعاً.

والسر الثاني: هو لو قتل مغرورٌ بريئاً دون ورع، تحقيقاً لحرصه وإشباعاً لنزواته وهوى رغباته، فإنه مستعد لتدمير العالم والجنس البشري إن استطاع"[٤٧]

وعدالة القرآن هذه التي أشار إليها الأستاذ النُّورسي- التي تحفظ حق الحياة للفرد والجماعة على حد سواء ولا تهدر دم برئ واحد- مستفادة من السنة الشريفة، فقد قال نبينا الأكرم (عليه الصلاة والسلام): " لزوال الدنيا أهون على الله عز وجل من سفك دم مسلم بغير حق " [٤٨]

٧- التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن منبع الجرائم البشعة والدمار والهلاك:

تمتاز المدنية المعاصرة في قانونيها أنّ التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن قانون ليس له ضابط معيّن، لذا فقد أفلت كثير من الساسة المتلاعبين من العقوبة وأمنوا تطبيقها على المتفرعنين، فاستعملوه بكثرة باسم المصلحة العامة، فنجم عن ذلك فظائع وجرائم لم تعرف البشرية نظيراً لها، ذلك أنّ" القانون الأساس للسياسة البشرية: يُضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، وتُفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة. ويُرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن. فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيّء لهذه القاعدة ولهذا القانون الأساس، فلقد تيقنت من هذا يقيناً قاطعاً. فهذا القانون البشري الأساس ليس له حدّ معين ولا ضوابط مخصصة، لذا فقد مهّد السبيل للتلاعب باستعماله بكثرة " [٤٩]

وضرب الأستاذ مثلاً لذلك بما حدث في الحربين العالميتين من إبادة لأبرياء باسم المصلحة، وتدمير لمكتسبات الإنسانية وإرثها من التمدن والرقي، وشاهد ذلك –كما نقلته رسائل النور–:" إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون الأساس، فأبادت نهائياً ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئاً بجريرة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير قصبة كاملة لجريمة مجرم واحد، لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة [٥٠] "

لم يقف الأستاذ موقف الواصف، بل انتقل منه إلى تقديم العلاج ووصف الدواء لهذا السم الزعاف، وبهذا الصدد دعت رسائل النور لاستبدال القاعدة المدمرة التي هي منبع الجرائم والهلاك بقانون أساس مستفاد من القرآن الكريم، القرآن النازل من العرش الأعظم، ذلك أنّنا " وجدت عوضاً عن هذا القانون البشري الأساس الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم النازل من العرش الأعظم وذلك في الآيتين الآتيتين:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [٥١].(مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [٥٢]. فهاتان الآيتان تُعلّمان القاعدة الجليلة الآتية:

لا يؤاخذ أحد بجريرة لشخص آخر، ثم إن البريء لا يُضحى به - حتى من أجل جميع الناس- دون رضاه، ولكن لو ضحى بنفسه بإرادته وبرضاه فتلك مرتبة الشهادة: هذه القاعدة الجليلة هي التي تُرسي العدالة الحقة في البشرية " [٥٣]

وقرر الأستاذ في السياق نفسه "أن المدنية الحاضرة الغربية، لسلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء وقيامها بمناهضتها، فقد طفح كيلُ سيئاتها على حسناتها،... واضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأُقلقوا وأُسِنت سعادتهم الحقيقية" [٥٤]

وصف الأستاذ القانون الأساس للمدنية الحاضرة بقوله في مقام آخر" يُفني سعادة البشرية وراحتها وعدالتها وسلامتها " [٥٥] وأنه قانون " يجعل الأُخُوّة والمحبة والمواطنة التي هي ركائز الاتّفاق والاتّحاد هباءً منثوراً " [٥٦]

ثم عاد ونبّه إلى عدالة القرآن الكريم في مقابل ذلك القانون الوحشي فقال(رحمه الله): "إن القانون العادل الحق والدستور السماوي المقدس وهو الآية الكريمة ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [٥٧] الذي يحقق المحبة والأُخُوة الصادقة وينقذ الأمة الإسلامية والبلاد من المخاطر... فلا يكون أحد شريكاً في جناية ارتكبها آخر ولو كان أخوه وعشيرته وطائفته وحزبه،... فما لم يؤخذ هذا الدستور قانوناً أساساً فإن المجتمع البشري سيتردى برجعية وحشية إلى أسفل سافلين مثل الدمار الفظيع الذي ولدَّته الحربان العالميتان"[٥٨] ويضيف قائلاً: " إن لطلاب القرآن وخدّامه إزاء هذه المخاطر الفظيعة لهذه الرجعية الوحشية مئات من قوانين القرآن الأساسية من أمثال ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [٥٩] الذي يحقق العدالة الحقة والاتّحاد والأُخُوّة[٦٠] لذا يلزم لأهل السياسة الذين يسعون للحفاظ على سلامة البلاد ومصالحها وإرساء النظام أن يأخذوا هذه الحقيقة بنظر الاعتبار"[٦١].

إن الإيمان نَسَبٌ يحرر المؤمن من الظواهر السلبية التي مبناها تقديم الولاء العرقي أو القومي على حساب الانتساب الإيماني، الذي هو صلة رحم يسأل عنها كلّ منتسب إلى خط الإيمان، من هنا كان لزاما علينا بيان أنّ الفكر القومي تعطيل لأبعاد الإيمان الاجتماعي، وهو ما نعرض له في الفقرة الآتية.

٨- الفكر القومي السلبي قوة مشؤومة تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف:

أسهم الأستاذ (رحمه الله) بقسط وافر في الدعوة إلى الأسس الإيمانية والقرآنية، ونبّه إلى أهميتها في التكفل بالأمن والأمان والسلامة والطمأنينة للأمة، وركّز - خدمة هذه القضية- على لفت النظر إليها في رسائل النور، إذ يمثّل الإيمان مؤسس "الدساتير المقدسة التي هي أساس التعاون الإسلامي والتي هي هدايا سماوية من القرآن الكريم، توثق الرابطة بين المسلمين، وهي: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [٦٢]، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [٦٣] ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [٦٤]

ويرى الأستاذ النُّورسي أن التباين بين البشر في صفات معينة- كاللون والجنس والثروة- هو مدعاة للتعارف والتعاون، فاستناداً إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [٦٥]، ومن ثمَّ فإنّ النورسي يرى أنّ الانقسام إلى طوائف وقبائل - كما تُعلنه الآية الكريمة – ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر والتخاصم" [٦٦]، وتجاوز مرامي الآية الكريمة- ينشأ الشعور القومي السلبي، يقرر هذه المعاني قول الأستاذ (رحمه الله): " من الحرص على العرق والجنس الذي يسبب التناكر والتعاند "[٦٧]، فالقومية والعنصرية: " فكرة أو اعتقاد أو سلوك يقوم على الفصل بين الناس، أو شعور بالتفوق على الآخرين تدعمه السلطة والقوة، وتبرره صفات خاصة موجودة عند البعض ومحروم منها الآخرون، كاللون والجنس، والثروة والجاه "[٦٨].

ونبّه الأستاذ النُّورسي في المكتوبات على خطورة الفكر القومي السلبي، فذرك أنّه " ذوق للنفس، ولذة تُغفل، وقوة مشؤومة "[٦٩]، أُشرِبَت قلوب الشعوب المعاصرة بالقومية السلبية، لذا يَعْسُرُ أن" يقال للمشتغلين بالحياة الاجتماعية في هذا الوقت: دعوا القومية!"[٧٠]

بيّن الأستاذ أن القومية نفسها على قسمين " قسم منها مشؤوم مُضِر، يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه... وهذا يولد المخاصمة والنزاع... والثاني القومية الإيجابية وهي نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون

والتساند " [٧١] لذا أكّد في الكلمات أن القومية السلبية هي: "منشأ الدمار والهلاك " [٧٢]، وقرر في السانحات من صيقل الإسلام " أنها تنمو على حساب الآخرين، وهذه شأنها التصادم "[٧٣] فمنبع العنف هو "التعصب العنصري والأنانية " [٧٤].

أكّد الأستاذ النُّورسي أنّ العداء والحقد والشقاق والتنافر الناتج من الفكر القومي " ترفضه الحقيقة والحكمة ويرفضه الإسلام الذي يُمثل روح الإنسانية الكبرى، فضلاً على أن العداء ظلم شنيع يُفسد حياة البشرية: الشخصية والاجتماعية والمعنوية، بل هو سم زعاف لحياة البشرية قاطبة"[٧٥].

حذّر الأستاذ النُّورسي ونبّه إلى " أن إنماء روح العداء إزاء المواطنين- في البلاد- هلاك وأيّ هلاك وضرر وبيل"[٧٦] " فالتباغض والتنافر بين عناصر الإسلام وقبائله- بسبب من الفكر القومي- هلاك عظيم، وخطب جسيم... ونظر هؤلاء بعضهم لبعض نظرة العداء مصيبة كبرى لا توصف، بل إنه جنون أشبه بجنون من يهتم بلسع البعوض ولا يعبأ بالثعابين الماردة [٧٧] التي تحوم حوله "[٧٨].

أخذ تحذير الأستاذ من العداء الناجم عن القومية السلبية طابعًا إيمانيًا، فأكّد " أن العداء للإخوان في الدين، وبدوره العداء للإسلام، إنما يمس القرآن،...، لذا فادّعاء الغيرة القومية بنية خدمة المجتمع يهدم حجر الزاوية للحياتين معاً، فهي حماقة كبرى وليست حمية وغيرة قطعاً"[٧٩]

والفكر القومي في أصله نوع من التعصب والأنانية والغرور والانحياز الأعم والعناد، " والعناد يلزم أحياناً المغالين في التعصب الضلال والباطل"[٨٠]. والله تعالى يقول: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) [٨١] " فميل الإنسان نحو الظلم لا يُحَد لا سيما إذا انضمت إلى ذلك الميل الأشكال الخبيثة للأنانية كالإعجاب بالنفس وتحري المصلحة الشخصية والكِبَر والفساد والغرور، تتولد جرائم بشعة لم تجد لها البشرية اسماً " [٨٢].

العنصرية والقومية السلبية لا تعرف الحق والعدل إذ تقوم على أساس ظالم، وهي دعوى جاهلية تجاوزها الإسلام، قال الأستاذ النُّورسي:" إن الأسس المتبعة في القومية والعنصرية أسس ظالمة لا تتبع العدالة ولا توافق الحق، إذ لا تسير تلك الأسس عل وفق العدالة، لأن الحاكم العنصري يفضل من هم بنو جنسه على غيرهم، فأنّى له أن يبلغ

العدالة، بينما الإسلام يَجُبُّ ما قبله[٨٣] من عصبية جاهلية، لا فرق بين عبد حبشي وسيد قرشي إذا أسلما... إذ لا تكون هناك عدالة قط وإنما تُهدر الحقوق ويضيع الإنصاف "[٨٤]

لذا فلا عدالة ولا إنصاف ولا حق ولا أمن ولا أمان ولا سلام يمكن أن تنعم به المجتمعات الإنسانية دون تجاوز النزعات العنصرية والعصبيات الجنسية التي وصفها النُّورسي بأنها السم القاتل[٨٥] والداء الخبيث[٨٦] والمرض الوبيل[٨٧].

لم يكن الأستاذ عاشقا للنقد، بل يميل عليه زلا يلجأ إليه إلاّ اضطرارا، فيكون وسيلة للتعبير عن تعلّق همّته باستعادة الأمة مركز الريادة؛ المَبْنِيّ على الأخوة الإنسانية التي تعد ثمرة من ثمرات الإيمان في رسائل النور.

٩- رسائل النور تأكيد على الأُخُوّة الإنسانية والأُخُوّة الإيمانية دفعاً للتنازع والاختلاف والعنف:

جاء الإسلام للفت النظر إلى الأفكار الباطلة والأوضاع المعوجة للمجتمعات الإنسانية، والتي في مقدمتها العصبية والعنصرية التي كانت سبباً يحول دون وحدة الناس على الخير الإنساني العام؛ ولا يتم ذلك بغير تعارفهم وتعاونهم، جاء مشروع الإيمان بما يدفع التنازع والاختلاف المُفضي إلى افتقاد عنصر الأمن والأمان والطمأنينة والوئام، لذا نهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن العصبية والتحيّز والتعاند والتبعية العمياء قائلاً: " ليس مِنّا مَنْ دعا إلى عصبية وليس مِنّا مَنْ قاتل على عصبية وليس مِنّا مَنْ مات على عصبية "[٨٨]

وأكّد عليه الصلاة والسلام بأقواله وأفعاله على وحدة الأصل الإنساني وعلى أن المفاضلة بين إنسان وآخر وقوم وآخرين هو التقوى إذ يقول (عليه أفضل الصلاة والسلام):" أيها الناس، ألا إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى "[٨٩]، وقال أيضا (صلى الله عليه وسلم):" كلكم لآدم وآدم خلق من تراب"[٩٠].

ميزة الإسلام أنّه مجتمع كبير ممتد، لا تحدّه الجغرافيا أو تاريخ أو الأعراق أو اللغة أو غيرها، يمتد ليشمل كل منتسب له، وهو في الوقت نفسه منفتح على الإنسانية كلها بجميع أجناسها وألوانها ولغاتها في كل أرض وفي كل مكان وفي كل زمان، لأنّه يعتبرها

منه ضيّعت نسبتها إليه في التاريخ، بل ذهب الأستاذ إلى أوسع من ذلك، فقرّر (رحمه الله):" أنه بسر الإيمان والتوحيد يرى أُخُوّةً بين كل الكائنات، وأُنسية وتحبباً بين أجزائها لا سيما بين الآدميين، ولا سيما بين المؤمنين، ويرى أُخُوّةً في الأصل والمبدأ والماضي، وتلاقياً في المنتهى، والنتيجة في المستقبل"[٩١].

إذن فالأُخُوّة الإنسانية المستندة على وحدة الأصل تستوجب التعاون والمساندة الذي هو دستور عمل الكون" فإنه ما من شيء في هذا العالم إلاّ وكأنه يتطلع إلى الآخر فيغيثه، أو يرى الآخر فيشد من أزره ويعاونه... فيكمل الواحد عمل الآخر،... ويتوجه الجميع جنباً إلى جنب في طريق الحياة "[٩٢]

وإذا تقرر أن أجزاء الكون تُظهر تحبباً وأُنسيةً وتسانداً وتعاوناً فلابد أن يتحقق ذلك بين مكونات المجتمع البشري، أي شعوبها وقبائلها وأقوامها، ولا يتحقق ذلك بداهة إلاّ بتجاوز الفكر القومي والتمييز العنصري والتعصب العرقي، وكل ما مِن شأنه أن يولّد العنف والعداء والكراهية.

لا يمكن للمؤمنين أن يكونوا أنموذج للتعايش بمعناه الواسع إلاّ تحرروا بمنطق الإيمان من كل ما شأنه أن يهدد وجودهم بوصفهم مؤمنين، وهذا نفرد له الفقرة الآتية.

١٠- الانقسام والتنازع بين المسلمين مهدّد أمني ومرض اجتماعي فتاك:

إن المجتمعات الإنسانية ولاسيما الإسلامية لا يمكن أن يُكتب لها الاستقرار وأن تهنأ بالأمن والطمأنينة في ظل الانقسام والفرقة والتنازع، وقد وصف الأستاذ النُّورسي اختلاف المسلمين وتفرقهم وانقسامهم بالواقع الأليم والمرض الفتاك، وأكّد أن السبيل للشفاء من هذا الداء العضال هو الاسترشاد بنور القرآن والسُنّة، وله في تقرير هذه الحقائق كلاما يكتب بماء الذهب، منها قوله (رحمه الله):

" وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم، والتخلص من هذا المرض الفتاك، مرض الاختلاف الذي ألمّ بأهل الحق هو اتّخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [٩٣] واتّخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [٩٤]. دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية"[٩٥]

الحياة الاجتماعية عند الأستاذ النورسي كما قررها في رسائل النور لا تستقيم دون الوحدة والاتّحاد والتساند وتفقد الجماعة مذاقها، ذلك " أن الحياة نتيجة الوحدة والاتّحاد، فإذا ذهب الاتّحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أدراج الرياح، فالآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [٩٦] تشير إلى أنّ التساند والترابط إذا اختل تفقد الجماعة مذاقها"[٩٧]. وأكّد المعاني نفسها في رسالة الأُخُوة " إنّ الإيمان بعقيدة واحدة يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه تقتضي وحدة المجتمع "[٩٨] حيث لا يعرف التحيّز والعداوة والكراهية طريقاً إلى مثل هذا المجتمع، " فالإيمان يؤسس الأُخوة بين كل شيء، ولا يشتد الحرصُ والعداوةُ والحقدُ والوحشةُ في روح المؤمن، إذ بالدقة يرى أعدى عدوّه نوع أخ له..."[٩٩].

إنّها معاني سامقة عبّر بأساليب متنوّعة، وزادها بيانا بقوله " فالعقيدة الروحية التي بيّنها القرآن الكريم ينعكس نورها على الحياة الاجتماعية وهذا سر قوة الإسلام وسماحته ووحدته "[١٠٠] وأمنه وأمانه.

ويصف الأستاذ النُّورسي بقاء الاختلاف بين المسلمين بالرغم مما يثوي في الإسلام نفسه من دوافع الوحدة والتساند والتكاتف والتكامل-الدوافع الذاتية فضلا عن التحديات الخارجية- "بأنه تدهور مخيف وانحطاط مفجع وخيانة بحق الإسلام والمسلمين"[١٠١]، وهذا ما يفسّر إلحاح الأستاذ على وحدة المسلمين، فقال (رحمه الله): " لا قيمة للجماعة المسلمة بلا اتحاد"[١٠٢] وتؤكّد أن "الأُخُوّة الإسلامية هي جوهر حياة المسلمين وروحهم "[١٠٣] فالوحدة تحول بين الأمة والانطفاء والزوال.

أكّد هذه المعاني بمختلف الصيغ منها قوله:" إن حماية سلسلة الإسلام النورانية وتقوية رابطته التي تجعل المسلمين – بسر الأُخُوَّة الإيمانية- كياناً واحداً... هي وحدها "نقطة الاستناد" وهي وحدها " نقطة الاستمداد"... إن قطرات ولمعات النور كلما بقيت متفرقة وظلّت متناثرة، جَفّت بسرعة وانطفأت حالاً فينادينا رب العزة سبحانه قائلاً: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [١٠٤]﴿لا تَقْنَطُوا﴾[١٠٥] ليحول بيننا وبين الانطفاء والزوال"[١٠٦].

وتقرر رسائل النور أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية من ويلات الإرهاب والعنف والفوضى والدمار إلا بوحدة المسلمين، ذلك " أنه لا يصمد أمام هذا الدمار الرهيب إلا

وحدة المسلمين المنبثقة من حقائق القرآن، فمثلما تكون هذه الوحدة وسيلة لإنقاذ البشرية من بلاء الفوضى والإرهاب فإنها تنقذ هذه البلاد أيضاً من سيطرة الأجانب وتُنجي الأمة من مغبة الإرهاب، بل لا منقذ لها إلا هذه الوحدة "[١٠٧]

لم يكتف الأستاذ النورسي بالرسائل التي يربي عليها طلبته، بل سعى عمليا إلى تكوين وعي بخطورة إهمال الوحدة، وبذل الوسع لأجل تجسيدها والتنبيه إلى أهميتها، من ذلك أنّه(رحمه الله) أرسل رسالة إلى المسؤولين يبيّن فيها أهمية الوحدة الإسلامية، وأنّها هي العلاج المطلوب لاستئصال الإرهاب والفوضى، كان ذلك في عهد حكومة الحزب الديمقراطي[١٠٨] وقد أيّد بديع الزمان تركيا في انضمامها لحلف بغداد عام ١٩٥٥م، وكتب خطاباً هاماً يُهنئ فيه الرئيس جلال بيار ورئيس الوزراء مندرس ويبلغهما تأييده [١٠٩] وكان ممّا قال: إنه قضى خمساً وخمسين سنة من عمره لتحقيق المسألة، ومن وسائله لتحقيق الوحدة تأسيس مدرسة الزهراء، فهذه الجامعة الإسلامية، سوف تكون هي وسيلة لتحقيق السلام الشامل والتصالح على عدة مستويات، وازدهار العمل بالدستور القرآني، القائل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [١١٠] [١١١]

وأبعد من ذلك فقد قرر الأستاذ النُّورسي أن الوحدة الإسلامية هي: " أوجب الفرائض في هذا الوقت"[١١٢] لذا فقد كانت دعوة رسائل النور إلى نبذ الخلافات والعداء والعنصرية ملحّة، سعياً منها لتحقيق الوحدة الإسلامية أو ما أسماه النُّورسي الاتّحاد المحمدي[١١٣] على أساس وحدة الدين.

التحقيق النظري لم يكن كافيا لتحقيق المراد، بل ينبغي أن تتحوّل المعارف النظرية إلى الانطباع في الضمير، فتحوّل المعارف إلى مواقف عملية تتجسّد في شعاب الحياة، وهو المعبّر عنه في أدبيات رسائل النور بالخدمة الإيمانية.

١١- الخدمة الإيمانية البناءة أساس الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي:

عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها وصلاحها بصلاح المستخلفين فيها مطالب تمثّل المقصد العام للشريعة الإسلامية[١١٤] لذا "فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق، وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم"[١١٥]، وهو رام تحقيق الأستاذ (رحمه الله)،

فقال في الدرس الأخير:" إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البنّاء وليس السعي للعمل السلبي الهدام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن الرضى الإلهي... إننا مكلفون... بالقيام بالخدمة الإيمانية البنّاءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي" [١١٦].

ولضرورة القيام بعِمارة الأرض والأخذ بأسباب الترقي والتحضر في حياة الخلق ومصالحهم، يُعَدُّ ترك الناس لها كما يؤكد الإمام الشاطبي مدعاة لانخرام النظام[١١٧].

لذا فإنّ الاستخلاف في الأرض في نظر الأستاذ النُّورسي يعني تفعيل القدرة على العمارة والإصلاح، ومنع الهَدْم والإفساد، وتحقيق العدل والطمأنينة، ومدافعة الظلم والقهر، والقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارك الحيوان[١١٨]

الإيمان الذي هو شرط تأهل الإنسان لخلافة الله في الأرض، والذي يستغرق النشاط الإنساني كله (الروحي والعقلي والفكري والبدني) لا يتجّسد في الواقع المنظور إلا إذا أبرزه العمل الصالح البنّاء.

لذا كانت دعوة الأستاذ النُّورسي إلى العمل الصالح البنّاء القائم على أسس إيمانية والذي أطلق عليه (الخدمة الإيمانية البنّاءة) عريضة في رسائل النور، وخاصة في درسه الأخير، وتركيزه على هذه المسألة التي تُعين على الحفاظ على أمن وأمان واستقرار البلاد، يدل على عظيم حكمته ونظره الثاقب وحسن ترتيبه للأولويات، فكأنما أراد الأستاذ بذلك أن يُنبّه إلى أن غاية رسائل النور ومقصدها الأساس هي الخدمة الإيمانية، ووظيفة طلاب النور هي العمل الإيجابي البنّاء. لذا نجده يردد:" إنّ في مسلكنا قوة، إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي" [١١٩]، وقال أيضا:" إنني لم انحنِ تجاه التحكم والتسلط منذ القِدم وهذا ثابت بكثير من الحوادث، فمثلاً عدم قيامي للقائد العام الروسي، وكما أنني لم أعر أية أهمية على أسئلة الباشوات في ديوان المحكمة العسكرية العرفية الذين كانوا يهددوني بالشنق والإعدام"، واسترسل في تقرير هذه المعاني فقال:" إنني قابلت المعاملات الشائنة بحقي منذ ثلاثين سنة الأخيرة بالرضى والقبول، ذلك من أجل السعي للعمل الإيجابي والاجتناب عن السعي للعمل السلبي... لأن المسألة

الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة"[١٢٠].

من أهمّ متطلبات العمل الإيجابي البنّاء الجهاد المعنوي منعا للتخريب المعنوي والمادي، بوصفهما أسا تحقيق الأمن الداخلي ودفع الخطر الأجنبي، وهو ما نفصّل القول فيه في الفقرة الموالية.

١٢- الجهاد المعنوي لمجابهة التخريبات المعنوية وتحقيق الأمن الداخلي:

أكّد الأستاذ النُّورسي أن مسلك رسائل النور "دفاع لا اعتداء، تعمير لا تخريب"[١٢١] ويُنبّه مراراً أن مسلك القوة الذي يمتلكه طلاب النور لا يمكن استعماله إلا ضد الهجمات الخارجية أما التخريبات المعنوية الداخلية وتأمين الأمن الداخلي فيُجَابه بالعمل الإيجابي البناء وبكل ما يمتلكون من قوة [١٢٢]

ومضى الأستاذ النُّورسي في تعزيز مبدأ العمل الإيجابي لتأمين وتحقيق الاستقرار والأمن الداخلي من خلال التنويه والتنبيه والتأكيد في مواضع عديدة من الرسائل أنّ هذا هو مسلكه ومسلك طلاب النور الأقوياء، الذين أصبحت قوتهم الإيمانية مصدرًا ملهما في الحفاظ على الأمن الداخلي والاستقرار.

شاهد ذلك قوله (رحمه الله) في الدرس الأخير:" قد أحسن إليّ المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين، فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البنّاء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي "[١٢٣]، وقال (رحمه الله) في سياق آخر:" لقد تحقق أن رسائل النور وطلابها هم كأفراد أمن معنويين، يحاولون الحفاظ على الأمن والنظام في البلاد عن عقيدة، وقد نصبوا حارساً في كل قلب مؤمن بإرشاداتهم ونصائحهم، وشعر ضباط الأمن بهذا شعوراً معنوياً، فأظهروا لنا في كل وقت وجه الصداقة " [١٢٤]

وثّق الأستاذ الصلة بهذه المعاني في كثير من نصوص الرسائل، منها قوله: " على الرغم من وجود قوى معنوية رهيبة تحاول الإخلال بالأمن والنظام، وعلى الرغم من فعاليتهم ونشاطهم في البلاد كافة،...، لم يستطيعوا الإخلال بالأمن وما سبب ذلك إلاّ

ستمائة ألف من نسخ رسائل النور وخمسمائة ألف طالب من طلابها، قد أصبحوا كقوة معنوية ساندة للأمن ليصدوا تلك القوى الهدامة الرهيبة "[١٢٥]

وشواهد عناية رسائل النور بإنقاذ الإيمان والتعمير، ومدافعة التخريب كثيرة، منها قول مصطفى صنغور[١٢٦] (أحد أشهر تلامذة النُّورسي): " حاشا الأستاذ لم يُلقِنّا دروساً غير أخلاقية، ولا دروساً في فن التخريب، بل لقننا دروساً في إنقاذ الإيمان" [١٢٧]

ويؤكد الحقوقي الصحفي والكاتب الأستاذ أشرف أديب في مقاله (بعد فراق طويل) " أن كل طالب لرسائل النور محافظ طبيعي لنظام وانتظام البلاد وحارس للأمن والأمان، ولم يقع أن تسبب إنسان من طلاب النور الذين بلغوا مئات الألوف عدداً وانتشروا في أرجاء الوطن كافة في حادث مُخِل بالأمن " [١٢٨]

وأبعد من ذلك فإن للأستاذ النُّورسي دور إيجابي كبير في العديد من المرات، منها أنّه كان سببا في " تهدئة المشاعر المتهيجة لدى الناس، خشية أن يُخِلّ عوام الناس النظام وأمن البلاد بمداخلتهم في السياسة" [١٢٩] ومن ذلك أنه- على سبيل المثال- قام بتهدِئة المشاعر الثائرة الجياشة للطلاب في جامع بايزيد، وفي المولد النبوي المقام في أيا صوفيا، وكذلك قام بتهدئة ثورة الناس وغضبهم في مسرح الفرح، ولولا خُطَب الأستاذ وكلماته المهدِئة لعصفت عاصفة هوجاء مضّرة بهم وبأمنهم.[١٣٠] ومن الشواهد على ذلك أيضا" تهدئته للجنود الثائرين في أحداث ٣١ مارت" [١٣١]

ومن مساعيه الحميدة في الحفاظ على استقرار النظام والأمن وحفظ الدماء تأليفه بين القبائل المتنازعة، ومثال ذلك أنه في أثناء استقراره في مدينة (وان) لسنوات، والتي ذهب إليها عام ١٨٩٤م، بجانب قيامه بالتدريس والإرشاد، انشغل في هذه الفترة أيضاً بالسعي للصلح بين القبائل هناك، إذ كانت هذه القبائل في نزاعات مستمرة فيما بينها، ممّا كان سببا في إراقة الدماء وانتشار العداوة والبغضاء بينها لسنين عديدة، وكانت الإدارة العثمانية تخفق في حالات عديدة وتفشل في الصلح بين هذه القبائل، ولكن (بديع الزمان) استطاع بفضل الله الذي حباه بمحبة وتوقير أبناء القبائل ورؤسائها، فكانت نجاحاته باهرة في إزالة الخصومات وإرساء الصلح والتفاهم بينها[١٣٢] وبالتالي حفظ الأمن وحقن الدماء. لذلك نجده في إحدى محاكماته يؤكد أنّ تلاميذ النور وطلابها "

لن يَتركُوا (رسائل النور)... حتى لا يضُرُّوا بذلك الترك الوطن والشعب والنظام والأمن "[١٣٣].

رسائل النور كما يؤكد الأستاذ بجانب خدماتها الإيمانية التي تعود للآخرة "فإنها في الوقت نفسه تُقدّم خدمةً جليلة أيضاً تعود فائدتها للدنيا وإنقاذ هذه الأمة والبلاد من براثن الفوضى وإنقاذ ضعفاء الجيل المقبل من مخالب الضلالة المطلقة، لأن المسلم لا يشبه غيره، فالذي يحل ربقته من الدين ليس أمامه إلاّ الضلالة المطلقة فيصبح فوضوياً إرهابياً، ولا يمكن دفعه إلى الولاء بالإدارة والنظام "[١٣٤].

لذا ذكر الأستاذ النُّورسي تلاميذه بأنهم لا يملكون سوى سيف النور البتار، فقال: " إننا نملك النور وحده، لا المطرقة والصولجان، فلا يبدر منا تعدٍ على حقوق أحد قطعاً، ولكن إذا ما أُعتدي علينا، نُظهر النور ونبيّنه، فنحن في حالة نوع من دفاع نوراني" [١٣٥]

وهكذا فإنّ دعوة النور قد أثمرت وأسفرت عن جيل وعن جماعة إيمانية قادرة على عِمارة الأرض بالعمل الإيجابي البنّاء، في كل شعاب الحياة وميادينها، ولا سيما ما يتصل منها بجانب الحفاظ على أمن وسلام واستقرار الأمة بل أمن وأمان وسلام المجتمع الإنساني قاطبة.

الخاتمة:

توصلت الباحثة من هذه الدراسة -التي تتبعت الأسس الإيمانية الكفيلة بتحقيق أمن واستقرار الأمة من خلال رسائل النور- إلى نتائج مهمة منها:

١. أخَذَت رسائل النور -في ظل تفاقم مشاكل العالم وأزماته- على عاتقها مسؤولية إعداد المجتمع المسلم لمنازلة ومغالبة الظلم والقهر والغبن والفوضى والإرهاب والخراب والدمار.
٢. أكدت رسائل النور أن ضلال البشرية وفقد الإيمان في ضمائر أفراد الإنسانية هو سبب البلايا وانعدام الأمن وغياب السلام. وتؤكد أن المسلم الحقيقي والمؤمن الصادق لا يؤيد الفوضى والإرهاب، فالدين والإيمان يمنعان الفتنة والفوضى بشدة.

٣. ترى الرسائل أن انعدام الأمن والاستقرار في زماننا سببه الكذب الرهيب الذي تقترفه البشرية بتزييفها وافتراءاتها، لذا كانت الدعوة مُلِحَّة في رسائل النور إلى الصدق، إذ هو خاصة الإيمان ورأسه وأساس الإسلام، وعامل تحقيق الأمن والاستقرار.

٤. نبّهت رسائل النور إلى أسس المدنية الشرعية الإيجابية والتي ينشأ عنها السلام والأمن والطمأنينة والسعادة والاتّحاد، وهي المعاني التي دعت إليها، وحذرت في الوقت نفسه من أسس المدنية الحاضرة التي ينشأ عنها الاعتداء والتجاوز والتنازع والشقاء والدمار.

٥. أكّدت رسائل النور أن أسس المدنية الحديثة بما يتولد عنها من وحشية وجرائم ودمار هي سبب شقاء الإنسانية، وأن القرآن لا يرضى بمدنية لا تضمن سعادة الجميع أو الأكثرية.

٦. قررت رسائل النور أن عدالة القرآن تحفظ حق الحياة ولا تضحي بحياة برئ واحد، بخلاف السياسة الحاضرة الظالمة التي تُضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية وتُهدر دم الأبرياء.

٧. ترى رسائل النور أنّ التضحية بالأفراد من أجل سلامة الأمة والجماعة والوطن- وهو القانون الأساس في حاضرنا- سبب الهلاك والدمار والجرائم البشعة.

٨. الفكر القومي السلبي والعنصرية فيما عرضته رسائل النور قوة شؤم ومعاول هدم حضاري، تهدد حياة البشرية وتعزز ثقافة العنف. لذا حذرت الرسائل من هذا الداء الخبيث والمرض الوبيل ووصفت له الدواء.

٩. دفعاً للتنازع والاختلاف المُفضي إلى غياب الأمن والأمان دعت رسائل النور إلى الأُخُوّة الإنسانية والأُخُوّة الإيمانية.

١٠. يرى الأستاذ النُّورسي أن وحدة المسلمين هي السبيل لإنقاذ البشرية والأمة من الدمار والفوضى والإرهاب والعنف، لذا أكّد على أنّ الوحدة الإسلامية المنبثقة من حقائق القرآن هي أوجب الفرائض في هذا الوقت.

١١. أكّد الأستاذ النُّورسي أنّ مسلك رسائل النور دفاع لاعتداء، وهو قائم على تعمير الإنسان وما حوله، ومنع كلّ تخريب، وأنّ التخريبات المعنوية وتأمين الاستقرار والأمن الداخلي يُجابه بالعمل الإيجابي البنّاء وبالجهاد المعنوي.

التوصيات:

تُوصي الباحثة بإجراء المزيد من الدراسات وعقد مؤتمرات تُسهم في حل مشكلات العالم وأزماته ولا سيما المتصلة بأمن واستقرار المجتمع الإنساني.

توصي الباحث بالعناية برسائل النور دراسة وتحليلا؛ بما ينفع المجتمعات الإسلامية المعاصرة، ذلك أن الرسائل حوت حلولا نظرية واقتراحات عملية لمواجهة الاختلاف والتفرق والجهل، والتأسيس للبديل المنبثق عن خط الإيمان.

المصادر والمراجع:

١. البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٤، ١٩٩٠م.

٢. البيهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.

٣. الترمذي: أبو عيسى محمد بن علي بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٤. تيوفانوف: أ.د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان: "مبادئ الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النُّورسي" المغرب، سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، ٢٠٠٨م.

٥. ابن حبيب: الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦. ابن حنبل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).

٧. خان: وحيد الدين خان، الدين الكامل، الرسالة للإعلام الدولي، مصر، ط١، ١٩٩٢م.

٨. الخطيب: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م.

٩. أبو داؤود: سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١٠. أبو ربيع: إبراهيم أبو ربيع، الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النُّورسي، ترجمة وتحقيق: محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

١١. الشاطبي: إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (د.ت).

١٢. الشريفين: عماد عبد الله الشريفين، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، ٢٠١٠م.

١٣. الشوكاني: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٩٩٨م.

١٤. الصالحي: إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النُّورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

١٥. ابن عاشور: محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٦. علي: اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت).

١٧. الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأُصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د.ت).

١٨. الفاسي: علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب.

١٩. الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٠. القرطبي: أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م.

٢١. ابن المبارك: عبد الله بن المبارك بن واضح، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢٢. ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م.

٢٣. المناوي: الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٩٨٨م.

٢٤. ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٤٤م.

٢٥. النُّورسي: بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور(١) الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م.

٢٦. النُّورسي، كليات رسائل النور(٢) المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٢م.

٢٧. النُّورسي، كليات رسائل النور(٣) اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م.

٢٨. النُّورسي، كليات رسائل النور(٤) الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م.

٢٩. النُّورسي، كليات رسائل النور(٥) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٩م.
٣٠. النُّورسي، كليات رسائل النور(٦) المثنوي العربّي النُّوري، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٤، ١٩٩٩م.
٣١. النُّورسي، كليات رسائل النور(٧) الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٥م.
٣٢. النُّورسي، كليات رسائل النور(٨) صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٥م.
٣٣. النُّورسي، كليات رسائل النور(٩) سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، د.ت.
٣٤. النُّورسي، الاتّحاد الإسلامي، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان النُّورسي، (د.ن)، (د.ت).
٣٥. النُّورسي، من كليات رسائل النور(١٢) الإخلاص والأُخُوَّة، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م.
٣٦. النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٩م.
٣٧. الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت).

الهوامش:

[١] الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية، كلية الآداب – جامعة الخرطوم. السودان.

[٢] سورة الأنعام، الآية ٤٨.

[٣] سورة الأنعام، الآية ٤٨.

[٤] سورة الأعراف، الآية ٣٥.

[٥] سورة الأنفال، الآية ٢٥.

[٦] محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٩٩٨م، ج٢، ص٣٤٢.

[٧] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم الصالحي، سوزلر للنشر، استانبول، (د.ت)، ج٩، ص٥٠٥.

[٨] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق" في فقه دعوة النور" ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٥م، ج٧، ص١٥٩.

[٩] المرجع نفسه، ج٧، ص٦٠

[١٠] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٢٣٣.

[١١] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، ج٩، ص٥٠٥.

[١٢] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٨م، ج١، ص٨٥٩.

[١٣] بديع الزمان سعيد النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم ج٧، ص١٢٤.

[١٤] المرجع نفسه، ج٧، ص١١٤.

[١٥] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٢٣٤.

[١٦] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٠٤.

[١٧] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص٤٨١.

[١٨] الترمذي، أبو عيسى محمد بن علي بن سورة، الجامع الصحيح، تحقيق: أحمد محمد شاكر وكمال يوسف الحوت، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، كتاب الفتن، رقم ٢١٨٩ وقال: حديث حسن صحيح، الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) ج٨، ص١٨٣.

[١٩] البخاري، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ضبط وترقيم وفهرسة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ج١، ص١٣، رقمه ١٠.

[٢٠] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص٥٠٥.

[٢١] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٢٣٤.

[٢٢] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٠٦.

[٢٣] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص٣٤٤.

[٢٤] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص٤٩١.

[٢٥] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج١، ص٣٦٥.

[٢٦] المرجع نفسه، ج١، ص٣٥٢.

[٢٧] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١٩٩٥،١م، ج٨، ص ١٤٣.

[٢٨]) بديع الزمان النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٦، ٢٠٠٩م، ص ٨٥.

[٢٩]) المرجع نفسه، ص٦٠.

[٣٠]) بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط٣، ١٩٩٩م، ج٥، ص ٩٧.

[٣١] المرجع نفسه، ج٥، ص ٩٧.

[٣٢] النُّورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، تحقيق: إحسان قاسم، ج٥، ص ٩٧.

[٣٣] النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص ٥٥.

[٣٤] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٤١٧.

[٣٥] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج١، ص ٨٥٥-٨٥٦. وانظر أيضاً في: بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص٣٥٧-٣٥٩.

[٣٦] بمعنى أنها ستتقيأ قيئاً أشد وأفظع. نعم!. لقد قاءت واستفرغت بحربين عالميتين حتى لطخت بالدم البر والبحر والهواء، الكلمات، ج١، ص٨٥٧. هامش (١).

[٣٧] المرجع نفسه، ج١، ص٨٥٦ -٨٥٧.

[٣٨] سورة البقرة، الآية ١٢٦.

[٣٩] القرطبي، أبو عبد الله محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٥م، ص١١٧، الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.ج٣، ص١٤٠.

[٤٠] سورة إبراهيم، الآية ٣٥.

[٤١] الشوكاني، فتح القدير، ج٣، ص١٤٠.

[٤٢] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ج١، ص٧١٥.

[٤٣] السرب، بكسر السين هو النفس، وبفتحها: المسلك والطريق: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٤٤م. ج١، ص٤٦٢، الفيروزآبادي، مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص١٠٨.

[٤٤] ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م، كتاب الزهد، باب القناعة، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٦م، ج٢، ص٣٩٩. رقمه ٣٣٤٠.

[٤٥] اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت)، ص٩٨، النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج١، ص٨٥٦.

[٤٦] سورة المائدة، الآية ٣٢.

[٤٧] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج١، ص٨٦٢.

[٤٨] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شُعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ، ج٤، ص٣٤٤ برقم ٥٣٤١.

[٤٩] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٣٧٦.

[٥٠] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٧٧.

[٥١] سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

[٥٢] سورة المائدة، الآية ٣٢.

[٥٣] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٣٧٧.

[٥٤] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٧٧.

[٥٥] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ٣٧٣.

[٥٦] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٧٣.

[٥٧] سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

[٥٨] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ٣٧٤.

[٥٩] سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

[٦٠] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ٣٧٤

[٦١] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٧٥.

[٦٢] سورة الحجرات، الآية ١٠.

[٦٣] سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

[٦٤] سورة الأنفال، الآية ٤٦.

[٦٥] سورة الحجرات، الآية ١٣.

[٦٦] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٢م، ج٢، ص٤١٤.

[٦٧] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص ٣٣٥.

[٦٨] محمد عبابنة، العنصرية وعلاجها من منظور تربوي إسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، ٢٠٠٤م، نقلاً عن عماد عبد الله الشريفين، المؤتمر العالمي التاسع لبديع الزمان، العلم والإيمان والأخلاق لأجل مستقبل أفضل للإنسانية، ورقة بعنوان: العنصرية والقومية السلبية من خلال كليات رسائل النور، استانبول، ٢٠١٠م. ص٧٤٦.

[٦٩] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٤١٤.

[٧٠] المرجع نفسه، ج٢، ص٤١٤.

[٧١] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٤١٤ – ٤١٥.

[٧٢] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، ج١، ص ٨٥٥.

[٧٣] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص ٣٥٧.

[٧٤] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م، ج٤، ص٣٤٦.

[٧٥] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٣٣٩، بديع الزمان النُّورسي، من كليات رسائل النور(١٢)، الإخلاص والأُخُوّة، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨م، ص ٤١٥.

[٧٦] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٤١٥.

[٧٧] أشار الأستاذ بذلك إلى أطماع أوروبا التي لا تفتر ولا تشبع كالثعابين الضخمة الفاتحة أفواهها للابتلاع. المرجع نفسه، ج٢، ص٤١٥.

[٧٨] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٤١٥.

[٧٩] المرجع نفسه، ج٢، ص٤١٥.

[٨٠] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص٣٦٣.

[٨١] سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

[٨٢] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص٣٦٣- ٣٦٤.

[٨٣] رُوي أن عمرو بن العاص قال: قلت يا رسول الله أُبايِعك على أن تغفر لي ما تقدّم من ذنبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الإسلام يَجُبُّ ما كان قَبْلَهُ... " أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت)، ج٤، ص٢٠٤، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبوبكر البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ج٩، ص١٢٣.

[٨٤]) النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٦٨.

[٨٥] المرجع نفسه، ج٢، ص٧٩.

[٨٦] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٢، ص٧٩.

[٨٧] المرجع نفسه، ج٢، ص٧٩.

[٨٨] سليمان بن الأشعث أبو داؤود السجستاني الأزدي، سنن أبي داؤود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، (د.ت). ج٤، ص٣٣٢. يقول المناوي في معرض شرحه للحديث: " ليس منا من دعا إلى عصبية" أي من يدعو الناس إلى الاجتماع على عصبية وهي معاونة الظالم. "وليس منا مَنْ قاتل على عصبية وليس منا مَنْ مات على عصبية" قال ابن الأثير، العصبي الذي يغضب لعصبته ويحامي عنهم، والتعصب المدافعة والمحاماة. انظر: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٩٨٨م،ج٢، ص ٣٣٠.

[٨٩] أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٥، ص٤١١، عبد الله بن المبارك بن واضح، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ، ج١، ص١٤٧.

[٩٠] الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري، الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، تحقيق: محمد إدريس، عاشور بن يوسف، دار الحكمة، مكتب الاستقامة، بيروت، سلطنة عمان، ط١، ١٤١٥هـ. ج١، ص١٧٠.

[٩١] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النّوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م، ج٦، ص١٨١.

[٩٢] النُّورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم. ج١، ص٣١٧.

[٩٣] سورة الأنفال، الآية ٤٦.

[٩٤] سورة المائدة، الآية ٢.

[٩٥] بديع الزمان النُّورسي، كليات رسائل النور، اللمعات، تحقيق: إحسان قاسم، دار سوزلر للنشر، استانبول، ط١، ١٩٩٣م، ج٣، ص٢٣٥.

[٩٦] سورة الأنفال، الآية ٤٦.

[٩٧] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص٥٨.

[٩٨] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٣٤١، النُّورسي، من كليات رسائل النور(١٢) الإخلاص والأخوة، ترجمة: إحسان قاسم، ص٦٤.

[٩٩] النُّورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم، ج٦، ص١٥٨.

[١٠٠] العبارة للكاتب مارسيل كابي، نقلاً عن: عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٠م، ص١٩٣.

[١٠١] النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص٢٤٩.

[١٠٢] وحيد الدين خان، الدين الكامل، الرسالة للإعلام الدولي، مصر، ط١، ١٩٩٢م، ص٥٥.

[١٠٣] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص٣٥٦.

[١٠٤] سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

[١٠٥] سورة الزمر، الآية ٥٣.

[١٠٦] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم، ج٨، ص٣٩٢.

[١٠٧] الاتحاد الإسلامي، مقتطفات من كليات رسائل النور لبديع الزمان سعيد النُّورسي، (د.ن)، (د.ت) ص٩-١٠.

[١٠٨] أنظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم. ج٧، ص٤١٥.

[١٠٩] المرجع نفسه. ج٧، ص٤١٥ – ٤١٩.

[١١٠] سورة الحجرات، الآية ١٠.

[١١١] انظر تفصيل ذلك في: إبراهيم أبو ربيع، الإسلام على مفترق الطرق، رحلة في حياة وفكر بديع الزمان سعيد النُّورسي، ترجمة: محمد فاضل، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص٥١.

[١١٢] النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص٩٩.

[١١٣] دعا الأستاذ النُّورسي إلى الاتحاد المحمدي والرجوع إلى الشريعة ونبذ الخلافات وقد أعلن عن ذلك الاتّحاد عام ١٩٠٩م ضمن احتفال مهيب في جامع أيا صوفيا، النُّورسي، من كليات رسائل النور، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم، ص١٠٤. نقلاً عن المترجم، لمزيد من التفصيل انظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص١١٢.

[١١٤] علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، المغرب، ص٤٢.

[١١٥] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، دراسة وتحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة للطباعة والنشر، (د.ت) ج٢، ص٤٨١.

[١١٦] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٥٠٥.

[١١٧] إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، دار المعرفة، بيروت، ط٢، (د.ت)، ص٤١- ٤٢.

[١١٨] أ.د. تيسفيتان تيوفانوف، ندوة: سؤال الأخلاق في مشروع النُّورسي، ورقة بعنوان:" الإنسانية وتحديات العصر في نظرية سعيد النُّورسي" المغرب، سوزلر للطباعة والنشر، استانبول، ٢٠٠٨م، ص١٣-١٤.

[١١٩] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٥٠٥.

[١٢٠] المرجع نفسه. ج٩ ص ٥٠٥.

[١٢١] النُّورسي، كليات رسائل النور،الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ١٢٩.

[١٢٢] انظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٥٠٥- ٥٠٦.

[١٢٣] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٥٠٦.

[١٢٤] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ٣٦٧.

[١٢٥] المرجع نفسه، ج٧، ص٣٦٧- ٣٦٨.

[١٢٦] الأستاذ مصطفى صنغور من مواليد ١٩٢٩م. لازم الأستاذ النُّورسي في الحل والترحال وتتلمذ عليه حتى بلغ " الفناء في رسائل النور" على حد وصف الأستاذ انظر: النُّورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٤، ص ٥٩٩ " هامش ١".

[١٢٧] المرجع نفسه، ج٤، ص٦٠٠ – ٦٠١.

[١٢٨] النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٤٩٠.

[١٢٩] النُّورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة: إحسان قاسم، ج٨، ص ٤٤٤.

[١٣٠] المرجع نفسه، ج٨، ص٤٤٥.

[١٣١] انظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، ج٢، ص ٤٤٨- ٤٤٩. وانظر أيضاً: إحسان قاسم الصالحي، نظرة عامة عن حياة بديع الزمان سعيد النُّورسي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص٢٤- ٢٧.

[١٣٢] اورخان محمد علي، سعيد النُّورسي رجل القدر في حياة أمة، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ت) ص٣٠. وانظر تفصيل ذلك في: النُّورسي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، إعداد وترجمة: إحسان قاسم، ج٩، ص ٧٨- ٧٩.

[١٣٣] أورخان، سعيد النُّورسي رجل القدر، ص٢٥٦.

[١٣٤] النُّورسي، كليات رسائل النور، الملاحق، ترجمة: إحسان قاسم، ج٧، ص ٢٣٤.

[١٣٥] المرجع نفسه، ج٧، ص٢٤٨.

سؤال الإيمان والنهضة الحضارية

أ.د. عمار جيدل[1]

الملخص

يعرض موضوع" سؤال الإيمان والنهضة الحضارية" التأكيد على أنّ فسيلة التحضّر ثاوية في الإيمان الأصلي الأصيل، ويراد به معهود إيمان جيل التنزيل، ونظرا لتداول نسخ منه باسمه، كان لزاما علينا تحقيق القول فيه أوّلا، مبيّنين التمييز بين مختلف صوره المتداولة، ومن بنات هذه المسألة بيان الفرق بين معارف الإيمان والمعارف الإيمانية، نروم بذلك التركيز على الإيمان الباعث على الحضارة، وهو من هذه الحيثية إيمان مُجَدَّدٌ ومُجَدِّدٌ أي التجديد فيه وبه، وهو بهذه المواصفات مبدأ ورؤية وتدبير وسيرورة، إيمان ينفع في التدافع الحضاري بأسلوب حضاري، ويبعث على الانخراط بالفكرة بأسلوب حركي فكري يستغرق جملة ميادين الفعل الراشد بأفق إنساني سامق.

الكلمات المفتاحية: الإيمان، النهضة الحضارية، النورسي.

Question of faith and the revival of civilization

Prof. Dr. Amar Djidel

Abstract:

The topic “Question of Faith and the revival of civilization” explores that the bud or origin of civilization goes back to the basis nature of the conventional faith known in the revelation era. Because of the transmission of different copies under the name of faith, I was obliged to clarify the reality of faith and distinguish between its real and forged forms. Among the achievements of this issue, is to show the difference between the knowledge of the faith and knowledge of faith so as to focus on that faith which leads to civilization. In fact, faith is renovated and renovative that is regarded as a principle, vision, conduct and a continuous process which serves in shoving civilizations in a civilized manner and engage this

idea in both a realistic and intellectual style that covers all the living fields in a human welfare

Keywords: Faith, Revival of civilization, Nursi.

يعد سؤال الإيمان من حيث الأصل اهتماما نوعيا بمسيرة الاستئناف الحضاري، وليس سؤالا للسؤال، فما لم يكن في أفق البعث والاستئناف يعد تكرارا لمواضيع عفا عنه الزمان، تكون في أحسن أحوالها مقالات توضع على الرفوف ويتباهى بها في المجالس، ولا يتعدى دورها هذا المقام.

نريد أن يكون إحياء السؤال وسيلة لبعث الحياة في الإيمان ليستعيد دوره الحيوي في التفكير أولا ودوره الأكثر حيوية في التدبير ثانيا، ليستشعر أهمية التطبيق الذي عمدته الرئيسة وعي جماهري يجعل المجتمعات منخرطة في العملية التنموي الشاملة، ولو فكرنا مليا في المكتسبات المجتمعية لمعارف الإيمان، لما اختلف عاقلان على إجماع المسلمين – عبر مختلف العصور - على أنّ الإيمان هو الذي مهد الطريق للحضارة[٢]، ولهذا تراهم (بمختلف مشاربهم المذهبية) متفقين على أهمية الإيمان في النهضة الحضارية، فهل اتفاقهم على الاسم "الإيمان" يقتضي اتّفاقهم على مسماه؟، فهل هو ذات الإيمان الذي جعل جيل التنزيل(الصحابة الكرام رضي الله عنهم) ينخرط في مرحلة التأسيس لتاريخ جديد وحضارة راشدة.؟ أم أنّ هذا الإيمان وقع له نوع من الانزياح عن الأصل الباعث على التمركز في قلب صناعة التاريخ؟ فهل هو الإيمان كما ورد في الأصل(كما ورد في التنزيل ومزاولات جيل التنزيل)، أم أنّ الاستعمال أخرجه من دائرة الفكرة الباعثة على الحضارة إلى فكرة باعثة على الجدل والغلبة في مجالات النقاش شبه العقيم(الثرثرة)، وهل كان الإيمان المجسّد في حياة الناس يحمل ذات الاستعمال الذي شاع في مدارس الكلام، أم أنّ الحمل (ما حمله عليه المتلقي أو مستهلك الثقافة الدينية) أخرجه إلى دائرة ثالثة جعلت الإيمان مجرّد كلمات تلاك(مظاهر) أنتجت حولها تفاصيل معرفية مغرقة في "العلم" الصارف عن العمل النوعي الراشد بالإيمان، فالعمل النوعي ميدانه الأنفس وله تجلياته نافعة في شعاب الحياة، ينفع الفكرة والفرد والمجتمع.؟ كأنّ هذه الحالة تؤكّد ما ورد في بعض الآثار " إنّ الإيمان ليبلى كما يبلى

الثوب فجدّدوه بلقائكم"، فالتجديد لأجل التجديد، وتجديد ماذا، هل المتداول فنعيد إنتاج إيمان يعزل الناس عن الحركة بالفكرة في شعاب الحياة،؟ أم أنّنا نريد تجديد معرفته وفهمه واستشعاره وترجمة ذلك في شعاب الحياة، وهو ما يجعل سؤال الإيمان مركزيا في قضية التفكير في الإقلاع الحضاري، وهو آكد في الإقلاع بالفعل، وخاصة في ظل هيمنة الإيمان الوراثي على حساب الإيمان الذاتي، فالأوّل نتيجة سننية لعدم العناية بتجديده معرفة وفهما واستشعارا وطلبا لمتطلباته في شعاب الحياة، والنتيجة السننية للثاني التفكير الجدي في استعادة الإيمان إلى مركز الفعل الحضاري.

ويبرر الخوض في سؤال الإيمان- فضلا عمّا سلف – أهميته في البعث، وجود رسم الإيمان على المدوّنات، ووجود وسمه على الزخرفات الكلامية، ووجود اسمه على الشفاه، نتغنى به من غير أن نجد له ريحا أو ذوقا أو طعما... فيما نترجمه بعنوانه في دنيانا، فضلا عن أنْ يكون ناظما لفكر وضابطا لتصرّف، ومما يزيد السؤال إلحاحا أن تتداول بعض الآراء النقدية التي جعلت من قول مالك بن نبي:" «إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده(الله) ونملأ به نفسه». شاهدا على عدم تمييزه بين مختلف أنواع التوحيد، بصرف النظر عن موقفنا من هذا التقسيم المستحدث في الأمة الإسلامية.

ويؤكد أهمية السؤال أنّ معارف الإيمان ليس فكرة تاريخية، وقد كانت معارف أساس البعث الحضاري في المدينة الأنموذج، وهي أساس أي بعث حضاري في الحاضر والقابل، وبما أنّ معارف الإيمان بيننا تكرر على المسامع ويتباهى بها في المجالس، فهل نستعيد موجودا بها، وهل الموجود هو ذات المفقود أم هو أمر آخر يشبهه؟ وما حيثيات المشابهة والتمايز؟ ما الإيمان المُجَدَّدُ الذي يُجَدِدُ؟

سنعرض في هذا السياق المسائل الآتية:

معارف الإيمان والمعارف الإيمانية: جدل النص(الصريح) وفقه معارف الإيمان.

الإيمان والحضارة: ما الإيمان الباعث على الحضارة.

لماذا يتجدد سؤال الإيمان. (الإيمان: المُجَدِدُ والمُجَدَدُ).

الإيمان من المبدأ إلى الرؤية إلى التدبير.

الإيمان والتدافع الحضاري.

هذا ما تحاول الورقة تحقيق القول فيه.

أوّلاً: معارف الإيمان والمعارف الإيمانية: جدل النص(الصريح) وفقه معارف الإيمان

تعد معارف الإيمان –كما هو بيّن من عنوانها- أساس الأمان العقلي والقلبي للملتزم بمقتضاها، تستوعب جملة أبعاده الفردية والجماعية الأسرية والمجتمعية والدولتية والأمتية بل والإنسانية، ولكن طريقة عرضها تَبْعُد بالمنتسبين إليها عن هذا الأفق – وإنْ ادّعوا بذل سعي لنيله -، بل ترتكس بهم هذه المساعي إلى حضيض النفي والإقصاء فيما بينهم وبين المنتمين إلى دينهم من أهل المذاهب الأخرى، بل قد تطال أحيانا الموافق المذهبي السابق، فهل لخطاب مثل هذا أن يستشرف الأفق الإنساني؟ وما السُبُل المنهجية والمعرفية التي يتعيّن القيام بها لاسترداد معارف الإيمان طبيعتها؛ فتكون أساسا في الأمان بكل معانيه، فتكون أمانا على المخالف قبل الموالف تستشرف الأفق الإنساني العالي الذي رامت الشريعة تحقيق أبعاده ورسالته الوجودية، وهو ما نعود إليه تفصيلا في اللاحق.

لماذا مصطلح معارف الإيمان؟ وما المراد به في سياق هذه الورقة؟

معلوم أنّ معارف الوحي هي جملة المعارف التي نطق بها الوحي في نصوصه الصريحة، أو كانت مستنبطة من وفق المسالك المعتبرة في إنتاج معرفة علوم الشريعة الإسلامية، فهي تنسب أصالة أو بالتبع إليه، وبعضها محل خلاف من جهة صحة نسبته –من هذه الحيثية- من عدمها، حتى انتهى الأمر ببعض أئمة المسلمين إلى القول بأنّ الأدلة إما قطعية أو اجتهادية أو واسطة بينهما[٣]، ومواقف المذهبيين من بعضهم البعض مبناه في الغالب مسائل القسم الثالث في الغالب الأعم، فمن اعتبر أصلا ما قد يُكَفِّرُ مخالفه به، وقد لا يُعَامِلُه المخالف بذات الموقف لأنّه لا يعدّها أصلا، وهذا فيه تأكيد على أنّ رُتَبَ المعارف المستفادة من الوحي ليست من رتبة واحدة من حيث هي أو باعتبار المعتبرين ونظر الناظرين، وهذا لا يمنع من وجود معارف مجمع على قطعيتها وإفادتها من نصوص الوحي استخراجا لا استنباطا[٤]، وهي التي يمكن أن يُقال عنها

قراءتها تفسيرها، ليست بحاجة إلى معارف من خارجها، وهي التي أبعادها الوظيفية الوجودية لا تخطئها العين المجرّدة المحررة من جملة المكبّلات الطائفية أو الإيديولوجية.

ومعارف الإيمان هي المسائل التي أخبر بها صريح التنزيل، وهو المعروف بالنص في اصطلاح الأصوليين، فهو لا يطاله الاجتهاد، وهو المعبّر عنه بقولهم:" لا اجتهاد مع النص"، فتكون القاعدة شاملة لجملة معارف الشريعة(الإيمان، والفقه[٥]، والتزكية[٦])، ومنها المعارف الاجتهادية التابعة لمعارف الإيمان والمنبثقة عنها، وهي التي آثرنا تسميتها بالمعارف الإيمانية تمييزا لها عن سالفتها، وهي المسائل الاجتهادية في موضوع "العقائد أوالعقيدة"[٧]، وهو الاسم الأكثر اشتهارا وانتشارا بين المسلمين على اختلاف مشاربهم المذهبية، وهو مصطلح(العقيدة) غني بالإيحاءات السلبية، وهي كثيرة. لهذا نجتهد في استبعاد هذا المصطلح من التداول وتعويضه بما يناسب طبيعة هذه المعرفة ويتناغم مع وظيفتها الوجودية.

تجعل مصنفات العقيدة من العناية بذكر سلبيات الآخرين و"أخطائهم" رأس ما يتعلّق به المصنف؛ والغالب التركيز على الموافق الملي المخالف المذهبي، والذهول عن المخالف الملي الذي تملأ مؤامراته الآفاق، فهو في مأمن، فيُشْغَلُ القارئ بالردود على حساب التأسيس الموضوعي لمعارف الإيمان[٨]، فينشأ النشء على تصحيح أراء المخالفين أكثر من العناية بتصحيح موارد الامتثال لمعارف الإيمان.

يبرمج قارئ تلك المصنفات الناشئ في حاضنتها الفكرية والاجتماعية على عدم التفكير في غير ما أُشْرِب به قلبه من معارف مبناها بالدرجة الأولى إبطال مذاهب "الخصوم" المذهبيين، والميل عن الرد الواقعي على الأعداء الملليين، فتكون التربية في هذه الحاضنة باعثة على تنمية ثقافة الإقصاء والنفي، التي جاءت معارف الإيمان لأجل محاربها.[٩]

تكاد أن تكون قاعدة" إلزام المخالف بلوازم مذهبه" قاعدة عامة في التعامل مع المخالفين، والسعي المضنى لأجل الإجهاز على المخالف من خلال اللغو في آرائه وأسس مذهبه، ويميل كثير من المنتسبين إلى مذاهب المسلمين إلى ذلك بالرغم من

قولهم جميعا: "لازم المذهب ليس بمذهب" ولا يأبهون بنفي المُلْزَم بما أُلْزم به، أو ما عدّوه لازما من لوازم مذهبه. عرض العقائد بمثل هذه الطريقة في كنف الإيحاءات السلبية المتسرّبة بعنوان العقيدة وعلم الكلام خاصة، يفرض التفكير في مصطلح آخر نستعيد فيه اللفظ المستفاد من الوحي، وفق المعاني التي نَقَلَنَا إليها الوحي (النقل)[١٠] ووفق مسالكه في التأسيس والتنبيه إلى الأبعاد الوظيفية للمعرفة المستفادة من الوحي الشريف، ونقصد بهذا الصدد صريح التنزيل في المقام الأول، ولا شكّ أنّ معارف العقيدة هي معارف الإيمان بامتياز، تمخّضت عنها معارف أخرى يمكن أن نسميها وظيفيا ومنهجيا بالمعارف الإيمانية، فيكون عندنا بهذا الصدد جملة من المصطلحات:

معارف الإيمان هي معارف العقيدة التي جاءت أدلتها صريحة في الوحي، منها ما يتناول الكليات الكبرى للعقيدة الإسلامية والعبادة، وهي من هذه الحيثية معارف تصدّق وتمتثل استجلابا لمقتضياتها المتعلّقة بالمواقف الإيمانية في شعاب الحياة، رأس تلك المسائل الكليات الإيمانية: الإيمان بالله الإيمان برسول الله والإيمان باليوم الآخر والعبادة والعدالة[١١] لأنها من مقتضياتها.

الإيمان بالله والنبوة والمعاد هي معارف الإيمان، بوصفها كليات تمخّضت عنها مواقف معرفية متعلّقة بتفاصيل، وفقه[١٢] تلك الكليات وتوابعها، بعضها مستنده النص (بصرف النظر عن التقويم والموقف)، ويتأسس البعض الآخر على السوابق التي لها بها نوع صلة، وخاصة آخر ما جادت به قرائح أَجْوَدُ العقول (بحسب الموازين البشرية الوقتية) في زمن الخوض في المعارف التفصيلية، ويستند قسم آخر من أقسامها إلى قياس الغائب على الشاهد[١٣] قبولا أو رفضا، ففي موضوع الإلهيات معارف الصفات والذات والعلاقة التي بينهما، وهي معارف وُلِدَت في رحاب التاريخ بكلّ معطياته المعرفية وجملة متعلّقاتها، ثم تقسيم الصفات والتباين في معاييرها، ثم النظر في تفاصيل النبوة، منها على سبيل المثال لا الحصر: مسألة العصمة[١٤] فيما سوى موارد البلاغ عن الله (وهي محلّ إجماع الملّة المحمدية)، واختلاف الأنظار في شأنها، وكذا الأمر بالنسبة لمعارف تفصيلية متعلّقة بالمعاد، منها على سبيل المثال لا الحصر الميزان والسراط وعذاب القبر و...كلّ تلك المعارف اخترت تسميتها بالمعارف الإيمانية، أي هي معارف

تولّدت عن النظر في تفاصيل معارف الإيمان، فالأولى" معارف الإيمان" محلّ إجماع، أمّا الثانية فمحلّ اختلاف[١٥] ظاهر؛ وبعضها الآخر محلّ خلاف[١٦]، فهي ناتجة عن نظر معرفي في تفاصيل معارف الإيمان، فهي ليست من رتبتها ولا من مقامها، وهذا يحيلنا على مباني هذه المعرفة أو سوابقها التي بناءً عليها تمخّض القول في تفاصيل معارف الإيمان.

ج ـ يجدر بنا بهذا الصدد بيان الصلة بين معارف الإيمان والمعارف الإيمانية، فالقسم الأول يمثّل الأصل الذي بناءً عليه يصح الانتساب لخط الإيمان، ذلك أنّه أساس الهوية الإيمانية للمسلم، وبناء عليها تترتّب الآثار القانونية التي يقتضيها الانتماء لخط الإيمان[١٧]، ومن فَقَدَ هذه المعارف لا يسوغ معرفيا(لست بصدد الحكم الديني أو الأخلاقي، بل أنا في سياق إثبات النسب المعرفي بالدرجة الأولى)[١٨] أن ينسب لخط الإيمان، وبالتالي لا يُنْفَى هذا الانتساب لمجرد الاختلاف في القسم الثاني(المعارف الإيمانية)، ويطلب معرفيا لصحة الانتساب في تلك المعارف نفسها أن لا تعود على تلك الأصول المسماة عندنا بمعارف الإيمان بالإبطال أو النفي أو التشويه أو التشويش، إذ تمثّل الثانية اجتهادا في فهم تفاصيل الأصول المؤسسة للإيمان أو ترتيبا لبعض تفاصيلها، وليست مزاحمة لها بأي شكل من الأشكال. الثانية شبيهة بالسعي نحو تمثّل الأولى معرفيا واستجلاب متطلباتها في شعاب الحياة، وهي من الرتب التي نسعى إليها سعيا حثيثا من غير أن ندّعي بلوغ منتهاها، وهي من التجليات الواضحة لمقتضى قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١٩] والعمل المتجلي في الامتثال يصدر من رحم العلم الذي لم نؤت منه إلاّ القليل، وبالتالي ينصبغ العمل نفسه المعبّر عن المعرفة القاصرة بالقصور عن بلوغ المنتهى، فليس هناك تمام الرضا مع قصور المعرفة، فنحن نسعى إلى تمام الرضا وفق موازين البشر، والإقرار بحقيقة القصورين المعرفي والامتثال، يؤّكّد وجوب امتلاء القلب بالافتقار إلى الله تعالى، فافتقارنا أساس لجوئنا إلى الله سبحانه وتعالى.

ضاع في كنف هذا السجال القاتل تقديم الإيمان بوصفه ملاذ الإنسانية وأساس استعادة سعادتها، كما ضيّعنا تبليغه بوصفه رؤية للكون والحياة والإنسان، ونظرية في الوجود والخلود، والتي تمثّل روح الدين الإسلامي الذي رمى إلى إحيائه بعض

المصلحين من مختلف المشارب المذهبية الإسلامية، والمعبّر عنه بإحياء علوم الدين، أو تجديد الفكر الديني، أي استعادة الوظيفة الوجودية للدين، أو علم الصلة بالله، فلا يكون إحياء العلوم الدينية (والتي منها درس العقيدة) صارفا عن أصل المهمّة الوجودية للدين نفسه، ذلك أنّنا في ظل هذا السعي المحموم للإقصاء والنفي ملنا عن أصل ديننا وحوّلناه إلى نصير لجنون عوض أن نتعقّل به ونعقل وظيفتنا الوجودية.

كلّ ما سبقت الإشارة إليه يؤكّد أنّ استشعار الإيمان بحضوره فينا وحضورنا به في شعاب الحياة هو أهمّ ما تتعلّق به الهمم، وهو الباعث على استحضار مهمّة الاستخلاف في كلّ مجالات الفعل الإنساني، ومأتى ذلك كلّه أنّه في الوقت نفسه أساس المؤاخذة الأخروية، وعنوان الصلاح والإصلاح الدنيوي حال استجلاب مقتضياته المتجلية في خدمة الخلق[٢٠] مرضاة للحق، فهو حركة اجتماعية بامتياز، لهذا فعموم المتديّنين ليسوا بحاجة إلى البرهنة على وجود الله ولكنهم بحاجة إلى استشعار وجوده، لأنّ الاستشعار أساس الامتثال واستجلاب ثمرة الإيمان فعلا صحيحا نافعا وميسّرا لحياة المخلوقات(ما ومن حوله[٢١])، وعلى العموم تلك هي مشكلة علم الكلام عندما لوّن معارف الإيمان بما تلبّس به من إشكالات موضوعية في سياقاتها التاريخية، قد تكون في وقتها من قبيل الضرورات التي تقدّر بقدرها، فكانت مسالكه المُسْتَجْلَبَة لعصر لم يعد بحاجة إليها عالة على الحركة التوحيدية الإصلاحية.

لهذا فالأستاذ مالك بن نبي محقٌّ في قوله:" بيد أن كلمة (علم الكلام) ستصبح قدراً مسلطاً على حركة الإصلاح، القدر الذي حاد بها جزئياً عن الطريق، حين حط من قيمة بعض مبادئها الرئيسية كمبادئ (السلفية)، أي العودة إلى الفكرة الأصلية في الإسلام"، ومردّ ذلك أنّ "علم الكلام لا يتصل في الواقع بمشكلة النفس، إلا في ميدان العقيدة أو المبدأ، والمسلم حتى مسلم ما بعد الموحدين، لم يتخل مطلقاً عن عقيدته، فلقد ظل مؤمناً، وبعبارة أدق ظل مؤمناً متديناً، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها، لأنها فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي." ولهذا قال بن نبي:" وعليه فليست المشكلة أن نعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها

الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن (نبرهن) للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأ به نفسه باعتباره مصدراً للطاقة."[٢٢] فما لم نقم بذلك فإنّنا نضيّع الوظيفة الاجتماعية للأنبياء عليهم السلام[٢٣]، وهو ما لم تستطع القيام به الحركة الإصلاحية، فلم تترجم إلى لغة الواقع فكرة(الوظيفة الاجتماعية) للدين[٢٤]، فمال أغلب المشتغلين بدرس معارف الإيمان وفق الصيغ الكلامية عن معارف الإيمان الصريحة التي لا مجال للجدل حولها، واختاروا الاشتغال بفقه المعارف الإيمانية وتركيز أغلب الجدل عليها، وفي ذلك تضييع لصريح التنزيل في معارف الإيمان التي تتعلّق به الوظيفة الاجتماعية للإيمان، تلاحظ هذا الميل بالرغم من أنّ كلّ معارف الإيمان ذات البعد الوظيفي المتعلّق بالحركة بالفكرة في شعاب الحياة إنّما يرتبط بالصريح.

ثانيا: الإيمان والحضارة: ما الإيمان الباعث على الحضارة.

تعد معارف الإيمان أساس الرؤية التوحيدية للكون والحياة والإنسان، تستجلب كلمة التوحيد بشقيها: "أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمدا رسول الله" الفعالية، وهي الكلمة المفتاح التي إذا خامرت القلوب أعادت صياغة الإنسان وأسعفته على استرداد النسخة الأصلية الثاوية فيه وتنميتها، ولهذه الكلمة جملة من المقتضيات، رأسها أنّ معارف الإيمان أمان بكلّ معانيه، وبهذا تتضمّن فسائل التحضّر بتغيير النفس الذي يعني إقدارها على تجاوز وضعها المألوف بكلّ أبعاده، وهذا يمكن أن يطمع في التأسيس له بعلم جديد سماه الأستاذ بن نبي (تجديد الصلة بالله). هذا هو الأساس الضروري للإصلاح، الذي مقصده الرئيس توفير الدافع الداخلي لدى جماهير الشعب، تلك الجماهير المتعطشة إلى (انتفاضة القلب)، كيما تنتصر على ما أصابها من خمود، تلك هي الطريق المعبّدة لإصلاح الأوضاع، فليس المطلوب النطق بأفكار مجرّدة، بل المطلوب الاقتداء بالأنبياء الكرام (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)، فإنّهم لم يكونوا علماء كلام، ينطقون أفكاراً مجردة، ولكنهم في الحق كانوا جامعين لتلك الطاقة الأخلاقية، التي أوصلوها إلى نفوس فطرية [٢٥]. وهذه المعاني لها ما يسندها من جهة الأبعاد الوظيفية

للإيمان، وهو ما يؤيّده لفظ الإيمان في أصله وأصل اشتقاقه اللغوي والمعنوي. ويمكن اختصار بيّنات هذه المعاني فيما يأتي:

ورد لفظ الإيمان في لغة العرب باستعمالين، فتارة يتعدّى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الآمان، تقول العرب: آمنت فلانا إيمانا وآمنته وأمّنته تأمينا، بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٢٦]، والله تعالى المُؤْمِنُ، لأنّه آمَنَ عبادَه من أن يظلمهم.[٢٧]، وتارة يتعدّى بالباء أو اللام فيكون معناه التصديق ﴿قُولُوا آمَنَّا﴾[٢٨] و﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[٢٩].

قال علماء الاشتقاق: والمعنى الثاني راجع إلى الأول، لأنّ من صدّقك، فقد أمّنك من التكذيب والمخالفة.[٣٠]

وفي كنف هذه المعاني قال ابن عاشور: "المؤمن" اسم فاعل من آمن الذي همزته للتعدية، أي جعل غيره آمناً .

فالله هو الذي جعل الأمان في غالب أحوال الموجودات، إذ خلق نظام المخلوقات بعيداً عن الأخطار والمصائب، وإنما تَعْرِض للمخلوقات المصائب بعوارض تتركب من تقارن أو تضاد أو تعارض مصالح، فيرجَع أقواها ويَدحض أدناها، وقد تأتي من جرّاء أفعال الناس "[٣١]، وقال الشيخ ابو بكر بن العربي:" معنى آمن: دخل في الأمن"[٣٢]، وقال الشيخ أطفيش:" المؤمن من يُصَيّرُ خلقه آمنين من جوره لانتفاء الجور عنه"[٣٣]

فبيّن مما سلف أنّ الإيمان لا يتأسس على الختل والمغالطة، فالمخاطبون آمنون على عقولهم، وآمنون على استعداداتهم وملكاتهم ومُمْتَلَكَاتِهِم، لا يُظلمون، وإن تحلوا بالإيمان وفق أعلى درجاته لا يَظلمون. تجليات ذلك فيما يأتي:

لم يخلق الله الإنسان بِعَدَّادٍ صفري(ليس فيه أي استعداد سابق) بل خلق باستعدادات فطرية تيسّر له الفهم عن الله[٣٤]، "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم"، وهبه الله عقلا ضروريا، قد يضيّعه في التاريخ بفعل الحاضنة الفكرية أو المذهبية أو الفلسفية، أمّا في أصل الخلقة فله استعداد التلقي عن الله الأمر والنهي التي هي موارد التكليف، والتي إذا تحلّى بها على أكمل وجه وفق الطاقة البشرية " لا يكلّف

الله نفسا إلا وسعها" كان إنسانا بمعنى مونَسًا بالله ومُونِسا للآخرين بهذا الأنس بالله، ويتعدى الإيناس ليشمل عالم غير العقلاء.

الإيمان يبنى على الأدلة الصحيحة، فلا قيمة لإيمان لا يتأسس على صحيح الأدلة التي تقوم حجة بين يدي الله، ثم حجّة بين الناس، وفضلا عن ذلك فقد نُفِيَ أَضْلُ الظلم مِنْ طلب تحصيل الإيمان، فقد هيّأ الله المُخاطب بتمليكه قدرة التلقي عن الله، وجعل النص المُتَلَقَى قابلاً للفهم، وقابلا للتمثّل، فجعل عقل الإنسان مطواعا للفهم، وجعل فطرته مهيّئة لنيل هذه الرتبة المعرفية، وجعل جملة استعدادته وملكاته، مطواعة لتحقيق هذا المسعى، ويمكن تلخيص ذلك فيما يأتي:

إنّ من أسماء الله الحسنى "المؤمن" وهو الذي جعل الأمان في غالب الموجودات، ومنها الإنسان، فلا يكلّفه فوق طاقته، فرزقه القدرة على الفهم، وأرسل إليه وحيا قابلا للفهم، ومنحه القدرة على الامتثال، فالوحي مطواع للفهم، وعقل الإنسان مطواع للتلقي والفهم عن الله، وإلاّ ما خوطب بالتعقُّل عن الله[٣٥]، وفطرة مطواعة لفهم الأمر والنهي، وملكات واستعدادات قابلة للامتثال، ويعود كلّ ذلك عليه بالنفع، فنُفِيَ الظلم من جميع الوجوه، تؤكّد هذه المعاني أقوال الأصوليين، فقال الشاطبي: "الأحكام الاعتقادية والعملية مما يسع الأمّيَ تعقّلها، ليسعه الدخول تحت حكمها، أمّا "الاعتقادية"، بأن تكون من القرب للفهم، والسهولة على العقل، بحيث يشترك فيها الجمهور، من كان فيهم ثاقب الفهم أو بليدا، فإنّها لو كانت مما لا يدركه إلاّ الخواص لم تكن شريعة عامة...فلا بدّ أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ"[٣٦]، ثم يزيد المسألة وضوحا بقوله:" ولذلك تجد الشريعة لم تعرّف من الأمور الإلهية إلاّ بما يسع فهمه، وارْجت غير ذلك فعرّفته بمقتضى الأسماء والصفات، وحضّت على النظر في المخلوقات، إلى أشباه ذلك، وأحالت فيما يقع فيه الاشتباه على قاعدة عامة، وهو قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" وسكتت عن أشياء لا تهتدي إليها العقول. نعم لا ينكر تفاضل الإدراكات على الجملة وإنّما النظر في القدر المُكَلَّف به"[٣٧]، وهو المُعَبَّر عن بالحدُّ الأدنى المطلوب.

إنّ معارف الإيمان أمان لصاحبها فلا يُقْبَلُ إيمانٌ يخادع العقل، ولهذا يطالب الشارع الحكيم بالبرهان:{قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة: ١١١] وصيغتها أن يكون الاستدلال بين الناس أبوابه مشرّعة، إذ صيغة" برهانكم" تدل على الانفتاح الاستدلال، أي آتوا بما يعتبر عندكم برهانا لنعرضه على المحاكمات العقلية، والذي يضيق بالعقل في أصل الوضع لا يقبل إلاّ ما كان برهانا في نفس الأمر، لا ما يمكن أن تختلف فيه الأنظار من جهة كونه برهانا، وهذه الصيغة بقيت حيّة مقروءة في الصلاة محفوظة للدلالة على الانفتاح دائم، فالنصّ عليها ليس تاريخيا ماضويا غير قابل للعمل به في الحاضر والقابل، مما يرسّخ فكرة الانفتاح الاستدلال، ذلك أنّ ما صحّ من الحجج لا يكون إلاّ حجة صحيحة مؤيّدة لصريح الوحي أو ناطقة بما ورد فيه.

لا يتوقّف الأمان على الجوانب المعرفية، بل يتعدّاه ليستوعب جملة ما تدعو إليه غريزة البقاء المادي والمعنوي الذي هو أصل لسابقه(المادي)، إذ من مقتضيات هذه الغريزة الحفاظ على الدين والنفس والمال والعقل والنسب[٣٨]، أي الحفاظ على الإنسان، ذلك أنّه لولا غريزة البقاء التي فطر الإنسان عليها ما نشأ علم وما تطورت حضارة، وما تناسل الناس، فالحفاظ على النسل يقتضي اكتساب عناصر القوة المعنوية التي من متعلّقاتها العناصر المادية، وكلاهما أساس وباعث على تطوير العلم وتطبيقاته، وهذه الوسائل الضرورية لبناء الحضارات، من هنا كان الإيمان أمنا على الإنسان في جملة أبعاده الفردية والأسرية والمجتمعية والدولتية والأمتية والدولية والإنسانية، فليس في الإيمان ما يدعو إلى إهمال أي مكوّن منها، وزيادة إلى ما سلف فإنّ الإيمان يجعل لتلك الغرائز – وهي الطاقة الحيوية للإنسان-[٣٩]، التي لا تُدْفَع ولا تُرْفَع، وظيفة وجودية مهمّتها الرئيسة الحفاظ على النوع الإنساني، ومن متطلبات ذلك مبدأ تبليغ الإسلام وبذله للناس لأجل إسعافهم لاسترداد أصل الخلقة التي ضيّعوها في التاريخ.

يمثّل الإيمان في الإسلام مصفاة تعرض عليها جميع المعارف الواردة من الخبرة البشرية عبر العصور، فإن رفضها التوحيد فلا قيمة لها، لأنّه يتأسس على الحق والصدق والصحيح من المعارف من أي وعاء صدرت، فإنْ خالف مبْدَأها الرئيس "التوحيد" فلا

شكّ أنّ الميل عنه وُلِد في التجربة البشرية، فالإيمان يدعوك إلى ضرورة التنقيب عن أسباب الانحراف عن الأصل الأصلي (فطرية التوحيد) في الإنسان.

الإيمان أكثر من ذلك نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده، ومن هنا كان الإيمان نورا لوجدان البشر وشعاع من شمس الأزل يضيء دفعة ملكوتية الوجدان بتمامها، فينشر أُنْسية له مع كلّ الكائنات، ويؤسس مناسبة بين الوجدان وبين كلّ شيء، ويلقي في القلب قوّة معنوية يقتدر معها الإنسان على مصارعة جميع الحوادث والمصائب، الإيمان يعطي وُسْعة يقتدر معها الإنسان على ابتلاع الماضي والمستقبل، وهو فضلا عن ذلك لمعة من السعادة الأبدية[٤]، وبهذا كان الإيمان أمانا في الدنيا والآخرة، هذا هو الإيمان الذي يبعث على خدمة الخلق مرضاة للحق سبحانه وتعالى، هذا هو الإيمان الباعث على الانخراط في رحلة التحضر بصناعة تاريخ مجيد لا برواية تاريخ ماجد.

رأس مقتضيات الإيمان أن يعلم الإنسان أنّه مؤتمن على كلّ ما وضع بين يديه من استعدادات وملكات ومُمَلَّكَات، سَيُسْأَلُ عنها فيما أفناها، فالمسلم مستخلف فيما وضع بين يديه وليس مالكا أصليا، وهو حين يستشعر هذه المعاني ويستجلب مقتضياتها يكون إنسانا ويرتقي في مراقي الكمال الإنساني بقدر انطباع هذه المعاني في النفس والقلب والعقل وترجمتها عملا نافعا في شعاب الحياة، لهذا عندما يكون "الاستخلاف" ممكّنا من النفس يفرض جملة من المتطلبات، تنتهي به إلى استشراف أفق الإنسان الكامل، وهو سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلّم)، يقول بحاله أمتي أمتي أي مجتمعي مجتمعي، أي يعيش لغيره من حيث أنّ العيش للذات في أعلى رتبه أن يعيش لغيره، أن يبذل ما أستمن عليه في خدمة الخلق وهو إعطاء الحق لمستحقيه، فالأمانة أمانات مستخلف فيه الإنسان عليه بذلها بما يحقق الطاعة بها، وليس من معنى لذلك الذبل غير أمرين رئيسين؛ أولهما للدلالة على أنّك إنسان يستشرف خدمة النوع أصالة أو بالتبع(ما حول الإنسان)، والثاني تكتسب إنسانيتك بقدر استحضارك للخدمة التي تنفع الخلق، وكلاهما دليل على تحوّل القيم الروحية إلى حركة اجتماعية راشدة.

إذا تغلغل مبدأ الاستخلاف في قلب الإنسان واستشعر ذلك فسيتحرك بعنوان المستخلف فيما استأمن عليه، أي لا يتحرّك بعنوان المالك الأصلي، ولهذا فهو عن قناعة يقرّ بحاله أنّه لا يحق له التصرُّف فيما وضع بين يديه إلا على وفق شرط الواهب، وشرطه العمل بالأمر والنهي، وبذلك تكون كائنا أخلاقيا، فتكون تصرفاته المؤسسة على التصور المذكور؛ في الغالب - القابل للقبض والفهم - أنّها تصب في مصلحة نوع الإنسان، لهذا فإنّ مخرجات الأمر والنهي تصب في مصلحة النوع الإنساني.

الاستخلاف أمانة أنت مطالب ببذل ما استأمنك الله عليه قبل أن تذهب عنك أو تذهب عنها، فلا تستأثر بما وضع بين يديك وتعطّل حق الله فيها[٤١]، فيتعيّن بناء على ذلك مراعاة الفقراء إلى ما مُلِّكت فيما استأمنت عليه من علم أو مال أو سلطة أو جاه أو...فيشمل الاستخلاف كلّ عناصر القوة المادية والمعنوية، وبهذا يستوعب مبدأ الاستخلاف - الذي هو الحركة بهذا المبدأ التوحيدي- كل مجالات الحياة صغيرها وكبيرها، مبدأ يدفعك للانخراط في شعاب الحياة منتفعا ونافعا، ذلك أنّ للإيمان إشعاع اجتماعي يجعلك متحرّكا في اتّجاه خدمة المجتمع، هذا هو الإيمان الذي يراد استعادته، إيمان يتجاوز النسخة المتداولة أي الموجودة منه في شعاب حياة المسلمين المعاصرة، لهذا فالإيمان كما هو مطلوب غير الإيمان كما هو موجود، فقد وقع له انزياح، فيرى بالعين- كل من ألقى البص- أنّ معرفة الإيمان" تجرّدت من فاعليتها ومن ثمَّ فقدت إشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية، وصار الإيمان إيمان فرد متحلّلٍ من صلاته بوسطه الاجتماعي"[٤٢]

ثالثا: لماذا يتجدد سؤال الإيمان. (الإيمان: المُجَدِدُ والمُجَدَدُ).

تفرض الانزياحات العملية التي طرأت على الإيمان (وفق صورته المتداولة) الاجتهاد في استعادة النسخة الأصلية؛ النسخة التي تنبعث منها الحياة والحركة النافعة، ذلك أنّ الإيمان يَبْلَى كما يَبْلَى الثوب، فهو بحاجة إلى التجديد من زاوية النظر في الجوانب الوظيفية أكثر من التركيز على الجوانب المعرفية الجافة، ويؤيّد مسار السعي لاستئناف الإيمان الحاجة إليه وفق نسخته الأصلية في رحلة البناء المعنوي والمادي للفرد والمجتمع.

ولهذه المعاني جملة من الشواهد والتفصيلات.

ورد في الحديث عن رَسُولُ اللَّهِ: إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ"[٤٣]، وقال المناوي:" إن الإيمان ليخلق) أي يكاد أن يبلى (في جوف أحدكم) أيها المؤمنون) كما يخلق الثوب، وصفه على طريق الاستعارة شبه الإيمان بالشيء الذي لا يستمر على هيئته والعبد يتكلم بكلمة الإيمان ثم يدنسها بسوء أفعاله فإذا عاد واعتذر فقد جدد ما أخلق وطهر ما دنس (فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم) حتى لا يكون لقلوبكم وجهة لغيره ولا رغبة لسواه ولهذا قال معاذ لبعض صحبه اجلس بنا نؤمن أي نذكره ذكرا يملأ قلوبنا".[٤٤] ولا شكّ أن ما يبلى ليست المعارف الجافة والتفاصيل المتعلّقة بها، بل الذي ينتظر أن يبقى نديا باستمرار هو استشعار الإيمان والتحرّك في السر والعلن بمقتضاه، لهذا ليس التجديد معرفيا صرفا بل هو وعي حقيقة الإيمان عمليا والتصرّف في شعاب الحياة بمقتضاه، وما يراد له أن يكون غضا طريا ليس المتداول الذي انزاح عن أصله فأصبح معارف تفصيلية مرهقة أو تفاصيل لأجل الغلبة، إذا كان هذا ليس مطلوبا فما المطلوب؟ هذا ما نحاول بيانه في الفقرة اللاحقة.

ما الإيمان الذي يراد تجديده؟، إنّ الإيمان المتداول ليس سؤالا في الفعالية، فالانزياح الذي طرأ على الإيمان أنتج أشكالا جديدة من السلوك لا صلة لها بالأنموذج الأصلي للإيمان، بل الإسلام نفسه وقع له مثل ذلك، وبيّن الأستاذ بن نبي مبيّنا هذه المعاني، فأشار الغموض الذي طرأ على فكرة "الإسلام" ذاتها فأصبحت، وهي التي نعرف دويّها العميق في ضمير المسلمين الأوّلين، لم يعُد لها اليوم الدويّ نفسه، وقوه التوجيه لسلوكنا الفردي، ولأعمالنا وأفكارنا ومشاعرنا... فالمسلم حين يتخطّى عتبة المسجد ينتقل من حال إلى حال أخرى. إنّ هناك انفصالا بين العنصر الروحي والعنصر الاجتماعي، وهناك افتراق بين المبدأ والحياة، انفصال يمزّق شخصه شطرين، شطر ينظّم سلوكه في المسجد وشطر ينظّمه في الشارع"[٤٥]، وزاد المسألة وضوحا في مقام آخر فقال: "قوة التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام، ولكن أي إسلام؟... الاسلام المتحرك في عقولنا، وسلوكنا، والمنبعث في صورة إسلام

اجتماعي"[٤٦]. والأدهى من كلّ ذلك أن يعتقد المسلم الكمال في نفسه لمجرّد كونه مُسْلِمًا يواظب على أداء الصلوات الخمس، الأمر الذي جعله يعتقد أيضا أنّه لن يكون في حاجة إلى تحسين سلوكه ما دام يشهد بالتوحيد لله سبحانه وتعالى. والمسلم في عصرنا بالرغم من عجزه لمجرد الانتساب إلى الدين الكامل، وهو أمر لا يتنازع فيه اثنان، بيد أن هذه القضية قد أدَّت في ضمير ما بعد الموحدين إلى قضية أخرى هي: (نحن مسلمون)؛ فنتج: (إذن نحن كاملون)!! [٤٧]

يتنافس المشتغلون بسؤال الإيمان على إيصال معانيه إلى الناس وتبليغها لهم، لكن هل ما يصل إليهم هو الإيمان المطلوب أم أنّه أمر آخر تشبّه به، فيصبح بحاجة إلى تحريره مما علق به في التاريخ، وأساس تحريره ناطقات التنزيل ومزاولة جيل التنزيل له في شعاب الحياة، وهو ما يمكن أن يطلق عليه الإيمان العملي، أي لم يكن إيمانا تأمليا فحسب بل يطلب أن يكون عمليا[٤٨]، فالإيمان الذي يجدّد هو الإيمان الحي فينا، يجدّد النفس التي هي جوهر النهضة، وعملية هذا مقصدها؛ لها آثار على تجديد القيمة القرآنية في ذاتها، فتصبح قيمة ناشطة، ووسيلة فعّالة لتغيير الإنسان[٤٩]، الإنسان الذي منه تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها.[٥٠] الحاجة ماسّة لإيمان يجعل من العمل أهمّ عنصر، الإيمان المؤسس على الدليل الصحيح بشرط أن يكون نافعا مُيَسِّرًا لكلّ ما تعلّق به من معارف أو مواقف، الصحيح لأنه لا إيمان معتبر يؤسس على المغالطة والمخادعات العقلية والنفسية أو يدعو إلى الاستقالة عن الحركة بالفكرة في شعاب الحياة، هذا الإيمان هو الذي يسعفنا بالإنسان الجديد، الإنسان المتحضّر، الإنسان الذي يعود إلى المبادئ التي صنع بها جيل التنزيل حضارتنا.

ضياع العمل بالفكرة في شعاب الحياة، عنوان انعدام الرجل العامل، لهذا فمشكلة العمل تؤكّد أنّ "من الرجل تنبع المشكلة الإسلامية بأكملها"[٥١]، الرجل في تصوّره للدين، وتصوّره للحضارة، وتصوّره لقدراته، ووظيفته، فشاع فينا قَصْر الإيمان على المسجد وفُسِح المجال للأفكار المزاحمة في شعاب الحياة، فأصبح مسلم العصر لا يعيش الإيمان في كلّ حياته بل في بعضها، وهذا يستوجب استعادة الإيمان "العقيدة" لفاعليته وقوته الإيجابية[٥٢]،فضلا عن شموله، إيمان يؤكّد على أنّ " الطريق الوحيد لنيل مطالبه

هي طريق الواجب، فحقّق إمكانيته، ومدى سيطرته على الأنفس والأشياء، ثم سلك هذه الطريق"[٥٣]، الإيمان ليس معارف مجرّدة، لأنّ تحوّله إليها يخلي المكان لتشغله مادية قاتلة، وهذا يدفع بإيمان يؤسس لتركيب ناشط يجمع بين الفكر والعمل، وهما الأمران اللذان يقوم عليهما كلُّ تطور في مجتمع يفكّر في عمله ويعمل بفكره.[٥٤]

يؤكّد هذه المعاني قول الأستاذ بن نبي: "الذي ينقص المسلم اليوم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة؛ فالمسلم لا يفكّر ليعمل بل ليقول كلامًا مجرّدًا؛ بل إنّه أكثر من ذلك يبغض أولئك الذين يفكّرون تفكيرًا مؤثّرًا ويقولون كلاما منطقيا من شأنه يتحوّل في الحال إلى عمل ونشاط"[٥٥]

نعمل على تجديد مفهوم الإيمان الذي يعني أن نعيش بمقتضى توجيهات الدين، التوجيهات ليست مقولة معرفية بل هي ما يتعيّن على الإنسان معرفته والتحلي به.

رابعا: الإيمان من المبدأ إلى الرؤية إلى التدبير.

التّوحيد وفق الموازين الإلهيّة على ما أوحى به الله إلى النّبي صلى الله عليه وسلّم يمثّل مبدأ ورؤية وسيرورة وأفقا، وكلّ بُعْدٍ عن الأبعاد المشار إليها يمثّل قسما رئيسا التوحيد ومتطلّباته، أي هو عُمْدَة من العُمَد التّي يقوم عليها التّوحيد، والتوحيد في أصل وضعه سهل، رضي الله فيه باليسير، وأدناه لعباده بالتيسير، وأمرهم به بسابق الحكم والتقدير، فقال تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾[٥٦]، و"التوحيد هو: أن لا ترى لله شريكا، بأن لا تعتقد سواه خالقا ولا معبودا، وأنّه فعّال لما يريد، ولا يُسْأل عمّا يفعل، والخَلْقُ يُسْألون، وأدلة هذا كلّه قرآنية قريبة على الخلق...وإذا عرفتم أنه لا خالق سواء، ولا معبود إلاَّ هو، فله الخَلْقُ لنا وفينا، ومنّا الطاعة له خَلْقًا وحَقًّا."[٥٨]، وبالتالي فـ" المُوَحِّدُ: هو الذي يَعْلَمُ هذا بقلبه، ويعتقده ويقوله بلسانه، وتظهر ثمراته على جوارحه في أفعاله"[٥٩]، فالنتيجة أن الإيمان ثمرة عملية تعبّر عن الأخلاق الدينية التوحيدية قوامها احترام المنفعة الشخصية، مع رعاية منافع الآخرين، وهي بذلك تدفع الفرد إلى أن ينشد دائما ثواب الله قبل أن يهدف إلى فائدته، ومن ثمَّ فالأخلاق الدينية)التوحيدية(تحترم أيضا المنفعة الشخصية، وهو (التوحيد) مبدأ أخلاقي إيجابي، يأمر الناس بفعل الخير ومقاومة الشر[٦٠]، قال الأستاذ بن نبي:" أما القرآن فسيأتي بمبدأ إيجابي أساسي، كيما

يكمل منهج الأخلاق التوحيدية، ذلك المبدأ هو (لزوم مقاومة الشر) فهو يخاطب معتنقيه بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[٦١] ومن جهة أخرى يقر القرآن فكرة الجزاء، أساس الأخلاق التوحيدية"[٦٢].

التوحيد مبدأ:

التوحيد مبدأ أساسي لكلّ أنواع العلاقات، فهو الأساس في علاقة الإنسان بالله، وبنفسه، وبمن وما حوله. أي هو مبدأ أساسي ضابط لجملة شبكة العلاقات. وحتى صيغة (توحيد) وهي صّيغة جامعة، تشمل الصّيغة المبدأ والسيرورة، أي أنّك تسعى إليه سعيا حثيثا، فلا يمكن أن تصل إلى المنتهى من أوّل وهلة، ولا يمكن أن تخلص إلى الأنموذج الأكمل بمجرّد التّصور أو بمجرّد المعرفة، بل أنت تتعرّض للمحن باستمرار والفتن والامتحان المستمرّ لتثبت على السّعي. إذن فهو مبدأ دافع ومبدأ رئيس لفهم الكون، والتّعامل معه، ولا يمكن أن يكون لهذا المبدأ هذه القيمة إلا إذا تحوّل إلى رؤية. مبدأه علاقة تقديس وتنزيه لله سبحانه وتعالى، وعلاقة احترام للمخلوقات لمشاركتهم لك في المخلوقية أولا، ثانيا لأنّها موطن سعيك للنجاة بين يدي الله، فنجاتك مرتبطة ارتباطا وثيقا بما تبذله لها من خدمة بعنوان الطاعة لا بعنوان الاضطرار الغريزي.

التّوحيد مبدأ إذن هو باعث على استرجاع النّسخة الأصليّة[٦٣]، فهو باعث على حركة تنمية للإنسان وما حوله، لهذا فهي حركة لها وجهة حدّدها الإيمان، فليس حركة عبثية أو عشوائيّة. فلمّا نقول (لا إله إلا الله) فهذه الكلمة على وجازتها هي مبدأ باعث على الحركة وعلى التجاوب الإيجابي مع الكون والباعث على استرجاع الصّورة الأصليّة التّي ضيّعها الأناسي في التّاريخ، وامتاز المبدأ الإيماني بالوضوح، ذلك أنّه لكي يكون مستوعَبا يتعيّن أن يكون واضحا، وقابلا للفهم. فمن دخل رحابه يتطلب أن يكون موحِّدا في نفسه، موحِّدا لله في علاقته مع الكون. والموحّد يستحيل أن يعامل مكونات الكون من عالم العقلاء أو غيرهم معاملة الحق سبحانه وتعالى، فلا تقديس لا للبشر ولا للبقر ولا للحجر. المبدأ الإيماني الصارم أساس الرّؤية وأساس السير في شعاب الحياة، فأنت تسير قُدُمًا نحو التّوحيد، فليس هناك من يقول قد وصلت وبلغت المنتهى، وإنّما هي

مكابدة وسعي متواصل وحركة دائمة، ولكي تثبت على ذلك ينبغي أن تكون فيك ديمومة الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى.

فقولنا مبدأ معناه لا يمكن بأيّ شكل من الأشكال أن يغيب عنك للحظة من اللّحظات، يستوعب الأنفاس فضلا عن الأوقات.

يسع التوحيد كلّ ميادين الفعل الإنساني الفردية والجماعية، وبهما يتعلّق الثواب والعقاب، لأنّ القرآن يقيم بناءه الخلقي على أساس القيمة الخلقية للفرد، وعلى العاقبة الدنيوية للجماعة، فأما الفرد فإن ثوابه مستحق يوم الحساب، ومن أجل هذا يقرر القرآن صراحة القيمة الدينية للفرد في قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[٦٤]، وأما الجماعة فإن جزاءها عاجل، يلفتنا القرآن إلى قصته في هذه الدنيا حين يدعونا دائماً إلى تأمل العقاب الدنيوي في عواقب الأمم البائدة، والحضارات الدارسة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٦٥]. بل إن القرآن ليعنف تلك الأمم في آية أخرى فيقول: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾[٦٦][٦٧].

وغلب على درس العقيدة مخاطبة إنسان غير مُؤَحَّد في الإقبال عليه، فيكون قلبه في جزيرة غير التي عليها عقله، وهما في جزيرتين غير الجزيرة التي عليها البدن، أي الغالب الميل عن ضرورة استحضار المبدأ بناء على ما طرأ من مسائل جديدة استهوت النّاس في الرّد على المخالف المذهبي أو المخالف الملّي، فظنّ المقلّدون أنّ الرّدود على تلك المذاهب الموالفة والمخالفة مسألة أصيلة في المبدأ، وبناءً عليها يكون الولاء والبراء. عوض أن يقول أنّ هذه المسائل ما هي إلا محطّات مُدافَعَة خوفا من تسرّب تلك الآراء المخالفة فتشوش على الوحدة الاجتماعية المنبثقة عن الوحدة المذهبية، فبعنوان التجانس المطلوب سُنَنِيًا غفلنا عن الأسس التي بناء علينا نسترجع الإيمان إلى شعاب الحياة، فالمسائل التّي أثيرت في زمن الصّحابة وشغلتهم كانت مسائل بناء على الواقع، كجمع القرآن والإمامة، وفي مسائل العقيدة الاستثناء الوحيد هو مسألة الرّؤية وهي بناء على النّص وليس بناء على تفاصيل طرأت.

فما كتبه الأسلاف من تفاصيل هو تاريخ، يمثّل حواشي دعت إليها الضّرورة، فهي ليس كالمبدأ الذّي لا يجوز العدول عنه، فالعالم يحتاج إلى مبدأ يغيّره وليس إلى هذه التّفاصيل وكلّ هذه الفرق.

وهذا ما دفع الأستاذ مالك بن نبي إلى التنبيه على ما يمكن أن يشوّش على الوظيفية الوجودية للمسلم في العصر الحديث، فقال: "علم الكلام يمجد الجدال وتبادل الآراء، وهو في الوقت ذاته يشوه المشكلة الإسلامية ويفسد طبيعتها، حين يغير المبدأ (السلفي) في عقول المصلحين أنفسهم. هذه المناقضة اللاشعورية تضع في مكان (المشكلة النفسية) في النهضة (مشكلة كلامية)، فعلم الكلام لا يواجه مشكلة (الوظيفة الاجتماعية) للدين؛ لأن المؤمن لا يفيد شيئاً من مدرسة تعلمه مسألة وجود الله فحسب، دون أن تلقنه مبادئ الرجوع للسلف[٦٨]."[٦٩]

التعليم الذي يجعل التوحيد مبدأ لصناعة التاريخ نُمَجِّدُ فيه ذكرنا عند الله ثم عند أولادنا وأحفادنا في القابل هو التوحيد الباعث على صناعة تاريخ، التوحيد المسترد إلى مركز صناعة الحضارة الراشدة التي تسعف الإنسانية في سيرها نحو حياة أفضل وأمن أوفر.

التوحيد رؤية:[٧٠]

يقصد بالرؤية في هذا السياق الخلفيّة النظريّة، بمعنى رؤية الإنسان المنبثقة عن التوحيد تؤطّر تعامله مع الإنسان والكون والحياة، ولكلّ مكوّنات عناصر الحياة. فالذّي لا يتحدّث عن التّوحيد في العقيدة بوصفه رؤية سيجعل منه معارف تاريخيّة، وإذا أنت قلت رؤية ولم تُعِدْ الرؤية صياغة شخصك وفكرك ستصبح معارف تاريخيّة، حِدْت بها عن أنْ تكون مبدءًا حيويّا؛ فالحديث المجرّد عن تاريخ الأسلاف الماجد لا يصنع تاريخا ماجدا، وإنّما نحن أمام مبدأ لا بدّ أن يتجسّد في شعاب الحياة من خلال تحوّله إلى رؤية، فإذا لم يتحوّل إلى رؤية، معناه لم نقو على جعل التوحيد وجهة في الحركة، وفاقد الوجهة التوحيدية لا يعلم ماذا يعمل بالدين نفسه، إلى أين تريد تأخذ الدّين، عوض التفكير في مسألة إلى أين يريد الدين أن يأخذك؟ إنّ تقديم الإيمان بوصف أساسا للوجهة يجعل التوحيد نفسه محدّدًا للوجهة، وخلاصتها الإخلاص أو الإفلاس.

قال الأستاذ مالك بن نبي: " ولقد تقررت هذه العقيدة الجوهرية للإسلام الموحد في سورة من أربع آيات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٧١]

وفي هذه الآيات يتجلى [الإخلاص] طابعاً خاصاً بالفكرة القرآنية؛ فلقد قضى على فكرتي التعدد والتشبيه...وهكذا يتقرر بجلاء الأساس النظري الذي ستنبثق عنه الدراسات الدينية الإسلامية وتتطور."[٧٢]

فكلّ ما تجود به الإنسانية من معارف ومناهج تعرض أوّل ما تعرض على التوحيد بوصفه مصفاة نظرية لما يصح أن ينتفع به في الحاضر والقابل، إذن يكون التوحيد أساسا لرؤية تؤطّر العلاقة بالمعرفة وتطبيقاتها ونتائجها بصرف النظر عن الوعاء الذي صدرت عنه، ففي الرؤية التوحيدية انفتاح معرفي وانفتاح على مكاسب الخبرة والتجربة الإنسانيتين عبر العصور، فلا عداء للأفكار الصحيحة النافعة الميسّرة لرحلة الوجود والخادمة لمرحلة الخلود.

٣- التوحيد سيرورة:

معناه لا يمكن أن يصير الموحّد موحِّدا بتمام معاني التّوحيد ويستجلب كل متطلباتها بحيث تتجلى في كلّ تصرّفاته وروحه، فلا يمكن له أن يدّعي هذا الكلام، لأنّه فاقد لقدرة تحقيق ذلك، وإنما يجب أن يكون في سعي دءوب مستمرّ، فيكون بهذا التوحيد سائرا نحو القصد(سيرورة) فلا يدّعي كسب تلك الرتبة مهما بذل من سعي لجل اكتسابها. والله تعالى أوجد فينا النّقص والقصور والتّقصير، وهو الذّي يضطرّنا إلى اللّجوء المستمرّ إليه سبحانه تعالى، وبهذا يصبح التوحيد سيرا دائما وقوده مستمد من اللجوء المستمر إلى الله تعالى. فهو توحيد على صيغة تفعيل بمعنى توحّد توحّد توحّد... أي تسعى نحو التّوحيد.

وما دام التّوحيد معيارا يحتكم إليه فهو أساس قيمة أفعالنا وتصرفاتنا وتدبيرنا، فبقدر اقترابنا منه تكون تصرفاتنا ذات جدوى ومنفعة، لمّا تقول (لا إله إلا الله) معناه أنت خيّر بقدر اقترابك منه، فلا يمثّل التوحيد مصدرا باعثا على الحركة ومحدّدا للوجهة فحسب، بل يزوّدك بالقيم المعياريّة التّي بناء عليها تكون قريبا من الخيريّة. ومعناه لا مصدر

للاقتراب من العبوديّة التّي بها يستجلب خيرك وتكون خيّرا إلا بالالتزام بها، فهو مصدر ومعيار ومرجع قيمي معياري بالإضافة إلى أنّه مبدأ. فهو يعطيك الوجهة ويعطيك القيمة، وهذه القيمة تتجلى في الأمر والنّهي المستفادة من صيغتي: افعل ولا تفعل التي جاءت بها نصوص الوحي، ومن ثمّ تستجلب قيمة الدّين من الدّين نفسه وليس من خارجه.

ومبدأ (لا إله إلا الله) هو استدراك على كلّ الخليقة أينما وجدوا، وفي قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٧٣]، وعلّق الزّمخشري[٧٤] في تفسيره للآية إلى أنّ النّزاع دائما بين وليّ الأمر والرّعيّة، ولهذا قال بوجوب ردّه إلى الله، أي وجوب استعادة تحكيم كتاب الله عزّ وجلّ.

الذّين يرابطون في مقام الإبلاغ يرابطون في قلاع متباينة وليسوا في قلعة واحدة، فيتعيّن على من يريد التبليغ عن الله أن يكون مسكونا بالامتثال أي جلب المنفعة لجمهور النّاس وليس له فقط. قد تجد أحدنا مرابطا في قلعة سياسيّة وآخر في قلعة اقتصادية وغيره في اجتماعيّة وثقافية وقضائيّة... أي الرّؤى الكثيرة، ولكن بقصد واحد وهو الامتثال وليس نيل وظيف أو رغيف أ ورغيف محسّن.

حتّى إذا دخلت مقام التّحقيق أو الجدل فادخله بمقام الامتثال، تقتصد في الأوقات والخصومات، أي طاعة لله تعالى. فـ(لا إله إلا الله) كافية وزيادة وهي مشروع حضارة، تمرر عبرها كل معلومة أو مشروع يراد الإفادة منها في حاضر الأمّة وقبالها، فلا بدّ من تفعيل هذا المبدأ في الاستدراك على مكاسبنا السّياسيّة، والفكريّة، والتربوية، والاقتصاديّة...

٤- التوحيد أفقا:

الأفق هو المطلوب استشرافه في قابل الأيام، بأن نحاول قدر الطّاقة أن نغطّي جملة المطالب الإنسانيّة المحدّدة في الأمر والنهي الإلهيين. ولا يختصّ سعي الامتثال بالمسلمين فقط، فهو أوسع من أن يقصر على وجهة النظر التقليديّة، فالإنسان حيث كان - بصرف النظر عن دينه وعرقه ومستواه المعيشي- ميدان للبذل والنفع طلبا لمرضاة الله

بخدمته لأجل إسعافه لاسترداد الإنسان الأصلي الذي ضاع منهم (نحن في مقام البلاغ ولسنا في مقام المدافعة).

يفرض التوحيد على الإنسان شروطا نفسية استجلابا للانتفاع به، مقتضاها أنّ التوحيد يريدك موَحَّدًا في الإقبال عليه، يريدك أن تستقبل القبلة بكلّك، أي من قمّة رأسك إلى أخمص قدميك، إذا كنت كذلك ستكون موحَّدًا، تسعى وتكابد باستمرار لكي تصل، ولا أحد يمكنه ادّعاء بلوغ المنتهى في ذلك، فمن يدّعي أنّه وصل فقد انفصل، فالوصل هو السّعي المستمرّ نحو هذا الأمر وأن تستقبل القبلة بصيغة موحّدة وليس مشتّتا.

فالتّوحيد هو سعي مستمرّ على مستواي الشّخصيّ ومستوى مكوّناتي، فلا يمكن أن أقبل على الإطلاق ما لا يمكن أن يثبت عقلا فضلا عن أن يكون منفيا عقلا وخلقا.

فهذا أفق الدّرس وما نريد أن نخلص إليه، فإذا قلنا أنّ التّوحيد مبدأ ورؤية وأفق وسيرورة، فهو برنامج عملي لكلّ من انتسب لخط الإيمان، فكلٌّ مطالب قدر الطّاقة باستجلاب هذه المعاني في الميادين التي يبلغها جهده، مشغول بنفسه فيما إذا كان حقا موحّدا، وتجليات ذلك السهر على خدمة الخلق مرضاة للحق، فليست دعوة للاستقالة بل دعوة للصحو ثمّ الانخراط في مسلك الخدمة الإيمانية الراشدة.

متطلبات التوحيد:[٧٥]

يتطلب التوحيد النظر في المسألة من جملة من الزوايا المتكاملة، أولا التوحيد بوصفه معتقدا، والتوحيد بوصفه مطلبا والتوحيد بوصفه تدبيرا والتوحيد بوصفه سيرا في شعاب الحياة، وهي في الجملة تتناول القضايا الآتية:

المُوَحَّد وهو الله، المُوَحّد وهو الإنسان، والموحّد فيه وهو الكائنات.

التوحيد من حيث كونه معتقدا: الله هو المنزّه، فهناك ثنائية يتعيّن أن تملأ القلب والعقل: فهناك الحق وهناك الخلق، فالخلق لا يمكن أن يرتقوا في القابل إلى الحق، فلا نعامل البشر بصرف النظر عن مراكزهم عبر التاريخ معاملة الحق سبحانه وتعالى، فلا تأليه ولا أنصاف آلهة، وليس في الخلق من لا يسأل عمّا يفعل، فلا يحررك التوحيد من شرك القبور ليسلمك إلى شرك القصور أو الوصاية عن الحق سبحانه وتعالى، بل يحرّرك

ليسلم للعبودية التي هي عين العبودية، ولهذا فإنّ الخلق قريبون من الحق بقدر معرفتهم بحقه عليهم والتزامهم بمقتضياته، والأنموذج الأكمل في ذلك هو سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم.

المؤَحِد: أصل الخلقة الفطرة[٧٦] التي فطر عليها الإنسان، كلّ إنسان خلق مستعدًا لاسترداد ما ضاع منه في التاريخ، وفطرته أوسع من أن تقصر على الجانب التوحيدي(الديني) فهو من جملة الاستعدادات، فيسترد ببعضها غير المعطّل البعض التي تعطّل بفعل الحاضنة في النفس والعقل والقلب، كلّ الناس الذين تحوّلوا عن الفطرة التوحيدية هم ضحايا الحاضنة التي احتضنتهم ثم احتضنوها، فالتحوّل ولد في التاريخ ولم يكن أصيلا في الإنسان، وما دام الأمر كذلك فكلّ الناس يملكون الخميرة الأزلية[٧٧] التي بمقدورهم إنْ فعّلوها استرداد الفطرة الإيمانية التي فطروا عليها. ففي الإنسان الاستعداد للعودة إلى الأصل، فهم مشروع مبلغين ومساحة للدعوة إلى الله بما وهبهم الله في أصل الخلقة من استعداد تجاوزوا فيه البداية الصفرية[٧٨]، فإن لم يستردوا أصلهم فنحن سببهم بشكل أو بآخر، والموحّد لا ينفعه التوحيد ما لم يقبل عليه مؤَحّدًا، يستقبل القبلة بكلّه (يستقبل القبلة بالقلب والعقل والبدن) وبجملة أبعاده (الشخصي، والأسري، والمجتمعي، والدولتي، والأمتي، والإنساني).

التوحيد ووحدة المعرفة: يتقاسم ظهور المعارف وتجلياتها مصدران الكتاب المسطور(الوحي الشريف) والكتاب المنظور وهو عالم المحسّات، أي العالم ونقصد ما سوى الله، وكلاهما معرّف بالله سبحانه وتعالى، ولهذا فالتوحيد يحيلنا على وحدة المعرفة، فكلّها من الله لخدمة الإنسان، فعالم المكوّنات شاهد من شهود الله معرّف به، ولهذا يحيلنا الكتاب المسطور عليها كثيرا منها قوله تعالى: ﴿"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"﴾[٧٩]، ومجرّد الإحالة عليها دليل واضح على أنّها موضوع استدلال وتعرّف على الله تعالى، ودليل على أنّ العقل

خلق فيه من الاستعداد ما يحقق وظيفة الفهم والتسخير والارتفاق، وهذه لا يحققها غير من امتلأ قلبه بالاستخلاف.

التوحيد والاستخلاف[٨٠]:

مُدِحَتْ الأمّة الإسلامية في كتاب الله بأنّها "أمّة الشهادة"، وبناءً على هذه الميزة ينتظر منها أن تسترد ما به الله ميّزها، ولأجل تحقيق هذا المقصد الأسمى ينبغي أن يكون فيها الإنسان متشبّعا ومتحقّقا ومستشعرا لمبدأ الاستخلاف. الخلافة التّي تكون للصالحين والصّلاح لفظ شرعي أصيل وردت به الشريعة، فالله تعالى هو الذّي قال:﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٨١]. ولأنّ الصّلاح لفظ شرعي أصيل فلا نأخذه معانيه ومراد التكليف المتعلّق به من غير الشّريعة، فلا حظّ للموازين البشرية في تحقيق القول في عمده الرئيسة وكلياته الضابطة، فلا تلتمس ضوابط الكلية من الموازين البشريّة، فالصلوحية لقيادة البشرية ليس مما يتبرّع بعض الخلق على البعض الآخر، استدرارا لرغيف أو وظيف وطمعا في تحصيل شهادة حسن سلوك من غالب وقتي راهن، ذلك أنّ الصلاح ليس امتلاكا لوسائل تعمير المكان وتدميره، بل امتلاك وسائل تعمير الإنسان بقيم الوحي التي بها يسترد الانتماء إلى النوع من خلال استرداد صورة الإنسان الأصلي التي ضيّعها، وبذلك يمكن أن يساهم في حماية المكان بوصفه مقرا للنوع وليس مقرا للغالب الدولي الوقتي الراهن فحسب، فالقدرة على تعمير المكان وما حول الإنسان لا يقتضي تعمير الإنسان، فالإنسان أهمّ من المكان، أمّا إنسان الغريزة وإنسان حجّة القوّة فهذا حديث عن الصّلاح بالموازين البشريّة وليس بالموازين الإلهيّة، ومن اعتبر مالك القوة المالية والعلمية من غير وجهة إنسانية نافعة تستشرف خدمة النوع الإنساني حقيقا بالخلافة، فهذا لا يميّز بين رؤيتين متبانيتين للكون والإنسان والحياة، الأولى تعتبر الإنسان خليفة وليس مالكا أصليا، والثانية تعتبر مالك القوة مالكا للتصرف في الكون على وفق ما يروقه، لأنّه يعدّ نفسه مالكا لا مستخلفا، فالصالح هو الذّي يكون مسكونا بالاستخلاف وهو الذّي يعلم يقينا بأنّه مستأمن، أي مؤتمن على أمانة لا يسوغ له أن يتصرّف فيها على وفق ما يحلو له، فهو ليس مالكا أصليا [٨٢].

مؤتمن معناه لست أنت من تضع أفقا للأمانة، بل يضع لك أفق الأمانة من رزقك هذه الأمانة ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[٨٣]. فالائتمان يحيل على فكرة ضرورة الحفاظ على هذه الأمانة من التّلف وتنميتها [٨٤]. ومن ثمَّ فإنّ الاستخلاف نظريّة له أثرها في مختلف الميادين من المعرفة والاقتصاد والاجتماع...

إنّ الاستخلاف خلفية نظرية حركيّة تنمويّة مستمرّة على المستوى المعرفي (مستوى الرّؤية) تصورا وتصديقا، ثمّ على مستوى التّدبير، وثالثا على مستوى التّطبيق أي كيف تباشر هذه المعارف التّي حقّقتها في شعاب الحياة.

خامسا: الإيمان والتدافع الحضاري

يؤكّد الأستاذ مالك بن نبي في أكثر من سياق على أنّ الدين في ضوء القرآن يبدو ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، وتتحكّم في تطوّرها. والدين على هذا يبدو وكأنه(على قول الأستاذ) مطبوع في النظام الكوني، قانوناً خاصاً بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية، حول مركز واحد، يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الأبد.[٨٥] ومن ثمّ فالدين لا يُرْفَع ولا يُدْفَع لأنّه حقيقة وجودية ماثلة في ماضي الإنسانية وحاضرها وقابل أيامها، وهو الأساس الذي بناء عليه يكون التدافع الحضاري بين مكوّنات المجتمعات البشرية، مهما حاولوا إزالة آثاره والتشغيب على وجوده، من هنا كان الإيمان في المفهوم القرآني أساسا للتدافع الحضاري بأفق إنساني راشد، إيمان مستنده استيعاب جملة حاجات الإنسان الذاتية الفردية والجماعية الملية والإنسانية بوصفها ميدان البلاغ، فضلا عن خضوعه لموازين العقل، وإشباع جملة حاجات الإنسان الغريزية والروحية الجماعية والفردية، فالإيمان بالمنطق القرآني رحلة استئناف وليست بداية صفرية حتى بالنسبة للمدعو، فكلّ ما صحّ عند المخالف الملّي وكان نافعا وميسّرا لحياة الإنسان على الأرض فالإيمان يدعو لاستجلابه وتعميمه. وهو من خلال ذلك يؤسس لجسور تواصل حضاري مع المخالف الملّي لأجل خير الإنسانية في الحاضر والقابل، ولا يتأتى القيام بذلك إلاّ إذا فهم المسلمون أنّ الدين وأساسه الإيمان عامل تنظيم نفسي رئيسي، فضلا عن أنّه يغذّي الجذور العامة، ويتدخّل مباشرة في الشخصية التي تكوّن الأنا

الواعية، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة الأنا[٨٦]، وفهم أيضًا أنّ حلّ مشاكلهم لا يتمّ بمجرد الانتساب بل برفع مبادئهم إلى الأحداث البشرية، ولا تتمّ لهم المساهمة الحضارية ما لم يتعمّقوا في فهم العوامل التي تبنى الحضارات أو تهدّها.[٨٧] ويؤكّد في سياق آخر أنّنا" لا نستطيع أن نصنع التاريخ بتقليد خطا الآخرين في سائر الدروب التي طرقوها، بل أنْ نفتح دروبا جديدة ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلاّ بأفكار أصيلة تستجيب لسائر المشكلات على الصعيد الأخلاقي أو على صعيد الأفكار الفعّالة لنجابه مشكلات التطور في مجتمع يعيد بناء نفسه"[٨٨]

يحسن في المستهل تحقيق القول في التحضر، فهو" أن يتعلّم الإنسان كيف يعيش مع غيره في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسة لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية"[٨٩]، والدين والإيمان على وجه الخصوص "وسيلة فعّالة لتغيير الإنسان، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه، وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغيّر شرائط الوجود نحو الأحسن دائما، وكيف يكوِّن معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ"[٩٠]، والتدريب على العيش الجماعي المَوْضِعي يُيَسِّر استشراف العيش في أفق السلام مع الأسرة الإنسانية بجملة مكوّناتها، ذلك أنّ الإيمان يؤكّد على" وحدة البشرية"، والتأكيد على ذلك يستتبع وحدة مشروع التحضر بأفق إنساني، أي تروم خدمة كلّ البشر بعنوان الأخوة الإنسانية المستفادة من الأصل الواحد (كلكّم من آدم) والسكنى في دار واحدة (الأرض) ومصيرنا واحد، من ثمّ تمَيَّزَتْ فكرة التحضّر الإسلامي بجعلها صلة الرحم الإنسانية منطلقا ومبدأ أساسيا تبنى عليها الصلات بين مكوّنات الأسرة الإنسانية بصرف النظر عن التحوّلات التي طرأت عليها في التاريخ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[٩١]،

فلا تفاضل بغير الخدمة التي تسعف الإنسان لاستعادة النسخة الأصلية الثاوية فيه والمستفادة من أصل الخلقة أو هي جينات آدمية معبّر عنها بالفطرة أو الصبغة، وهو بذلك يهيأ ليكون إنسانا يفكّر في النوع تفكيره في نفسه أو عصبته، لهذا فإنّ فسيلة

التحضر من الناحية النظرية ثاوية في نظرة الإيمان إلى وحدة الأسرة الإنسانية، فلا يسوغ الاستئثار بالإيمان ومنع وصوله للآخرين، ومن آثر الانتماء إليه سأل المنتمي بحق هذا النسب وانتظر منه تجلياته الظاهرة في خدمته في شعاب الحياة، ومن لم يصله هذا الخطاب كان حجة على الذي لم يبلّغه في الآخرة، ومع ذلك يسأله في الدنيا حق الرَحِم الإنساني، لا يتمّ التحرّك نحو المجتمع البشري إلاّ بالإنسان، والمقصود كلّ إنسان فالاهتمام يكون بالنوع، إلاّ أن بداية الحركية الكونية الراشدة تكون بالإنسان الذي ينتمي لهذا الإيمان فمسؤوليته مضاعفة تجاه حضارته وتاريخه ومستقبل الإنسانية، فهو مدعو لتبليغها هذه المعاني وإسعافها للترقي إلى مستوى هذه الرسالة الإنسانية.

وقد ورد عن الأستاذ بن نبي في سياق تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٩٢] بيان أنّ هذا الدين يمكن أن يكون أساسا للقاء عالمي بأفق إنساني لما يحويه من أسس نظرية تيسّر القيام بهذه المهمّة، فقال: " الإسلام يأتينا بهذا الضوء الذي يحوط الإنسان ويجعله محترمًا في عيني أخيه الإنسان، إنّه يأتي بهذا السبب السامي الذي يفرض احترامه مهما كان لونه وجنسه وقيمته واعتقاده؛ وهو يضع لفلسفة الإنسان هذا الأساس الميتافيزيقي. فهذه الآية تعطي للإنسان كل عظمته وبروزه وكل حجمه في الضمير الإسلامي. وإنّما ينتج حجمه من هذا التكريم الأساسي حيث لم يعد نقطة صغيرة في المادة الحيّة. وسنرى من خلال مراعاة هذا المبدأ ضرورة تنشيطه بإنشاء ثقافة مناسبة لحال المجتمع الإسلامي لتطبيقها بمفهومها الاجتماعي وعلاقاتها التاريخية الجديدة. وجدير بالقادة المسلمين أن ينظروا إلى المشكلة في هذا الاتّجاه فيترجموا قيم الإسلام الروحية إلى قيم اجتماعية"[٩٣]، وأكّد هذه المعاني بقوله: "إنّ للإسلام في مجال تحديد ثقافة شاملة دورا كبيرا، إذ هو يأتي بعناصر ثقافية جوهرية. ولكي يؤدّي الإسلام بصورة فعّالة هذا الدور المزدوج فإنّ عليه أن يترجم قيمه الروحية إلى قيم اجتماعية"..."دور الإسلام باعتباره مصدر إلهام لن يكون دور دين أو مجال مساحي ـ هو القارة الوسيطة. مجرّد وإنّما دور مجتمع قائم بذاته على الأرض، فهو يتّصل حينئذ اتّصالا نوعيًا بالدور التاريخي للرجل المسلم"[٩٤]

قوام التدافع الحضاري على إنسان القيم، والذي ينتظر منه استرداد ما به غيّر أسلافه مسيرة الإنسانية، واسعفتها لاستعادة أفق التحضّر، لهذا يكون المعوّل عليه سننيا هو الإنسان المتحضّر بفعل تفعيل القيم الروحية، وتحرّك بها بوصفها قيما اجتماعية.

قال الأستاذ بن نبي:" إنّ التغيّر يصيب الإنسان ذاته، الإنسان المتحضّر الذي فقد همّته المحضِّرة، وليس من الصواب أن نبحث عن النظم، بل عن العوامل الإنسانية المتمثّلة في عجز الناس عن تطبيق مواهبهم الخاصة على التراب والقوت. إنّ التركيب الأساسي نفسه قد تحلّل، فتحللت معه الحياة، وأخلت مكانها للحياة البدائية"[٩٥]، إنّ الفكرة وإنْ كانت أساسا للحركة فإنّها لا تتحرك في الواقع بغير الإنسان، ذلك أنّ اطّراد الحضارة الإسلامية يقوم على عاملين رئيسين هما: "الفكرة الإسلامية التي هي أصل الاطّراد نفسه والإنسان الذي هو السند المحسوس لهذه الفكرة"[٩٦]، وفي هذا التحليل شاهد على أنّ تحوّل الإنسان المتحضّر وفقد الهمّة الحضارية ومن ثمّ المهمّة الحضارية والتحضيرية يولد في التاريخ تنتجه الحاضنة وتحميه وتتعهّده بالصيانة والتنمية الجهة المنتفعة من تغييب الإيمان بوصفة وجهة ودافعا ومقصدا، ورأس ما تراهن عليه الحضارات الغالبة الحفاظ على منطق العجز بوصفه سمة عامة للشرقيين والمسلمين على الخصوص، فكان التكليف بالإيمان وفق ما أشرنا إليه آنفا، مؤكّدا لحقيقة موضوعية مفادها: إنّ الإنسان خُلِق قادرا على تجسيد الحركية الإيمانية التوحيدية في شعاب الحياة، ومن يصوّر المسلم عاجزا يكذّب كتاب الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٩٧]، فالعقل مطواع للتغيُّر وللتفكير في التغيير، ومُلِّك الإنسان القدرة على القيام بهذه الوظيفية، فالعجز طارئ عليه مأتاه من الحاضنة، وكلّ أفراد الإنسان هم كذلك من هذه الحيثية، ومن وجد غير ذلك فليدقّق في توفّر الشروط الموضوعية للقيام بهذه المهمّة، إذن عندنا إنسان منفتح على التغيير في أصل الوضع وواقع قابل للتغير في أصل الوضع، فأوّل التدافع دفع الإعجاز(الرمي بالعجز) الذي يُسَوَّقُ بعناوين متباينة(العرق/ الجهة/ الدين/ الفلسفة/...)، فمن قال إنّك عاجز بيّن له عمليا أنّك لست كذلك، والتدافع بين الحضارات أساسه رغبة الغالب في النفث في روع الأفراد المنتمين إلى الحضارات "المغلوبة" العجز بعنوان من العناوين المشار إليها، وهو شكل من أشكال

"القابلية للاستعمار"[٩٨]، وبهذا يصبح المنتمي إلى الحضارات المغلوبة جنديا في فيلق الحضارة الغالبة ينشر العجز ويُشْهِرُه ويُسَوِّقُه بعناوين العلم والفلسفة و... لهذا فإنّ استعادة الإيمان هي استعادة الإنسان للحضارة، والإيمان الأصيل "إقدار النفس على تجاوز وضعها المألوف"[٩٩] باستعادة القوة الكامنة في الإيمان نفسه بوصفه رؤية وقوّة معنوية دافعة للنظر بحكمة في أوضاع العالم وتدبير كيفية إفادة حاضر الإنسانية ومستقبلها والاستفادة منها، أي يدخل العالم بعنوان الوحدة البشرية في الأصل والوجود والحاضر والمصير.

يعلم أنّ "حضارة ما هي إلاّ نتاج فكرة جوهرية تَطْبَع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضّر الدفعة التي تدخل به التاريخ. ويبني هذا المجتمع نظامه الفكري طبقا للنموذج الأصلي لحضارته"[١٠٠]، ذلك أنّ " نهضة مجتمع ما تتمّ في نفس الظروف العامة التي تمّ فيها ميلاده، كذلك يخضع بناؤه وإعادة هذا البناء للقانون نفسه"، وقال الأستاذ في سياق آخر: "وإنه لتفكير سديد؛ ذلك الذي يرى أن تكوين الحضارة كظاهرة اجتماعية إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها الحضارة الأولى، كان هذا صادرا عن عقيدة قوية، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره، ليذكر الناس بحضارة الإسلام في عصوره الزاهرة"[١٠١]، هذا من القوانين التي تعد من ثوابت التاريخ التي لا يغيّرها الزمن[١٠٢].

والإيمان هو المبدأ الجوهري الذي بمقدوره أن يدفعنا للانخراط في الفعل الحضاري الراشد، ولكن بشرط أن يكون بالفكرة(المبدأ) نفسها لا بشبيهتها، وخاصة في ظل تسويق شبيهها الذي لا يمتّ للنسخة الأصلية بصلة، نعم قد يشبها شكليا، ولكنّه من جهة جوهره بعيد عنها.

التكليف الإيماني من مقتضياته تعميم حضوره في جملة ميادين الفعل الإنساني، فالإيمان الحاضر في كلّ شعاب الحياة، يدعو للانخراط في حركية المجتمع قياما بالوظيفة الاجتماعية للدين، والتي تمثّل رسالة الأنبياء عليهم وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، وليس المقصود قصر هذا الخير على المنتمين إلى هذا الدين فحسب، بل المطلوب السعي إلى نشره وتبليغه (وفق الصيغة العملية التدبيرية لا وفق الصيغ النظرية التجريدية)

إلى جملة مكوّنات الأسرة الإنسانية، لأنّ "القرآن الكريم نزل على قلب سيّدنا محمد(صلى الله عليه وسلّم)؛ ليعلن "وحدة البشرية" قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[١٠٣]، فكلّ البشر لآدم وآدم من تراب، وكلّهم يحملون خصائص موحّدة، ويجتمعون على الأصل الواحد، فكلّ اختلافاتهم بعد ذلك في الألوان، والألسن، والميول، والأهواء؛ والعقائد والطباع وفروق الزمان والمكان هي اختلافات تنوّع لا تضاد، والتنوّع لا يزيل الوحدة ولا ينفيها، بل يؤكّدها، ويضفي عليها معنى تشتد الحاجة إليها."[١٠٤]

الاضطراب والاختلاف بين بني آدم حادث في التاريخ وليس أصيلا في الإنسان، يرثه الإنسان من حاضنته الاجتماعية والفكرية ويتلوّن بمنافعه الآنية، فتكون تلك المطالب سببا في شيوع الاضطراب والسعي إلى نشره، بل يجعل ما كان حقّه أن يكون وسيلة للتوحيد، وجمع الكلمة، سبيلا للفرقة. فالدوافع المنحرفة التي يرثها الإنسان من عصبته، تجعله يقرأ وسائل هدايته باضطراب يؤدّي إلى الاختلاف، والصراع وما إلى ذلك، وليست القضية في هذا السياق قلّة علم أو ضآلة معرفة، وإنّما حدث لهم ذلك لأنّهم استخدموا ذلك العلم، وتلك المعرفة للبغي بينهم، وللاستعلاء على غيرهم من إخوانهم في الآدمية، ويتّضح ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[١٠٥،١٠٦]، لهذا فالتفريق والبغي والكبر والحسد طارئ يرجع إلى الرغبة في الاستئثار والغلبة، وهيمنة غريزة البقاء بمعناه الدنيوي على الرؤية والتدبير.

يمثّل الإيمان أهمّ بواعث السعي إلى تحضير العالم والعمل على تنميته بشكل متوازن، ذلك أنّ الإيمان يرفض الأنانية والاستئثار بخيرات العالم المادية والمعنوية، فيحثّ المقتنعين به إلى ضرورة دعوة الخلق مرضاة للحق، إلاّ أنّ القيام بهذه المهمّة النبيلة تحول دونه جملة من التحديات والإكراهات الواقعية، أوّلها التدافع الإنساني الصارخ، فضلا عن أنموذج الإنسان الشرقي الذي آثر الاستقالة عن دفع الفساد والإفساد الذي يتعرّض له العالم على العموم والشرقيون على الخصوص، الإنسان الشرقي هو

المشكلة وهو الحل، وإنسان المشكلة هو "إنسان ما بعد الموحدين المتخلّف، وهو في الحقيقة تجسيد للقابلية للاستعمار والوجه النموذجي للعهد الاستعماري والبهلوان الذي أسند إليه المستعمِرُ القيام بدور المستعمَر وهو أهل لأنْ يقوم بجميع الأدوار، وحتى لو اقتضاه الأمر أن يقوم بدور إمبراطور"[١٠٧]، وهذا بحاجة إلى استئصال "الوراثات النفسية والفكرية والاجتماعية السلبية التي أسقطت المجتمع المسلم منذ ستة قرون، وتجديد كيان المسلم طبقا للتعاليم الإسلامية الحقّة ومناهج العلم الحديثة"[١٠٨].

وعدم القيام بذلك يجعل مسألة الاستئناف الحضاري عديمة الجدوى.[١٠٩] والأمل معقود بعد الله على الإنسان الكامل[١١٠] الذي بفعله النوعي يبدأ التاريخ من خلال سعي دائم "للمطابقة بين جهده وبين مَثَله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة، بوصفه ممثلاً وشاهداً"[١١١]، وهو ما يُيَسّرُ للأمّة الوفاء بمقتضى صحّة الانتساب الإيماني فتأخذ على عاتقها حماية استقلال العالم الإسلامي، وإعلاء كلمة الله قياما بوظيفة الجهاد العلمي والمعرفي في أعلى مستوياته البحثية والتطبيقية(التكنولوجية)، ولا يتأتى هذا لغير جيل وضع نفسه موضع التضحية والفداء عن العالم الإسلامي الذي هو كالجسد الواحد يحمل راية واحدة، ينتظر من الأمّة الحيّة أن تعوّض البلاء الذي أصابها، سعادة يرفل بها العالم الإسلامي والإنسانية، ينتظر منها إشاعة الحرية والدفاع عنها، هذا هو طريق تلافي المصائب والأضرار الماضية والحاضرة، رائد هذا الطريق صاحب همّة عالية يتحرّك بنيّة الوفاء بمهمّة المرابطة دون الأمة والعالم الإسلامي والإنسانية الغارقة في أوحال ماديتها القاتلة، لأنّ منطق الإيمان يفرض على المؤمن النظر إلى الأمة نظر المشفق عليها في حاضرها ومستقبلها، وذات منطق الإيمان يوجب النظر إلى الإنسانية بعين الشفقة والأخوة الإنسانية.[١١٢]

ومن متطلبات القيام بهذه الوظيفة بسلاسة جعل الشورى أساسا في تلاقح الأفكار المتلاحقة بين أبناء الجنس البشري، لأنّ الشورى مستمرة في المجتمع الإنساني عبر العصور – وبصيغ متنوّعة، أغلبها له صلة بالمعرفة، ويستبعد سياسة العالم برُشْد وحكمة- ولم تتوقّف هذه الشورى في أي لحظة من لحظات التاريخ، نعم قد تخبو حينا وتظهر أحيانا أخرى، وتستفيد منها المجموعات البشرية وأفرادها - الذين لهم إسهام

فيها – من نتائجها بحسب قوّتهم العلمية والمعنوية، الشورى أساس رقي البشرية وأساس تطوّر علومها وتطبيقاتها، وما تخلّف المسلمون وعامة البلاد الشرقية[١١٣] وما يُسمى بالعالم الثالث عن ركب الحضارة إلاّ نتيجة موضوعية لإهمال الشورى الحقيقية فيما يخص حاضر الإنسانية ومستقبلها، وخاصة المستقبل الفكري والتربوي والحضاري، ومن تبعاته السياسي.

الفكرة الإسلامية التوحيدية الأصيلة في عملها المباشر تعيد صياغة النفوس التي تحرك التاريخ بما يختلج فيها[١١٤]، فالفكرة تمثّل الوجهة والدافع الفعلي حال استشعارها والتحرّك بمقتضاها، هذا هو الإيمان الأصلي، وهو المطلوب استعادته وجعله مستند استبعاد الصور المشوّهة للإيمان.

الخاتمة:

أهمية الإيمان في النهضة الحضارية إنشاءً واستبقاءً وانتشارا لا تنكر، ولكن تسويق النسخ الشبيهة به بعنوان النسخة الأصلية حال دون الخلوص إلى المراد، لهذا نحو بحاجة إلى الاستئناف الإيماني بالنسخة الأصلية لا بالنسخة المضروبة، وبهذا كان اختيارنا لمصطلح معارف الإيمانية وظيفيا يخرجنا من جدل النص والفقه إلى دائرة العلم الذي يعدُّ تجليا حقيقيا لفقه معارف الإيمان، تلك هي المعارف التي تبعث على الحضارة، وتؤكّد أنّ سؤال الإيمان لتعلّقه بالإنسان بين حالتي الضعف والقوة يتجدّد طلبه من جهة البحث عن الإيمان المُجَدِّد أي يجدد صلتنا بالله ليبعثنا إلى مركز الحركة بالفكرة في التاريخ، وبالتالي بحاجة إلى تجديد الوقوف عند الوظائف الوجودية، فيتحوّل الإيمان من موضوع للتنازع المبدأ يدفع على الحركة ورؤية تؤطّر موقفنا من الكون والحياة والإنسان، ويفرض تحقق المستويين في الوعي تدبير شأننا العام والخاص بمقتضيات الإيمان، وإيمان هذا شأنه يغرس فسائل التحضّر في الأنفس، ويسترخص المهج لأجل التفكير الجدي في حضارة راشدة إنسانية الأفق، ولا يتحقق المقصود بغير تدافع إنساني يعمل على إسعاف الإنسانية للخروج من وردة الاضطراب في التعامل مع الهدايات الإلهية المبثوثة في كل تفاصيل الكون وجزئياته.

المصادر والمراجع:

أطفيش (قطب الأئمة الشيخ الحاج محمد بن يوسف).

تيسير التفسير، تحقيق وإخراج الشيخ ابراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية غرداية الجزائر ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الجوهري (إسماعيل بن حمّاد).

الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ه – ١٩٨٤م.

جيدل (عمار)

حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، دار النيل القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٩.

حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، دار الحامد، عمان الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

المذاهب الإسلامية بين الوحدة النظرية وصعوبات التطبيق، بحث منشور ضمن فعاليات مؤتمر:" التفاهم" عقد في الجزائر المجلس الإسلامي الأعلى الجزائر. ٢٥-٢٦/٠٣/ ٢٠٠٣.

دراز (محمد عبد الله)

المختار من كنوز السنة، شرح لأربعين حديثا، مطابع الثقافة القاهرة، د ت

الزمخشري (أبو اقاسم جار الله محمود بن عمر).

الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م.

الشاطبي (أبو إسحاق بن إبراهيم).

الموافقات، تحقيق عبد الله دراز. دار المعرفة، بيروت، لبنان. د.ت.

الصالح (صبحي).

الإسلام ومستقبل الحضارة، دار الشورى، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٢.

ابن عاشور (محمد الطاهر).

تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤.

ابن العربي (أبو بكر).

سراج المريدين في سبيل الدين، ضبط النص وخرج الأحاديث ووثق النقول، عبد الله التوراتي، دار الحديث الكتانية، دار الأمان، الرباط المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

العلواني (طه جابر).

من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٨ ه/ ٢٠١٧م.

الطوسي (أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن المعروف بنصير الدين) (ت ٦٧٢ه).

تجريد الاعتقاد، حقّقه محمد جواد الحسيني الجَلالي، مركز النشر- مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه.ق.

الطوفي (نجم الدين...الحنبلي (ت ٧١٦ه).

حلاّل العُقَد في أحكام المُعْتَقَد/ تحقيق وتعليق ليلى دميري، إسلام دية، بيروت ١٤١٦ه – ٢٠١٦، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

الفاروقي،(إسماعيل راجي).

التوحيد، ترجمة السيّد عمر، هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٦، ٢٠١٦م.

القرافي ((شهاب الدين أحمد بن إدريس) (ت٦٨٤ه).

الذخيرة، تحقيق محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

تنقيح الفصول في اختصار المحصول من الأصول، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٣.

المناوي (عبد الرؤوف).

فيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١ه- ١٩٧٢م.

النباطي (أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي) (ت ٨٧٧ ه).

الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم تأليف صحّحه وحقّقه وعلّق عليه، محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، الطبعة الأولى١٣٨٤.

بن نبي(مالك).

شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر-دمشق سورية، طبعة ١٤٠٦ه -١٩٨٦.

الظاهرة القرآنية، ترجمة، عبد الصبور شاهين، إعادة الطبعة الرابعة، ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م. دار الفكر دمشق، سوريا.

العفن مذكرات مالك بن نبي العفن الجزء الأول (1940 - 1932)، ترجمة نور الدين خندودي، دار الأمة، الجزائر.

فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ملك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢ه، ٢٠١١م.

مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة الدكتور بسام بركة، الدكتور أحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سوريا، إعادة الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.

مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصوبر شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، إعادة الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م.

ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ه ـ ١٩٨٦م.

وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة المعادة، ١٤٢٣ه-٢٠٠٢م.

النورسي (بديع الزمان سعيد).

إشارات الإعجاز في مظان الإيجار (المجلد الخامس من رسائل النور)، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة، د ت.

الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة، د ت.

صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة، د ت.

المثنوي العربي النوري (رسائل النور الجزء السادس)،، تحقيق إحسان قاسم الصالحي.

المكتوبات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة، د ت.

الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة، د ت.

الهوامش:

[١] أستاذ التعليم العالي كلية العلوم الإسلامية جامعة الجزائر ١ (بن يوسف بن خدة)

[٢] راجع شروط النهضة/ مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر-دمشق سورية، طبعة ١٤٠٦ه - ١٩٨٦، ص: ٥٥.

قال الأستاذ النورسي (رحمه الله)-:" ليس بالإمكان القيام بعمل ايجابي بنّاء مع التهاون في الدين". المثنوي العربي النوري، (رسائل النور الجزء السادس)، بديع الزمان سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم الصالحي، ص: ٢٠٢.

[٣] قال الطوفي: "أحكام الشريعة ثلاثة أضرب: قطعي، واجتهادي، وواسطة مترددة بينهما" ثم أردف النص بتعريف:" الواسطة المتردد بينهما، هي كالمسائل المختلف فيها بين الأشاعرة والمعتزلة والحنابلة، ونحوهم، مثل مسألة خلق القرآن، والجهة، وآيات الصفات، والقدر ونحوها. فهذا القسم يحتمل إلحاقه بالقطعي، ويحتمل إلحاقه بالاجتهادي، لتردّده بينهما"، وهو الرأي الذي مال إليه الطوفي إذ ختم النص بقوله: "وهو المختار" راجع حلاّل العُقَد في أحكام المُعْتَقّد/ نجم الدين الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦ه) تحقيق وتعليق ليلى دميري، إسلام دية، بيروت ١٤١٦ه – ٢٠١٦، دار الفارابي، بيروت، لبنان،ص: ٤-٧

[٤] ليست من باب الاستنباط (الفقه) من كتاب الله أو سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلّم) بل من باب التلقي الصريح (القطعي الدلالة) من القرآن الكريم أو السنّة الصحيحة.

[٥] الفقه وفق التداول المشهور بين المدارس الإسلامية.

[٦] تعرف بأسماء كثيرة منها: التصوف، والأخلاق، والتربية، و...

[٧] يعرف بعلم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم الفقه الأكبر، والنظر والاستدلال، وشعب الإيمان، و...

[٨] تكفي الإحالة على كتب الكلام وفق مختلف المشارب المذاهب الإسلامية دليل صريح على ما نحن بصدده.

[٩] معارف الإيمان في أصل الوضع مخرجة للناس من ضيق الأديان إلى عدالة الإسلام.

[١٠] المنقول: اللفظ الذي غلب استعماله في غير موضوعه الأول حتى صار أشهر من الأوّل. منها الألفاظ الشرعية التي نقلها الشارع إلى معنى مخصوص فخرجت بذلك عن معهود لسان العرب. راجع الذخيرة، لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي(ت٦٨٤ه)، تحقيق محمد حجّي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٤، ١/٥٩)

[١١] راجع المثنوي العربي النوري، ص: ٨٩، وراجع حقيقة مقاصد رسائل النور استمدادها وامتداداتها، عمار جيدل، دار النيل القاهرة، الطبعة الثانية ٢٠٠٩، ص: ١٠٥-١٩٨

[١٢] الفقه من باب الظنون أي من باب الاجتهاد، والقاعدة المجمع عليها أنّ المجتهد إذا انتهى به اجتهاده إلى رأي في مسألة فهو حكم الله في حقه، وحكم الله في حق من يقلّده بسببه، ولا يلزم من لم يقتنع برأيه ولا يمثّل ذلك حكم الله في حقّه. راجع تنقيح الفصول في اختصار المحصول من الأصول، القرافي، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٣، ص: ١٧-١٨

[١٣] قياس الغائب على الشاهد كان وما زال محلّ نقاش طويل عريض في تبنيه أو رفضه أو الاقتصاد في شأنه، فمن قال مثلا بالرؤية رماه نافيها بالتجسيم، ومن قال بعدمها لما يترتّب عليها بحسب رأيه من تحيّز وتجسيم رماه مخالفه بالتكذيب، ومن بالغ واعتبر ذلك اصلا من هذا الفريق أو ذاك "كفّر" مخالفه بما انتهى إليه، بالرغم من قولهم جميعا بعدم تكفير أهل القبلة.

[١٤] العصمة في البلاغ عن الله محلّ إجماع، ومال الإمامية إلى القول بالعصمة المطلقة منذ أن يولد النبي (عليه وعلى أهل بيته أزكى الصلاة والسلام) إلى أن يُوَسَّد في الترب، وألحقوا بالعصمة الأئمة الإثناعشر، بدءًا بعلي رضي الله عنه وانتهاء بالثاني عشر. (الذي اختلف في شأنه بينهم). راجع تجريد الاعتقاد، أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن (نصير الدين الطوسي) (ت٦٧٢ه)، حقّقه محمد جواد الحسيني الجَلالي، مركز النشر- مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه.ق، ص: ٢٢٢.، وراجع أيضا: الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم تأليف أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي (ت ٨٧٧ ه)، صحّحه وحقّقه وعلّق عليه، محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية، الطبعة الأولى١٣٨٤، الجزء الأول، ص: ١١٨.

[١٥] الاختلاف مما يكون معه الائتلاف ممكنا بحسب آخر الاصطلاحات استعمالا.

[١٦] مما لا يمكن معه الائتلاف، بحسب آخر المصطلحات استعمالا.

[١٧] ركّزت في ظل الوضع الراهن على الأمر الدنيوي، ولم أذكر الأمر الأخروي، لأنّه ابعد من أن يحقق القول في ظل معطيات الدولة الحديثة والمعاصرة، وركّزت على ما هو قابل للقبض والتقويم، وهو الآثار القانونية من نحو: الزواج، والميراث، والدفن، والصلاة على الميت و...، وهذه علاقات دنيوية وإن كان اساسها ديني.

[١٨] النَسَبُ المعرفي، غير النَسَبِ الديني أو الحكم الأخلاقي، ينصب الجهد في هذا السياق على سلامة المصادر وصحة الأخذ عنها و مراعاة عدم مصادمة الكليات التي تقرها الشريعة والتي هي لكثرتها لا تحصى، منها أنّ الشريعة جالبة للمصالح دافعة للمفاسد، فمن أبطلها أو ألغى اعتبار المصادر أو اعتبر المصادر ليست نافعة في الدلالة على مدلولاتها من نفسها، لا يمكن معرفيا أن يدَّعي صحة النسب المعرفي.

[١٩] الإسراء: ٨٥

[٢٠] يشمل عوالم ما حولك (غير العاقل) ومن حولك(عالم العقلاء)، والأخلاق ليست غير امتثال الأمر والنهي الإلهي في العلاقة بما حولك ومن حولك، فضلا عن نفسك.

[٢١] ما إشارة إلى غير العاقل من العوالم التي حول الإنسان وهو فيها وبها، ومن إشارة إلى عالم العقلاء.

[٢٢] وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة المعادة، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م، ص: ٥٤

[٢٣] المرجع نفسه، ص: ٥٠

[٢٤] نفسه، ص: ٦١

[٢٥] راجع وجهة العالم الإسلامي ص: ٥٤ -٥٥

[٢٦] قريش:٤

[٢٧] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٩٩ه – ١٩٨٤م، المجلد ٥: مادة آمن

[٢٨] البقرة: ١٣٦

[٢٩] البقرة: ٧٥

[٣٠] راجع المختار من كنوز السنة، شرح لأربعين حديثا، محمد عبد الله دراز، مطابع الثقافة القاهرة، د ت، ص ٥٧

[٣١] تفسير التحرير والتنوير محمد الطاهر بان عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، الجزء ٢٨ ص: ١٢١.

[٣٢] سراج المريدين في سبيل الدين، أبو بكر بن العربي، ضبط النص وخرج الأحاديث ووثق النقول، عبد الله التوراتي، دار الحديث الكتانية، دار الأمان، الرباط المغرب، الطبعة الأولى: ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، السفر الثاني ص: ١٦، وراجع أيضا ص: ٢٠

[٣٣] تيسير التفسير، أطفيش (قطب الأئمة *الشيخ* الحاج محمد بن يوسف)، تحقيق وإخراج الشيخ ابراهيم بن محمد طلاي، المطبعة العربية غرداية الجزائر ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. ج ١٤/ ص ٤٧١.

[٣٤] راجع الفاروقي، إسماعيل راجي، ترجمة السيّد عمر، هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٣٦، ٢٠١٦م.ص: ١٦، ٢١، ٤٠...

[٣٥] راجع الإسلام ومستقبل الحضارة، صبحي الصالح، دار الشورى، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص: ٢٥٢-٢٥٤

[٣٦] الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، ٢/ ٨٨

[٣٧] المصدر نفسه ٢/ ٨٨-٨٩

[٣٨] وهي الكليات الكبرى التي تندرج فيها وتنبثق عنها كلّ المقاصد التي أريد إضافتها بالنظر إلى متطلبات الزمان ومقتضيات البلاغ في وقت الزحام، كمقصد الحرية، وحماية البيئة و...

[٣٩] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بني، ترجمة الدكتور بسام بركة، الدكتور أحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سوريا، إعادة الطبعة الأولى، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م، ص:٤٩-٥٦

[٤٠]- إشارات الإعجاز في مظان الإيجار (المجلد الخامس من رسائل النور)، بديع الزمان سعيد النورسي(بتصرف)، تحقي إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر استنبول والقاهرة،

[٤٢] وجهة العالم الإسلامي، ص: ٥٤

[٤٣] حديث رقم ١٩٥٧. قال الهيثمي وإسناده حسن، وقال الحاكم: رواته ثقاة، وأقرّه الذهبي وقال العراقي في أماليه: حديث حسن. راجع فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١ه- ١٩٧٢م. ٣٢٤/٢

[٤٤] فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ٣٢٣/٢-٣٢٤

[٤٥] ميلاد مجتمع شبكة العلاقات الاجتماعية، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦ه ـ ١٩٨٦م، ص:١٠٤-١٠٦

[٤٦] شروط النهضة، ص: ٩٠

[٤٧] راجع وجهة العلم الإسلامي، ص: ٨٥-٨٦

[٤٨] راجع العفن ص: ٤٤

[٤٩] وجهة العالم الإسلامي، ص: ١٥٧

[٥٠] المرجع نفسه، ص:١٥٧

[٥١] شروط النهضة، ص: ٧٥

[٥٢] المرجع السابق ص: ٥٥

[٥٣] نفسه، ص: ١٥٨.

[٥٤] راجع: المرجع نفسه، ص: ١٥٩

[٥٥] مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، إعادة الطبعة الرابعة، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م، ص: ٨٧

[٥٦] النساء: ٣٦

[٥٧] سراج المريدين ٥١/٢

[٥٨] المرجع نفسه: ٥٦/٢.

[٥٩] نفسه ٥٧/٢.

[٦٠] الظاهرة القرآنية، ص: ٢٠٧ بتصرف.

[٦١] آل عمران ١١٠

[٦٢] المرجع نفسه، ص: ٢٠٧.

[٦٣] النسخ الآدمية التي ضاعت في التاريخ، استرجاعك لصورة ابيك آدم التي ضيّعتها بفعل الحاضنات المتشاكسة.

[٦٤] المدثر ١١

[٦٥] الأنعام ١١

[٦٦] الأنعام ١٦

[٦٧] الظاهرة القرآنية، ص: ٢٠٨

[٦٨] المراد به في هذا هو منهج جيل التنزيل في التلقي عن الله وعلى يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم. والذي أساسه العمل ثم العمل الصحيح النسبة إلى الدين والنافع في الدارين والميسّر لحياة الناس المادية والمعنوية.

[٦٩] وجهة العالم الإسلامي ص: ٥٥

[٧٠] راجع التوحيد، الفاروقي ص: ٤٦

[٧١] سورة الإخلاص

[٧٢] الظاهرة القرآنية، ص: ٢٠١

[٧٣] النّساء: ٥٩

[٧٤] راجع الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م، ١/٥٣٥-٥٣٦

[٧٥] راجع التوحيد / إسماعيل راجي الفاروقي، ص: ٤٥ وما بعدها

[٧٦] الفطرة هي جملة الاستعدادات والملكات التي يولد الإنسان مزوّدا بها في أصل الخلقة، والناس متفاوتون في تضييع عناصرها، فالطرة العقلية في الشرقي عموما تكاد أن تكون مهملة، فينتظر النتائج من غير السعي إلى كسب مقدماتها، والفطرة البدنية مائلون عنها، فلا اهتمام عموما بالمظهر والمأكل والملبس، والفطرة الأخلاقية نصوص يتباهى بها في المجالس، والفطرة القيمية نحن أزهد الناس في شأنها، فننتظر التنمية بلا عمّل والتقدّم من غير سعي،... ما بقي سالما منها إلاّ بعض الفطرة الدينية المظهرية في الغالب، وهي على قلّتها وضعف البذل النوعي فيها جعلها الله سببا في البقية الباقية من عنايتنا بالخير وبذله الجزئي.

[٧٧] الإنسان حيوان متديّن موحّد في أصل الخلقة، والتفكير أوالناطقية هي نتيجة لذلك، أي التفكير والتدبير في تجسيد التوحيد يؤكّد أنّ الناطقية من متطلبات التديّن، وليس العكس، فالإنسان في خلقته ميل للارتباط بالله، فتبقى فكرة الارتباط بالله بوصفه القوة العظمى في الغالب الأعظم من الحياة البشرية، فيغفلون الاسم الأعظم ويتظاهرون بمحوه من الضمائر بفعل الحاضنة، ولكن ليس بمقدورهم أإزالة كلّ سماته من ضمائرهم، لأنّهم بطبعهم لا يعيشون بغيرها.

[٧٨] كلّ الناس ولدوا على الفطرة فاجتالتهم الشياطين عن الحنيفية السمحة، والحديث واضح في المسألة: "يولد المولود على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يمجسّانه"

[٧٩] البقرة: ١٦٤

[٨٠] راجع أبو سليمان، عبد الحميد. أزمة العقل المسلم، هيرندن، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٢٠٠٩، ط٢.، ص: ١٤٣

[٨١] الانبياء: ١٠٥

[٨٢] ــ والغربيّ ليس له هذا التّصوّر حتّى نقول أنّه صالح، فأساس الصّلاح هو مبدأ الاستخلاف.

[٨٣] النّحل: ٥٣

[٨٤] ــ رأس الأمانات هو العلم والعقل، ونحن عندنا نتغوّل بالعقول والعلم حتى ينسى أحدنا أنّه عالم أو عاقل بفضل الله وأنّه محض عطاء من الله سبحانه وتعالى.

[٨٥] الظاهرة ٣٠٠ بتصرف يسير

[٨٦] راجع: ميلاد مجتمع، ص: ٧١ – ٧٢.

[٨٧] راجع شروط النهضة، ص: ١٩

[٨٨] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص: ١٦٢

[٨٩] ميلاد مجتمع، ص: ٩٤.

[٩٠] المرجع نفسه، ص: ١٠٠.

[٩١] الحجرات: ١٣

[٩٢] الإسراء: ١٦

[٩٣] فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ملك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢ه، ٢٠١١م، ص: ٢٣٥

[٩٤] فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ص: ٢٣٧

[٩٥] وجهة العالم الإسلامي، ص: ٣٦

[٩٦] شروط النهضة ٦١

[٩٧] الرعد: ١١

[٩٨] قال بن نبي:" منوطة أوّلاً بتخلّصنا ممّا يستغلّه الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته، من حيث نشعر أو لا نشعر، لأنّه ما دام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية وتبديدها وتشتيتها على أيدينا، فلا رجاء في استقلال ولا أمل في حرية، مهما كانت الأوضاع السياسية"، وقال أيضا:" لكي نتحرر من الاستعمار – مهما كان نوعه –، يجب أوّلاً أن نتحرر من سببه وهو القابلية للاستعمار" شروط النهضة ص: ١٥٨، وجهة العالم الإسلامي ص: ٩٥.

[٩٩] وجهة العالم الإسلامي، ص: ٣٨

[١٠٠] مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة بسام بركة، وأحمد شعبو، دار الفكر دمشق، سوريا، طبعة إعادة ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢، ص: ٤١

[١٠١] شروط النهضة ٢٥

[١٠٢] راجع ميلاد مجتمع، ص: ٧٦

[١٠٣] النساء:١

[١٠٤] من أدب الاختلاف إلى نبذ الخلاف، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مركز معرفة الإنسان للدراسات والأبحاث والنشر والتوزيع عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣٨ ه/ ٢٠١٧م، ص: ٥٧

[١٠٥] آل عمران: ١٩

[١٠٦] راجع طه جابر المرجع نفسه ص: ٥٨-٥٩

[١٠٧] وجهة العالم الإسلامي، ص: ٣٨

[١٠٨] المرجع نفسه، ص: ٣٦. وقال الأستاذ بن نبي: "المسألة يجب أوَّلا أن نصنع رجالاً يمشون في التاريخ، مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى". شروط النهضة ص: ٨٢

[١٠٩] وجهة العالم الإسلامي، ص: ٣٧-٣٨

[١١٠] راجع المرجع نفسه، ص: ٨٤.

[١١١] نفسه، ص: ٣٥.

[١١٢] راجع الكلمات، بديع الزمان سعيد النورسي، ص: ٨٥٤. راجع أيضا: المكتوبات، ص: ٣٥٥. الشعاعات، ص: ٥٨٣.

[١١٣] راجع صيقل الإسلام، ص: ٥١٤.

[١١٤] شروط النهضة، ص: ١٣

مقاربة رسائل النور
للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة

أ. د. محمد الرزقي[1]
أ. محمد الهادي وناس[2]

ملخص

قصدنا من هذا البحث بيان منهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي في تحرير المسلم من النمط الاستهلاكي الذي تكرسه الحياة المعاصرة وفق رؤية إيمانية منبعها الأساس القرآن الكريم والسنة النبوية؛ وفي معرض ذلك حاولنا في هذا البحث الإجابة عن بعض التساؤلات، وهي كالآتي:

ماهي الأهمية التي تكتسيها رسائل النور للمسلم في عصرنا وهي التي كتبت منذ ما يقارب ثلاثة أرباع قرن؟ وهل من مسوغات جعلت هذه الرسائل تتعالى عن الزمن؟ وما مركز قضية الحياة الاستهلاكية المعاصرة في رسائل النور؟ وما رؤية الأستاذ النورسي لتحرير المجتمع الإنساني أفرادا وجامعات من النمط الاستهلاكي؟ وإذا كانت رسائل النور غنية بهذا المعاني فما تجلياتها في حياة الأستاذ النورسي؟

الكلمات المفتاحية: رسائل النور، التحرر، النمط الاستهلاكي، النورسي، الحياة المعاصرة.

The approach of Risale-i nur to the liberation from the consumption pattern of the contemporary life Assessment

Prof. Dr. Mohamed Rezgui
Mr. Mohamed hedi Ouannes

Abstract:

The research aims to clarify the approach of Imam Nursi in liberating the Muslim from the consumerist pattern that contemporary life devote according to

a faith vision whose source is the Holy Qur'an and Sunnah, Az well az the research attempts to answer some of the questions as follows:

What is the significance of the Risale-i Nur for the contemporary Muslim, which was written nearly three quarters of a century ago? Are there justifications that make these messages transcend the process of time? And what is the position occupied by the issue of contemporary consumer life within the issues of Risale-I Nur? What is the vision of Imam Nursi to liberate people from this consumption pattern? And how was the life of Imam Nursi in light of his approach of calling for the liberation from the consumption pattern?

Keywords: Risale-i nur, Liberation, Consumerism, Nursi, Contemporary life.

تمهيد

تعد مشكلة النمط الاستهلاكي الذي تكرسه الحياة المعاصرة من أبرز المسائل التي عني بها علماء المسلمين ومفكروهم حيث بادر لمعالجتها أفذاذ العلماء والمفكرين في شرق الأرض وغربها، ونحاول في هذا البحث تسليط بعض الضوء على ما أوردته رسائل النور، وقد جعلنا عنوان هذه الدراسة "مقاربة رسائل النور للتحرر من النمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة في رسائل النور".

وقسمنا الدراسة إلى أربعة مباحث؛ الأول بمثابة التمهيد للموضوع؛ اهتممنا فيه بتتبع الظروف التاريخية التي كتبت فيها رسائل النور، وبحثنا في درجة ارتباط هذه الرسائل بالواقع الراهن والمستقبلي للأمة- بالرغم من أن مؤلفها توفي منذ نصف قرن- وبينت في المبحث الثاني مركزية مسألة الانسياق للنمط الاستهلاكي للحياة المعاصرة ضمن القضايا المركزية التي عالجها الأستاذ النورسي في رسائله. أما المبحث الثالث –وهو من أهمّ ما جاءت به الدراسة ومقصدها- فحاولنا أن نبين فيه مسالك معالجة الأستاذ النورسي لمسألة الانكباب على الشهوات والملذات، ورصد منهجه في تحرير طائفة المؤمنين خاصة والبشرية عامة من هذا النمط الاستهلاكي الحسي الذي كان سائدا في عصره والمستمرة سطوته إلى يوم الناس هذا.

وخاتمة هذه المقالة اهتممنا فيها ببيان الدليل التطبيقي من حياة الأستاذ النورسي في أدق تفاصيلها، ذلك أنّها صورة صادقة عن تمثّل هذه المعاني، تجلت في زهد الرجل

وترفُّعه عن الشهوات الجزئية الفانية مما جعل سيرته ومسيرته مثالا ملهما لجميع الأجيال اللاحقة من الأمة، والمصدر الرئيس الذي نستقى منه المعارف المتعلّقة بما نحن بصدده هو رسائل النور، فهي أهمّ مظان المعالجة التفصيلية.

ولأجل بيان تفصيلي لأهميتها، نتساءل هل تقصر أهمية رسائل النور على معالجة مجمل مسألة انتشار عقلية الاستهلاك في المجتمع المعاصر، أم أنّها تكتسي أهمية أوسع وأرفع بالنسبة للمسلم في عصرنا، وللباحث أن يتساءل مع جملة من الباحثين، كيف يكون لها تلك المنزلة وهي التي كتبت منذ ما يقارب ثلاثة أرباع قرن؟ وهل توجد مسوغات تجعل هذه الرسائل تتعالى عن الزمن؟ وما موضع قضية الحياة الاستهلاكية المعاصرة ضمن قضايا رسائل النور؟ وما مسالك تحرير الناس من النمط الاستهلاكي في رسائل النور؟ وهل كانت حياة الأستاذ النورسي على وفق ما كان يدعو إليه عبر مختلف حقب دعوته؟ أي هل تحرّر من النمط الاستهلاكي، وحرّر به من حوله؟

١/ ظروف كتابة رسائل النور وتحديات واقع الأستاذ.

كتبت رسائل النور في فترة تاريخية عصيبة في تاريخ تركيا والأمة الإسلامية، اذ بعد سقوط نظام الخلافة تنامت التيارات الإلحادية والمادية واختلقت جملة من العواصف الفكرية كادت تذهب بإيمان شباب الأمة، فكان الأستاذ رجل القدر[٣]، إذ قيَّضه لقيادة حملة تصحيحية شاملة خط خطوطها العريضة وتطبيقاتها في مجموع رسائله.

وقد كتبت هذه الرسائل استجابة للتحديات التي فرضها ضغط المتغيرات الفكرية والتربوية والحضارية التي فرضت على العالم الإسلامي عموما وتركيا على الخصوص، والتي عرفت ظروف بمقتضاها المجتمع التركي أعلى درجات الفزع من الانحطاط الأخلاقي والدمار الروحي[٤] الذي يشبهه الأستاذ النورسي "بشتاء معنوي رهيب"[٥]. إلا أن طروحات رسائل النور تتجاوز في حقيقة الأمر هذا التحديد الزماني والجغرافي نظرا لوعي المؤلف بهذه الحقيقة، إذ يرى أنّ كليات رسائل النور تصلح لأي مؤمن في أي بقعة من العالم حتى ولو كان في الهند والصين[٦]. هذا من جهة ومن جهة أخرى مازالت القضايا المعروضة ضمن هذا المؤلف الضخم حية وفعّالة تمس جوانب هامة من واقع الأمة الراهن؛ خاصة أمام تشابه الملابسات. فما قاله الأستاذ النورسي منذ نصف قرن

عن حالة الغفلة التي تعتري أفراد مجتمعه مازالت تصدق على حالة الأمة المحمدية، إذ يرى أنَّ قلَّة منهم متيقظون وهم لا يبلغون واحدا من عشرة أو واحدا من عشرين من مجموع أفراد مجتمعه[٧].

وتظهر الحاجة لهذه اليقظة التي دعا إليها في خضم الهجمة على الإسلام والتطاول على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بشكليها الخفي والجلي[٨]. فرسائل النور تضمنت منهجا استشرافيا يفسر به الأستاذ النورسي، المتوقّع من الأحداث التي تطال الأمة في تاريخها القريب والبعيد، -مؤسسا ما رام بلوغه على وردت به نصوص الكتاب والسنة، فيربط بين حقائق الإيمان والواقع الراهن ليرتب قراءة الأحداث المستقبلية بشكل منطقي متناسق، مستمدا ما خَلُصَ إليه مما دلّت عليه النصوص التأسيسية للإسلام؛ فنجده مثلا يؤكد أن الدجالين أي السفياني والمسيح الدجال سيوجدان في المستقبل "بمعاونة المنظمات السرية اليهودية الحاقدة على الإسلام والنصارى"[٩] فيسيطران على العالم.

والسبب الوجيه الأهم الذي جعل رسائل النور صالحة للمسلمين في القرن الحادي والعشرين وحتى في القرون القادمة أن هدفها الأساسي يتمثل في تنقية النفس الإنسانية وترقيتها وفق منهاج القرآن الشامل المستوعب المتّزن المتكامل.

ذلك أنّ طبيعة النفس البشرية تظل واحدة على اختلاف العصور والأماكن والملابسات التاريخية، وهو ما جعل رسائل النور تتعالى- بحسب تقديرنا- عن كل أشكال التحديد والخصوصية فيكسبها ذلك صفة الخلود المستمدة أساسا من القرآن الكريم باعتبار أن مجموع رسائل النور هي تفسير شهودي لكتاب الله، خاصة أن الأستاذ النورسي يعتمد مكنونات السنة النبوية وينظر في آيات الذكر الحكيم "بمنظار" إيماني عميق و"بمجهر" ذوقي رقيق[١٠] مع استبطان شروحه لسائر العلوم الحديثة كالفيزياء والكيمياء وعلمي الجغرافيا والفلك وغيرها من العلوم.

ولعل ذروة غايات رسائل النور تتمثل في إصلاح حال الأمة من خلال مداواة القلب الكلي لهذه الأمة وتضميد "الأفكار العامة المكلومة"[١١] مما يجعلها تتجاوز الأهداف الجزئية الآنية مثل إصلاح نفوس بعض الأفراد لتعانق أهدافا كلية سامية تتعلق بعموم الأمة المحمدية في الحاضر والمستقبل.

بناء على ذلك فإن متأمِّل الحلول المقترحة من قبل الأستاذ النورسي لعلاج أمراض الأمة وعللها؛ يلاحظ حيوية هذه الحلول وعُمْقِ ارتباطها بالواقع الراهن؛ كما لا يجد صعوبة في معرفة مصدر هذه الحلول التي اقتبسها الأستاذ النورسي أساسا من فيض صيدلية القرآن؛ فمثَّلت هذه الوصفات العلاجية معجزة معنوية من معجزات القرآن الخالدة وبلسما لجروح هذا الزمان، وهو أكبر شاهد على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان شرط وجود العقل القادر على فهم مقاصد القرآن واستلهام روح مراميه في حل القضايا المستجدة، فضلا عن قلب يشفّ عن هذه المعاني فتخالط بشاشة قلبه وشغاف روحه، فالقرآن الكريم لا تنضب معانيه، ولهذا يمنح الله الإنسان بالقرآن بحسب درجات استمناح الإنسان منه، ورأس ما يؤسس لها قربه الباطني الروحي ومستويات تحصيله، وهذا لا يتوقّف على جيل بعينه، بل يشمل جميع الأجيال، ومنبع كلّ ذلك أنّ الزمان كُلَّما شاب ازداد القرآن شبابا وتوضحت رموزه[١٢].

٢/ الحياة الاستهلاكية المعاصرة قضية مركزية في رسائل النور

لعلّ من أهمّ القضايا التي عالجها الأستاذ النورسي في مجموع رسائله وأولاها مكانة خاصة، هي مسألة الانكباب على الشهوات والاعتكاف على الملذات باتباع سبل "التفاهة والمجون"[١٣] المتأتية أساسا من الفكر الغربي الملوث بأدران المادة[١٤].

سيطر هذا النمط الحسي المادي على العالم- للأسف الشديد- وشبهه الأستاذ النورسي بداء الطاعون[١٥] على الحياة المعاصرة؛ فأصبحت له اليد الطولى على أنماط عيش الأفراد؛ وخاصة بعد بسط النمط الرأسمالي سطوته على مختلف المجتمعات؛ بسطا جعل الإنسان المعاصر محاصرا بجملة من متطلبات اللامتناهية للحياة المادية المعاصرة، والتي يتناسل بعضها من بعض خاصة أمام استشراء داء التقليد بين الناس فتحولت الكماليات إلى ضروريات[١٦]، فترى إنسان العصر مجهدا نفسه للحصول على هذه الحاجات؛ ويرى في امتلاكها مصدر سعادته الدائمة بالرغم من أنه في حقيقة الأمر يجري وراء السراب باعتبار أن هذه الشهوات متجددة يصعب الظفر بها مجتمعة في وقت وجيز فضلا عن أن متعتها ظرفية ولا تحقق له الإشباع وهو ما يجعله مفتقرا لها ومدمنا عليها[١٧].

والتعلق بالملذات يجعل الإنسان ينقلب إلى مجرد وسيلة لتحصيل هذه الشهوات فينحط عن مرتبة التكريم الإلهي لأن جوهر التكريم ينبني على قاعدة أساسية وهي أن الإنسان غاية لهذا الكون[١٨]. فالكون وما حوى جعل لخدمة الإنسان شرط أن يخدم في إطار العبودية، والتي بمقتضاها ينفع نفسه وما حلوه ومن حوله، إلاّ أن الإنسان المعاصر حَوَّل نفسه إلى مجرد خادم لمجموعة من الوسائل؛ بل إنَّ الوسائل تحولت إلى غايات وهو ما يهدد البنية المنطقية للحياة المعاصرة عامة وحياة المؤمن على وجه الخصوص. ويمكن اختصار هذه المسألة في مقاربة منطقية مضحكة إلى حد البكاء وهي أن الإنسان المعاصر لا يأكل حتى يجدد طاقاته ويستمر في أداء وظيفة الاستخلاف بل أصبح يحيا ليأكل. فتحولت الوسيلة إلى هدف مطلق والأمر نفسه ينطبق على الوسائل الأخرى.

في المقابل يذهل الإنسان عن السبب الأساسي من وجوده في هذه الحياة لأنه جعل الشهوات "غايات قصوى وأهدافا عظمى"[١٩] فيكون أمر الآخرة أمر ثانويا في سياق اهتماماته[٢٠] فهو يفضل "درهما من لذة عاجلة على قنطار من لذات آجلة"[٢١] على حد قول الأستاذ النورسي مستشهدا بقوله تعالى "اللذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة"[٢٢].

لذلك يشفق الأستاذ النورسي في كليات رسائل النور على أمثال هؤلاء ويرى أن التوغل في سبل الحياة الاستهلاكية يمثل حجابا أمام عيني البصيرة؛ يمنع أصحابها من التمعن والتمتع بحقائق الإيمان[٢٣]، من هنا فإنّ رسائل النور طوق نجاة لإنسان العصر، تسهم في إنقاذ كل من له مسكة عقل من أهل الشهوات والأهواء[٢٤] إذ تأخذ بيده حتى يعرج إلى "عرش الكمالات"[٢٥] خاصة أن الأستاذ النورسي يرى أن المعراج القرآني أقصر المراقي وأيسرها[٢٦] للوصول إلى معرفة الله والامتثال التام له مقارنة بطرق الصوفية ومناهج أهل الكلام ومسالك الفلسفة[٢٧].

٣/ منهج الأستاذ النورسي لتحرير المؤمنين من الأنماط الاستهلاكية

أكّد الأستاذ النورسي أنّ أول خطوة على درب تحرير هذا الصنف من الناس تتمثل في الكشف على الوجه الحقيقي للدنيا بنزع قناع الفتنة والإغواء عنها، فيبصر هؤلاء

المغرر بهم الغارقين في بحر لذة الحس، الوجه القبيح للدنيا وحقيقة ما تقدمه لهم. لذلك اعتمد الأستاذ النورسي أسلوب التمثيل حتى يقرب المعاني من الأذهان، فيرى أن الدنيا "امرأة جميلة لعوب فاتنة تقدم الحلوى لعشاقها إلا أنَّ هذه الحلوى مسمومة"[٢٨] وعلى هذا الأساس فهذه اللذة الدنيوية المستمتع بها وقتية تؤدي بصاحبها في نهاية المطاف إلى حتفه، والمقصود بالموت في هذا المقام الخلود في النار فيأكل هذا الصنف من الناس ثمار آخرتهم في دنياهم ليقدموا على الله يوم القيامة مفلسين.

وأرجع الأستاذ النورسي سبب تعلق الناس بالدنيا بالرغم من تحذير الكتاب والسنة منها إلى تلبيس النفس الأمارة بالسوء على أصحابها فتوهمهم أن الدنيا باقية، وسبب هذا التلبيس يعود إلى اعتقاد الفرد أن دنياه الخصوصية هي جزء من الدنيا العامة؛ لكنّه ينسى أن الواسطة بين هذه الدنيا الذاتية والدنيا العامة في حياته الشخصية والتي هي محدودة[٢٩]، إذ لم يكتب الله الخلد لأحد من البشر "فمتى انكسر جسمه تنهدم دنياه على راسه وتقوم قيامته"[٣٠]، لذلك قال الأستاذ النورسي "إذا أحب الله عبدا يسخط عليه الدنيا ويريها قبيحة في عينه"[٣١]. فالمؤمن الحق هو الذي يلفظ الدنيا بدل أن يبكي عليها "لذلك قبل أن تطردنا هذه الحياة وهذه الدنيا قائلة لنا أخرجوا عني نقول بعزة كاملة الوداع وفي أمانة الله وحفظه"[٣٢].

ولا يعني هذا الأمر رهبانية أو قعودًا عن العمل والتحصيل العلمي وإنما يجعل المؤمن الدنيا في يده أو جيبه، ولا يجعلها في قلبه لأن الدنيا إذا دخلت القلب "تورث الغفلة"[٣٣] وتبعد المرء عن الله، ومنعا لإمكان تأسيس تزهيد مطلق للناس في الدنيا، عَمَد الأستاذ النورسي إلى إبراز بعض محاسن الدنيا التي من أجلها يستحل المؤمن البقاء فيها ومن أهمها أنها "مرآة الأسماء الإلاهية ومزرعة الآخرة"[٣٤] فيتحقق المؤمن بمعاني الأسماء الحسنى ويكتشف بعض معانيها تبعا لدرجات تجليها على مرآة الوجود عامة أو في ذاته؛ خاصة وهذا التجلي لا يستطيع أن يبصره إلا من تحلى باليقظة والفطنة التي تتأتى في حقيقة الأمر إلاَّ من طبيعة الاستعدادات واختلاف أنواع المجاهدات بين طوائف المؤمنين، وهذا الوجه الحسن من الدنيا حسب الأستاذ النورسي لا يعرف الزوال أو العدم بل هو في تجدد مستمر[٣٥].

والوجه الجميل الثاني للدنيا عند صاحب رسائل النور هي أنها "معمل ومزرعة تنتج المحصولات المناسبة لسوق الآخرة"[٣٦]، فهي واسطة وممر تنقل المؤمن من دار التكليف والعناء إلى دار البقاء والهناء، لذلك يجازى المؤمن عن خدمته وعبوديته "بملك واسع أوسع من الدنيا وما فيها"[٣٧]، أما إذا خالف عهد ربه فينال "العذاب في البرزخ ونار سقر في الآخرة"[٣٨] لتكون الدنيا في نهاية الأمر "فهرس الآخرة"[٣٩] والمحل الذي تتجلى فيه النفس الإنسانية بمعاني الكمال[٤٠] باعتبار أن الغاية من الوجود الإنساني هي "معرفة خالق الكون سبحانه والإيمان به والقيام بعبادته"[٤١]، عكس الحيوان الذي أوجده الله في هذه الدنيا للعمل لا غير[٤٢]، لذلك يرى الأستاذ النورسي أن "الافتنان الفطري بالكمال ينقذ من آلام غير محدودة[٤٣]، فينتقل المؤمن من دائرة الحس الضيقة إلى دائرة المعاني الرحبة، وبالتالي فوجود الإنسان في الدنيا دون رغبة تحدوه في المعرفة والكمال يحول هذه الدنيا إلى جهنم حتى ولو كانت جنة[٤٤].

ثم ينتقل الأستاذ النورسي من هذا التوصيف النظري الذي يخاطب وجدان قراء رسائل النور وعقولهم إلى مرحلة لاحقة يخاطب فيها الجانب الحسي فيهم فيبين لهم أن الانهماك في الملذات والاسراف في الشهوات يجلب آلاما كبرى في الدنيا قبل الآخرة[٤٥].

هذا الصنف من الناس يخسر دنياه وآخرته، ويمعن الأستاذ النورسي في استفزاز هذا الصنف من قُرَّاء رسائل النور فيدعوهم إلى أن يسأل كل واحد منهم المستشفيات والسجون والمقابر باعتبار أن المتوفين منهم على الحال الخسران قد قضوا فترة الشباب في اللهو والمجون والإسراف في السهر وشرب الخمر والتنعم بالأكل وقلة الحركة[٤٦]، مما يحول الشهوات إلى جحيم حسي ومعنوي يدمر الصحة ويختلس العمر باعتبار أن الشهوات تلغي الماضي والمستقبل وتجعل الإنسان رهين الحاضر فحسب[٤٧].

وتنتهي هذه المرحلة الحجاجية الإقناعية بدعوة كل قلب ألقى السمع وهو شهيد إلى أن لا يأخذ من الدنيا إلا ضرورته باعتبار أن مُتَعَ الدنيا أبيحت بقدر معلوم وبضوابط محددة لحكمة إلهية بعضها جلي والبعض الآخر خفي. فمن حافظ على هذه الحدود الشرعية "تأتيه البشارة من مائة وأربعة وعشرين ألفا من الأنبياء عليهم السلام بالفوز

والنجاة"[٤٨]، ومن أخرج يده من قطار الشريعة طلبا للمتع الدنيوية فقد "مزقت الأشواك يده لا يلومن إلا نفسه"[٤٩].

فكل من يريد إنقاذ نفسه من نمط الحياة الاستهلاكية حسب الأستاذ النورسي عليه أن يعمل بهذه الإشارات وأن يداوم على التفكير في العقبى خاصة أن "التفكير نور يذيب الغفلة"[٥٠] فمن يتصور نفسه في "شتاء القبر والبرزخ... سيتقزز ويتألم ويبكي بكاء مرا على ما يفرحه الآن من التلذذ بالمحرمات"[٥١]، لذا عليه استحضار سيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي مضت حياته الشريفة على ميزان الاعتدال والاستقامة، فالتزم (عليه الصلاة والسلام) مبدأ الوسطية في استخدامه سائر قواه سواء كانت عقلية أو غضبية أو شهوية فمن جهة القوة الشهوية اتخذت هذه القوة العفة مدارا لها فتجنبت الافراط والتفريط[٥٢]، بل إنه (عليه الصلاة والسلام) "اتخذ الاقتصاد دليلا في كلامه وأكله وشربه"[٥٣] واحترز قطعا من الإسراف والحرص.

وعلى هذا الأساس شدد الأستاذ النورسي النكير على أهل الحرص والجشع؛ داعيا إياهم إلى القناعة واليقين ضاربا لهم كعادته الأمثال؛ فيدعوهم إلى تأمل الأشجار التي "تقف في مكانها فيأتيها أرزاقها أما السباع فتطلب هذه الأرزاق بالحرص فتحصلها ناقصة بعد مشقة" وكذلك مع الأطفال الذين يطلبون الرزق بحال الضعف والعجز"[٥٤]، الرزق يتحرك عند أهل اليقين إذا سكن الإنسان ويسكن الرزق إذا تحرك الإنسان في طلبه[٥٥]، والمقصود بالحركة والسكون هنا ليس بمعناها الحسي الظاهري وإنما الحركة تتعلق بباطن الإنسان إذا جزع وحرص على رزقه والسكون يرتبط باطمئنان القلب وثقته المطلقة في عطاء الله تعالى.

ويرى الأستاذ النورسي أنَّ الحرص على الدنيا ينحدر بالإنسان من مرتبة التكوين الإلهي إلى درك الحيوانية مع محافظته على صورته الإنسانية، باعتبار أن الإنسان إنسان بوجدانه وعقله لا بشكله وصورته، فمن فهم الغاية من وجوده يسرع بالعودة إلى رحاب الله ويترك طريق اللذة والشهوات، خاصة أننا نرى "ميدان الحلال كافيا للأنس والمتعة والنشوة فيلزم إذن قضاء عهد الشباب بالعفة والطهر والاستقامة على الصراط السوي"[٥٦]، فرسائل النور هي دعوة لكل البشرية حتى تعدل عن طريق الملذات وتسلك طريق

الإيمان الذي يوفر لذائذ روحية فائقة تتجاوز في نشوتها هذه المتع الحسية الظرفية الفانية، وفوق هذا تمنح المؤمن صلابة نفسية وفاعلية تاريخية لأنه يشعر أن الله معه فيسعى للعمل ولإحقاق الحق والعدل وفق دستور السماء.

٤/ شواهد نمط حياة الأستاذ النورسي في ضوء مبادئ رسائل النور

إن المتتبع لنمط حياة الأستاذ النورسي في أدق تفاصيلها يقف على حقيقته البَيِّنَة وهي أن الرجل اكتفى طوال عمره بالقليل من كل شيء فلم يلتفت قط إلى التنعم بمباهج الدنيا فكانت سيرته أصدق مثال على أرقى درجات الالتزام بمنهج القرآن الذي أفنى عمره في شرحه وتوضيحه وتقريبه من الناس.

كما أن نمط حياة النورسي لم يكن بدعا أو اختراعا من وضع الرجل بل كان متأسيا فيه بسيرة خير الرسل (صلى الله عليه وآله وسلّم) الذي جَسَّدَ حقائق القرآن، وجعلها أنماطا سلوكية ومناهج حياتية في الواقع التاريخي، إذ كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يأخذ من الدنيا إلا ضرورته وما يسدُّ به رمقه[٥٧]. وكذلك كانت سيرة الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي (رحمه الله) الذي اكتفى طوال تسع عشر سنة بمائتي ليرة تركية[٥٨] تمثل جملة نفقات على سائر ضروریاته، مما جعله ينفق في اليوم مائة بارة والمائة بارة تساوي تقريبا قرشين ونصف[٥٩]، ينفقها أساسا في أوكد الحاجات وهي شراء الخبز لذلك كان رغيف الخبز الذي يبلغ ثمنه خمسة قروش يكفيه رحمه الله يومين[٦٠]، أي كان يكتفي بنصف رغيف طوال يوم كامل. بل يصل الأمر مع الأستاذ النورسي حدا تتوقف فيه العمليات الحسابية عن تفسير الكيفية التي كان يعيش بها الرجل؛ فإذا أخذنا في الاعتبار ما قرره الأستاذ النورسي سابقا أي كونه يكتفي في اليوم بنصف رغيف فكيف تكفيه "كيلة قمح وهي عبارة عن ستة وثلاثين رغيفا" سنة ونصف كاملة[٦١].

ولم يقتصر أمر التقشف في حياة الأستاذ النورسي على مسألة الأكل فحسب بل شمل جوانب أخرى من حياته مثل مسألة الملابس، إذ اكتفى الأستاذ النورسي طوال اثنتي عشرة سنة بمعطف واحد كان اقتناه مستعملا أصلا[٦٢] ولم يسع إلى تجديده، وما كان يخصصه لأجل التدفئة والدثار والجوارب والنعال لا يكاد يذكر، حتى ليخال المتتبع لسيرة الرجل أنه توجد أخطاء في ذكر قيمة المبالغ التي تم انفاقها طوال هذه السنوات[٦٣].

ولعل السر الذي يفسر به الأستاذ النورسي اكتفاءه بهذه المبالغ البسيطة طوال حياته هو الاقتصاد وما يجلبه الاقتصاد من بركة، وحتى هذه البركة لم يقصد الأستاذ النورسي طلبها أو نواها أصلا[٦٤]، إلا أن المتفحص لسيرة الرجل يقف على حقيقة ساطعة وهي أن اكتفاء الأستاذ النورسي بهذا النزر القليل من المال كرامة باهرة وواضحة للعيان لكن على عادة هذا الأستاذ الجليل فإنه يرفض نسبة هذا الأمر إليه، ويرى أن هذا الأمر عائد إلى التمسك بحدود الشرع الذي حث على الاقتصاد ونهى الناس على الإسراف معتبرا "ان الاقتصاد شكر معنوي واحترام إزاء الرحمة الإلهية في النعم"[٦٥].

وعلى الرغم من حاجة الأستاذ النورسي إلى المال لم يقبل عطاء من أحد؛ كما كان يجد حرجا في قبول راتب من الدولة لأنه يرى في ذلك منة من الخلق عليه، فقال في هذا السياق: "إن من دساتير حياتي عدم قبول أموال من الناس ولو كانت زكاة منذ صباي وعدم قبول الراتب إلا أنني اضطررت لقبوله بإجبار أصدقائي سنة أو سنتين في دار الحكمة الإسلامية"[٦٦]، فلم يكن الأستاذ النورسي يريد الدخول تحت مِنَّة أحد، ولعل من بين الكرامات الكثيرة في حياة هذا الأستاذ أن أحدهم عرض عليه مال الزكاة، فأبى قبولها مكتفيا بدراهمه القليلة إلا أن العجيب حقا أن من عرض عليه المال اضطر للاقتراض حتى يسد خلته[٦٧].

وقد أظهر الأستاذ النورسي حرصا شديدا في باب الإخلاص ليقينه أن الإخلاص مفتاحه نجاحه في خدمته القرآن فيرفض أي نوع من الجزاء في الحياة الدنيا ولو قدمت له بعض طوائف الجن دواء لجراحه لرفضه[٦٨]. ولعل أروع صور الإخلاص التي وقفنا عليه في سيرة هذا العالم الجليل أنه باع ملابسه الخاصة وحاجاته الضرورية، ليبتاع بثمنها من رفاقه بعض أجزاء رسائل النور التي ألفها بنفسه، وقاموا هم بمجرد استنساخها، وذلك حتى يحول دون دخول منافع دنيوية على أصل الإخلاص[٦٩]. فلا أملك شخصيا أمام هذه الصورة الفريدة إلا أن أطأطئ رأسي خجلا خاصة أن الكثير منا خاض تجربة النشر فإذا تخلى أحدنا عن حقوق التأليف، تحدثه نفسه بأنه قام بعمل جبار وغير مسبوق.

كانت سيرة الأستاذ النورسي ترجمة عملية تمثل تَرَفُّعَه عن سائر المتع الحسية الفانية حتى أن المطلع على سيرة الرجل يدهش عندما يعلم أن الأستاذ النورسي أقام سنتين في

بيت الوالي عمر باشا في "بتليس"، وكان لهذا الوالي ست بنات ثلاث منهن صغيرات وثلاث راشدات، لكن الأستاذ النورسي لم يكن يقدر على التمييز بين الثلاث الراشدات لأنه لم يكن يسدد النظر إليهن، وفي يوم نزل أحد العلماء ضيفا عليه فعرف جميع الفتيات في يومين فاحتار من حوله وأخذوا يسألون الأستاذ النورسي عن عدم النظر إلى بنات الوالي فكان يجيبهم قائلا "صون عزة العلم يمنعني من النظر"[٧٠]، أما جوابه لما سأله كل من السيد طه والسيد إلياس- وهما عضوا المجلس النيابي- لماذا لا يرفع بصره لأي امرأة من النساء المحتشدات على ضفتي الخليج، وهما اللذان كانا يراقبانه طوال ساعة كاملة فقال "أنا لا أريد أذواقا مؤقتة تافهة مشوبة بالآثام لأن عاقبتها آلام وحسرات"[٧١].

ولا يعني هذا إعراضا عن الزواج أو دعوة للرهبانية كما يتوهم البعض ممن نظر في سيرة الأستاذ النورسي فالرجل ترك سنة الزواج من أجل النهوض بواجب خدمة القرآن والدفاع عن الدين[٧٢]، فترك سنة من أجل القيام بفرض مقدما الأهم على المهم. لذلك دعا الأستاذ النورسي تلاميذ مدرسة النور –إناثا وذكورا- إلى الزواج إن وجدوا أزواجا يشدون من أزرهم في باب الخدمة القرآنية[٧٣].

الخاتمة:

وهكذا يمكننا القول إن رسائل النور قامت بخدمات جليلة في حفظ إيمان الأمة ولعل الذي ساعدها على النجاح في ترسيخ مبدأ الإخلاص، وخلقه لرابطة روحية تربط بين تلاميذ هذه المدرسة تقوم على مبدأ نكران الذات وعدم التعلق بالمطالب الدنيوية، فجازى الله هذه المدرسة خير الجزاء بأن كتب لمنهجها القبول والانتشار عند الخاصة والعامة وجعلها من المدارس المعالم في تاريخ الفكر الإسلامي والإنساني.

المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم برواية قالون.

-بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ط٢/١٩٩٤.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ط٢/١٩٩٣.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استنبول، ط١/١٩٩٥.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكردي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٩٨٦.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، اللمعات، ترجمة الملا محمد زاهد الملا زكردي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٩٨٥.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ط١/١٩٩٥.

- بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار سوزلر للنشر، استنبول، ط١/١٩٩٥.

-القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، دار الفيحاء، عمان، ط٢/١٩٨٦.

الهوامش:

[١] الدكتور محمد الرزقي من مواليد ٩ أوت ١٩٧٣ بتونس أستاذ التعليم العالي بجامعة الزيتونة بتونس وقد صدر له ١٣ كتاب ورئيس مركز النورسي للدراسات والأبحاث بالجامعة ذاتها. medrezgui@gmail.com

[٢] باحث الدكتوراه في قسم أصول الدين بجامعة الزيتونة بتونس.wannes.mohamed.hedi@gmail.com

[٣] - كتب الأستاذ محمد علي أورخان كتابا بهذا العنوان: سعيد النورسي: رجل القدر في حياة أمة، شركة النسل،اسطنبول،١٩٩٥.

[٤] راجع النورسي، الملاحق، دار سوزلر للنشر، اسطنبول، ط١/١٩٩٥، ص١٦٩.

[٥] م ن، ص١٥٥.

[٦] م ن، ص٢٧٦.

[٧] راجع النورسي، صيقل الاسلام، دار سوزلر للنشر، اسطنبول، ط١/١٩٩٥، ص٤٨٣.

[٨] راجع النورسي، الملاحق، ص١٧٢.

[٩] النورسي، الشعاعات، دار سوزلر للنشر، اسطنبول، ط١/١٩٩٥، ص١٢٤.

[١٠] م ن، ص٧٥.

[١١] النورسي، الشعاعات، ص٢٢٥.

[١٢] راجع النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٩٢.

[١٣] النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٨٣.

[١٤] النورسي، الملاحق، ص١٠٩.

[١٥] م ن، ص٢١٤.

[١٦] م ن، ص٣٧٨.

[١٧] م ن، الصفحة نفسها.

[١٨] النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، دار سوزلر للنشر، فرع القاهرة، ط٢/١٩٩٤، ص١٦٢.

[١٩] النورسي، الملاحق، ص١٤٥.

[٢٠] م ن، ص١٤٥.

[٢١] النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٨٣.

[٢٢] سورة ابراهيم: ٣.

[٢٣] النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٨٣.

[٢٤] راجع: م ن، الصفحة نفسها.

[٢٥] م ن، الصفحة نفسها.

[٢٦] م ن، ص١٢٣.

[٢٧] راجع النورسي، المثنوي العربي النوري، دار سوزلر للنشر، القاهرة، ط١/١٩٩٥، ص٤٢٨.

[٢٨] النورسي، الملاحق، ص١٧٦.

[٢٩] راجع النورسي، المكتوبات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٩٨٦، ص١٥.

[٣٠] النورسي، اللمعات، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١/١٩٨٥، ص٣٥٨.

[٣١] النورسي، المكتوبات، ص٣٥٨.

[٣٢] النورسي، الملاحق، ص٢٩٤.

[٣٣] م ن: ص٢٥٨.

[٣٤] النورسي، المكتوبات، ص١٤.

[٣٥] م ن، ص٣٧٦.

[٣٦] م ن، ص٣٨١.

[٣٧] النورسي، الملاحق، ص٤٠٨.

[٣٨] م ن، ص١٧٨.

[٣٩] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص٣٥٣.

[٤٠] م ن، ص٤٨٢.

[٤١] النورسي، الشعاعات، ص١٣٥.

[٤٢] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص٤٨٠.

[٤٣] النورسي، الشعاعات، ص٧٠.

[٤٤] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص١٩٣.

[٤٥] النورسي، صيقل الإسلام، ص٤٨٣.

[٤٦] النورسي، الملاحق، ص١٧٧.

[٤٧] م ن، ص١٧٥.

[٤٨] م ن، ص١٧٧.

[٤٩] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص٢٠٩

[٥٠] م ن، ص٢٥٦

[٥١] النورسي، الشعاعات، ص٢٤٧.

[٥٢] النورسي، اللمعات، ص١٠١.

[٥٣] م ن، الصفحة نفسها.

[٥٤] النورسي، المكتوبات، ص٣٤٩.

[٥٥] النورسي، المثنوي العربي النوري، ص٢٥٦.

[٥٦] النورسي، الشعاعات، ص٢٤٢.

[٥٧] راجع القاضي عياض، الشفاء من أخبار المصطفى، دار الفيحاء، ط١٩٨٦/٢، ٤٤٥/٢.

[٥٨] النورسي، الملاحق، ص٢٣٠.

[٥٩] راجع النورسي، المكتوبات، ص١١١.

[٦٠] النورسي، الملاحق، ص٢٣٧.

[٦١] النورسي، المكتوبات، ص١١٢.

[٦٢] م ن، ص١١٣.

[٦٣] م ن، الصفحة نفسها.

[٦٤] راجع النورسي، الملاحق، ص٣٣٠.

[٦٥] النورسي، اللمعات، ص٢١٨.

[٦٦] النورسي، المكتوبات، ص١١١.

[٦٧] النورسي، اللمعات، ص٢٢١.

[٦٨] النورسي، الملاحق، ص٣٣٠.

[٦٩] م ن، ص٣١٨.

[٧٠] النورسي، الملاحق، ص٣١٢.

[٧١] م ن، ص٣١٣.

[٧٢] م ن، ص٤٠١.

[٧٣] م ن، ص٤٠٢.

فعاليات الندوة العالمية الحادية عشرة للأكاديميين الشباب
٠٦ - ١٢ أغسطس/أوت ٢٠٢٢

نظمت مؤسسة استنبول للثقافة والعلوم في الفترة الممتدة ما بين ٠٦ و١٢ أغسطس/أوت ٢٠٢٢ الندوة العالمية الحادية عشرة للأكاديميين الشباب الذين يكتبون باللغة العربية، وقد شارك في هذه الندوة باحثون وباحثات من مختلف البلاد الإسلامية، وأسهم في تأطير أشغال الندوة التكوينية جملة من الأساتذة من مختلف الجامعات العالمية، العراق والجزائر والمغرب ومصر فضلا عن تركيا واستمرت فعاليات هذه الندوة ثلاثة أيام متتالية تضمنت عدة أنشطة علمية ومعرفية على النحو الآتي:

يوم السبت ٦ أغسطس/أوت ٢٠٢٢

استهل الافتتاح يوم السبت ٦ أغسطس ٢٠٢٢ على الساعة العاشرة والنصف صباحا بتلاوة آيات بينات من الذكر الحكيم وحضر إلى جانب الأساتذة المؤطرين الأستاذ إحسان قاسم الصالحي ووزير التعليم السابق اليمني الدكتور عبد المجيد المخلافي والأستاذ سعيد يوجا رئيس مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، وقد أعرب الأساتذة المشرفين عن سعادتهم الغامرة بتنظيم مثل هذا الملتقى العلمي الدولي الذي تحتضنه المؤسسة سنويا مشيرين إلى أهمية احتواء الباحثين ومساعدتهم على المضي قدما في دراساتهم الجامعية والتي تتناول خصوصا فكر الأستاذ بديع الزمان النورسي.

وبعد إلقاء الكلمات الترحيبية بدأت الأشغال في شكل جلسات علمية خصصت منها لهذا اليوم جلسة واحدة كانت من الساعة ١٥:٠٠ إلى ١٦:٣٠ وترأسها الدكتور فرهاد الشواني. قدمت فيها الباحثة ذكرى السالمي من جامعة الزيتونة بتونس عرضا عن مشروع رسالتها لنيل درجة الدكتوراه الذي اختارت له العنوان الآتي: المجتمع الأنموذج في رسائل النور. وقد حظيت الباحثة بملاحظات عميقة ودقيقة للأساتذة انصبت على الناحية

المنهجية أساسا فضلا عن التعمق في موضوع الدراسة كما كانت تدخلات الطلاب غنية بالإيحاءات الدالة على الاستفادة من الملاحظات وطلب الاستزادة منها.

وختمت أشغال يوم الافتتاح للندوة؛ حيث كان النصيب الأوفر فيه للتعارف وتبادل الكلمات الطيبة والمشاعر الندية وتجديد العهد بين الأساتذة والمشرفين على هذه الندوة العلمية على الاستمرار في خدمة العلم وطلابه بعد انقطاع دام حوالي العامين حيث حال وباء كورونا دون انعقاد مثل هذه المحافل العلمية المهمة.

يوم الأحد ٠٧ أغسطس/أوت ٢٠٢٢

تميز اليوم الثاني من هذه الملتقى العلمي (الأحد ٠٧ أغسطس/أوت) بثرائه العلمي والمعرفي حيث اختار المشرفون أن نفتتحه بمحاضرة علمية قيمة ألقاها الأستاذ الدكتور عمار جيدل متناولا فيها قضية الإخلاص في رسائل النور وكيفية الخلوص إليه، وأهميته(الإخلاص) في تطوير البحث العلمي وانضباط بقواعده المعرفية والمنهجية، لتستئنف بعد المحاضرة الجلسات العلمية والتي توالى على العرض فيها ثلاثة باحثين من جامعات مختلفة.

كلف برئاسة الجلسة الأولى لهذا اليوم الدكتور عبد الكريم عكيوي ودامت من ١١:٣٠ إلى ١٣:٠٠ وقدم خلالها الباحث علي العلايمي من جامعة الزيتونة بتونس مشروعه الموسوم بسمات المنهج الحديثي في رسائل بديع الزمان النورسي رسالة المعجزات الأحمدية ورسالة في فهم الأحاديث النبوية أنموذجا. وقد حظي الباحث بتدخلات الطلبة والأساتذة الذين عرضوا جملة من الملاحظات الدقيقة متعلّقة بصميم أطروحته فكان للعنوان نصيب وافر من التدقيق والتعليق، كما نالت مسألة منهج المعالجة نصيبا لا يستهان به.

بعده قدمت الباحثة أسماء الشايب من كلية الدراسات الإسلامية جامعة ابن زهر بالمغرب تعريفا مختصرا بمشروعها الموسوم بـ"مقاصد القصص القرآني عند بديع الزمان النورسي"، وهو بحث تقدّت به لنيل الماستر في التخصص المشار إليه وقد كانت

الباحثة محظوظة بما قدم لها من تعليقات علمية دقيقة تعلقت أساسا بالعنوان والمناهج والقضايا ذات الصلة وخاصة الدراسات السابقة التي تصب في صلب الموضوع.

وبعد الاستراحة وأداء صلاة الظهر عقدت الجلسة الأخيرة لهذا اليوم من الساعة ١٥:٠٠ إلى ١٦:٣٠ وكلف برئاستها الدكتور أميد نجم الدين المفتي قدمت فيها الباحثة فيكي خير الملا من جامعة شريف هداية الله بجاكرتا كلية العلوم الإسلامية من أندونيسيا عرضا أوليا عن مشروعها لنيل الدكتوراه في العلوم الإسلامية والموسوم ببديع الزمان النورسي وآراؤه حول دور المرأة المسلمة في العالم وقد كانت تعليقات الأساتذة في غاية الدقة طلبا للتدقيق في المصطلحات التي عليها مدار البحث وخاصة مصطلح المرأة الذي يحتاج إلى تحريره وفق ما ورد في رسائل النور فضلا عن الخطة المقترحة والموقف من الدراسات السابقة.

يوم الإثنين ٠٨ أغسطس/أوت ٢٠٢٢

أما اليوم الثالث (الإثنين ٠٨ أغسطس/أوت) فقد تميز بمشاركة بعض الأساتذة الأتراك الذين أشادوا وأبدوا إعجابهم بما جاء في محاضرة الدكتور عبد الكريم عكيوي الموسومة بنظرية المعنى الحرفي في رسائل النور والتي ألقاها في مفتتح أشغال اليوم الثالث من الندوة.

افتتحت بتقديم مشروع الباحث العراقي بشرو علي عبد الله من جامعة السليمانية كلية العلوم الإسلامية، وهو مقدم لنيل درجة الدكتوراه، وقد اختار له عنوانا: "الأسس التربوية القرآنية عند بديع الزمان سعيد النورسي دراسة موضوعية" وقد نال الباحث نصيبا وافرا من الملاحظات المنهجية المتعلّقة بموضوع البحث وخاصة من رئيس الجلسة الدكتور فرهاد الشواني.

وأما الجلسة الثانية فقد ترأسها الدكتور عمار جيدل واستمع فيها الحضور لعرض الباحث الاندونيسي محمد توفيق عبد الحميد والذي قدم فيه مشروعه لنيل الدكتوراه الموسوم بـ"آثار فكرة الشيخ سعيد النورسي على الفتاوى السياسية عند نهضة العلماء بإندونيسيا دراسة مقاصدية تقويمية" مبينا خطة بحثه ومنهجيته وقد ناقش السادة الأساتذة

المشروع المقدّم من للجامعة العالمية بماليزيا من مختلف الجوانب بدءا من العنوان وانتهاء بالخاتمة والتوصيات مرورا بالدراسات السابقة وبالنظر في المناهج والمضامين وأقر الباحث بعمق الملاحظات وأهميتها في تطوير بحوثها.

ثم جاء الدور على موعدنا مع لقاء علمي مفتوح، وقد أطر هذا اللقاء العلمي الدكتور فرهاد الشواني بمشاركة الدكتور أميد المفتي عرضا فيه تجربتهما الثرية في التعامل مع رسائل النور ليكون درسا عمليا للترقي والتدرب على التدبر حيث قدما للباحثين أنموذجا من رسائل النور يبتغي التدرب على التدبر في مضامين النص النوري.

وعلى وقع هذه المعارف الإيمانية والعلمية ختمت فعاليات هذه الندوة العالمية للأكاديميين الشباب يوم ١٠ أغسطس/ أوت ٢٠٢٢ في مدرسة رستم باشا التابعة بالنظر لمؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم وفيها حضر الكثير من الوجوه النورية وتم تكريم الأساتذة والباحثين المشاركين في هذه الندوة بعد الاستماع إلى انطباعاتهم الفياضة ومشاعرهم الصادقة بعد انتهاء هذه الندوة العلمية استفادوا منها إيمانا وأملا وإيجابية فضلا عن العلم والمعارف المنهجية.

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصيلة (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجدة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلّقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بآداب الحوار والنقاش، المتقيّدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجالات الفكر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجّع دراساتهم المنجزة، وتقدّم ملخصات مركّزة عن أعمالهم المقدّمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكّمة التغطية الجيّدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدّم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجّلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكّمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويُلْزَم صاحب العمل المقدّم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدّمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلات) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

العنوان للاشتراك

عبد الكريم بايبارا kerimbaybara@gmail.com
شركة سوزلر للنشر
٣٠ شارع جعفر الصادق – الحي السابع
مدينة نصر– القاهرة – جمهورية مصر العربية
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (٢٠٢+)

Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
No: ٦, VEFA ٣٤١٣٤ Fatih
ISTANBUL – TURKEY
Tel: +٩٠ ٢١٢ ٥٢٧ ٨١ ٨١ (pbx)
Fax: +٩٠ ٢١٢ ٥٢٧ ٨٠ ٨٠
info@nurmajalla.com
www.Nurmajalla.com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note ٤
- Articles and Studies
- Prof. Dr. Abdul Aziz Qaboush: The Spiritual Dimension in the prophet's tradition revisiting Nursi's Risale-i Nur..... ١٠
- Prof. Dr. Abdul Hakim Al-Anees: Thirty letters to young researchers in Risale-i Nur... ٣٩
- Dr. Omid Najmuddin Jamil Mufti: The faith vision and its impact on controlling terminology and concepts, study through Risale-i Nur ٥٧
- Prof. Dr. Fayrouz Othman Saleh: Faith Foundations to Achieve the Nation's Security and Stability Spotlight on Risale-i nur by Bediuzzaman Said Nursi ٨٥
- Prof. Dr. Amar Djidel: Question of faith and the revival of civilization ١١٩
- Prof. Dr. Mohamed Rezgui and Mr. Mohamed Hedi Ouannes: The approach of Risale-i nur to the liberation from the consumption pattern of the contemporary life..... ١٦٢
- Scientific activities in the foundation of Istanbul for culture and science ١٨٢
- Contents / Annual Subscriptions..... ١٨٣

- Only papers conforming to academic standards will be considered for publication

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January - July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 13, Number 22 (January 2022)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalenderhane Mahallesi, Dedeefendi Cd. Cüce Çeşmesi Sk. No. 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL - TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax : +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 0 00 602 938

https://dergipark.org.tr/tr/pub/alnur

ISSN 1309-4424
9 771309 442008 23